

سلسلة المعارف الاسلامية

٢٥

سَيِّدَةُ النِّسَاءِ

فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ (ع)

علي موسى الكعبي

إصدار مركز الرسالة



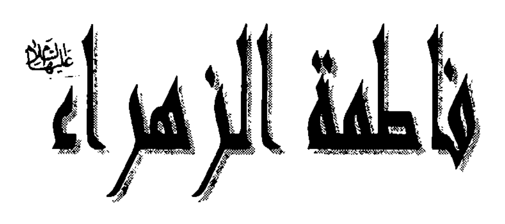

مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com



سلسلة المعارف الإسلامية

(٢٥)

سيدة النساء



تحظى إصدارات المركز

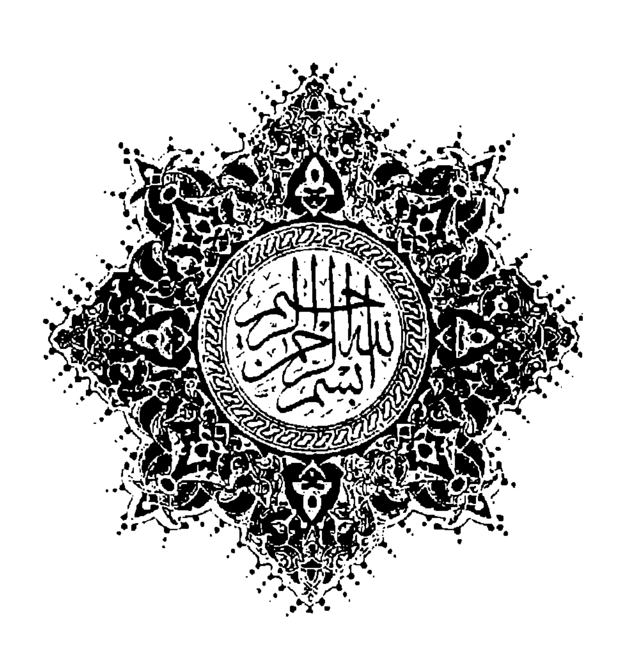
بالمتابعة والتقويم والإشراف العلمي

شابِك (ردمك) ٩٦٤ـ٣١٩ـ٢١٨ـ٠

ISBN 964 - 319 - 218 - 0

الكتاب :	سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام
المؤلف :	علي موسىٰ الكعبي
الناشر :	مركز الرسالة
الطبعة :	الأُولىٰ / ١٤٢٠ هـ
المطبعة :	ستاره ـ قم
الكمية :	٣٠٠٠ نسخة
السعر :	١٨٠٠ ريال

ايران ـ قم ـ هاتف: ٧٣٢٠١٣، فاكس: ٧٣٠٠٢٠، ص.ب: ٣٧١٨٥/ ٧٣٧


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المركز

الحمد لله رب العالمين.. وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.. وبعد..

إنّ دراسة سيرة أهل البيت عليهم السلام تُعدُّ إحدىٰ اللبنات الأساسية لسلّم البناء العقائدي والفكري والسياسي والاجتماعي الذي ارتضاه الاسلام منهجاً لتقويم العقيدة وتنظيم السلوك والسير باتجاه حركة التكامل الانساني المطلوب علىٰ صعيد الفرد والمجتمع. ذلك أنّ ما خُصّوا به من فضل عظيم وما أحرزوه من مكانة متميزة في تاريخ الإسلام، يدفعنا نحو استجلاء معالم تلك السيرة، والتعاطي مع دلالتها المتواصلة مع مسيرة الحياة بما تحمله من متطلبات ومستجدات، لأنّها تحدد الرؤية الأسلم والصيغة الأكمل لفهم الإسلام وتجسيده بأصوله وأركانه وفروعه وعلىٰ كافة المستويات. والزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، وبضعة المصطفىٰ الأمين صلى الله عليه وآله وسيدة أهل البيت المعصومين عليهم السلام تمثّل النموذج الأكمل والمثل الأعلىٰ الذي أرادته الرسالة الإلهية للمرأة المسلمة سلوكاً ومنهجاً، سواء علىٰ صعيد حياتها الشخصية بما تحمله من أسرار العظمة المتجسِّدة في روحانيتها وعفّتها وعبادتها وزهدها وعلمها، أو علىٰ صعيد حركتها في واقع الحياة، وما تشتمل عليه من جهاد مرير، وصبر مستمدٍّ من قوة الإيمان وشدَّة الإخلاص، ومواقف صلبة في الحفاظ علىٰ المفهوم الأصيل لقيادة الأمّة بعد الرسول صلى الله عليه وآله.

إنّ موقف الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها المصطفىٰ صلى الله عليه وآله يشتمل علىٰ دلالاتٍ وأبعادٍ سياسية خطيرة حرية بالبحث والدراسة، لأنّها تستوعب قسماً مهماً من الأحداث والملابسات السياسية والاجتماعية التي تفاعلت في داخل الساحة الاسلامية في أخطر مراحل المسيرة التاريخية للأمّة، والتي شكّلت

المخاض العسير الذي أنجب أخطر المعطيات السياسية والاجتماعية بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله إلىٰ رحمة ربّه ورضوانه.

كان الدور الذي اضطلعت به الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله يتمثل في الحفاظ علىٰ الصيغة الاسلامية الأصيلة علىٰ مستوىٰ العقيدة والسياسة والتشريع، ويمثل حجر الزاوية في تأصيل خط الإمامة بكل ما يحمله من مفاهيم وأفكار وأهداف وتوجّهات وخصائص ومميزات، ويعكس الموقف السليم من التغيرات الطارئة المستجدة في حياة الأمّة علىٰ صعيد العقيدة وفهم الكتاب وإقامة السُنّة.

ومن هنا فإنّ دراسة حياة الزهراء عليها السلام تعني دراسة حياة امرأة كل سيرتها للهداية والصلاح والرشاد، لأنّها سيدة النساء، العالمة المعصومة المتفانية في سبيل الله، والقدوة الصالحة لنساء الأمّة، والمثل الأعلىٰ لكلٍّ قيم العزّ والعظمة والشرف والطهارة، رغم المعاناة وقسوة ظروف الزمان وشدّتها، فلابد إذن من استلهام الدروس واستجلاء العبر من سيرة الزهراء عليها السلام لتسهم في إعداد المرأة وتربيتها ومعرفة حقوقها وواجباتها وبناء كيانها ورقيها، ودفعها باتجاه تربية جيل تتمثل به القيم الأخلاقية ومبادئ العقيدة الحقّة.

وإصدارنا هذا تكفّل بتغطية مفردات تلك السيرة العطرة منذ الولادة في بيت النبي صلى الله عليه وآله حتىٰ الوفاة في بيت الوصي عليه السلام بشكل وافٍ وأسلوبٍ علمي واضح موثّقٍ بالمصادر المعتبرة، ندعو الله العزيز أن ينفع به الاخوة المؤمنين، ومنه تعالىٰ نستمد العون والسداد، وهو الهادي الىٰ سبيل الرشاد.

مركز الرسالة

المقدِّمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم علىٰ الحبيب المصطفىٰ الأمين وآله الهداة الميامين سيّما قرة عين النبي، وبهجة قلب الوصي، ثمرة النبوة، ووعاء الإمامة، أُمّ الحسنين، وسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام هالة النور والجلال وسليلة العزّ والعظمة والشرف الذي لا تنازع فيه.

وبعد:

فالزهراء... المثل الأعلىٰ الذي قدّمته الرسالة الإلهية للمرأة، فقد صاغتها يد العناية الربانية أيّة صياغة لتكون قدوةً للحياة الكريمة، وأُسوةً للفضائل والقيم الإنسانية، فهي نسخة ناطقة بتعاليم الوحي الالهي، صدّيقة لا تفعل غير الحق، ولا تتبع سوىٰ الهدىٰ.

فحريٌّ بنا أن ندرس سيرة الزهراء البتول عليها السلام، ونسلط الضوء علىٰ مراحل حياتها، كي نجعل نصب أعيننا المثل الإسلامية العليا التي تجسدت في الزهراء، فكراً ونهجاً وسلوكاً.

فزواج الزهراء عليها السلام مثلاً بما فيه من تواضع المهر، وبساطة المراسيم، وسمو الخلق والمثل ومبادىء الدين علىٰ مظاهر البذخ والترف، وما يتبعه من حسن التبعّل وطيب المعاشرة مع ابن عمها الوصيّ المرتضىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وتربيتها سبطي النبي الأكرم وإمامي الرحمة الحسن والحسين عليهما السلام، كلّ ذلك يعكس لنا أبعاد الرسالة الإسلامية السمحة التي رسمها الإسلام للزواج الذي ارتضاه خالق الوجود، ويرسم لنا صورة عن

حقوق المرأة وواجباتها ومدىٰ فاعليتها في الاسهام ببناء المجتمع وتطويره.

أما مواقف الحوراء عليها السلام بعد وفاة أبيها المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم، فعلىٰ الرغم مما تثيره فينا وفي وجدان كلّ مسلم حرّ من أشجان ولوعة، لما فيها من أحداث تزلزل الجبال وتهدّ الصمّ الصلاب، فإننا نلمس من خلالها الشجاعة والثبات ورباطة الجأش وقوة النفس التي تحلّت بها ابنة النبوة الزهراء الطاهرة عليها السلام في الدفاع عن مبادىء الإسلام ومثله وإثبات العقيدة الحقّة، حينما لاثت خمارها علىٰ رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمّة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدخلت علىٰ أُمّةٍ انقلبت علىٰ أعقابها، ورسولها لمّا يجف تراب رمسه، فاغتصبت بالأمس مجداً سجّلته السماء لأهل بيت النبوة، واهتضمت اليوم نحلتها في فدك، ولم ترعَ وصية أبيها صلى الله عليه وآله وسلم فيها: **«فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما يؤذيها»** وكأنها ما سمعته صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: **«إنّ الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضىٰ لرضاها»**!

فاتخذت الزهراء عليها السلام من الكلمة سيفاً ومن الحجة سناناً، لتلقي الحجة وتنبّه علىٰ الفتنة وتعرّي أساس السلطة، وتقوّض أركانها بخطابها الذي كان آيةً في البلاغة وغايةً في الفصاحة، لتقول: **«أيُّها الناس، اعلموا أني فاطمة، وأبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلمّا اختار الله لنبيه دار أنبيائه ومأوىٰ أصفيائه، ظهر فيكم حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين... فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، والرسول لمّا يقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة ﴿ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ ... ألا وقد قلت ما قلت علىٰ معرفة منّي بالخذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها**

قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القنا، وبثّة الصدر، وتقدمة الحجة..».

وفي موقف الزهراءعليها السلام من أحداث السقيفة ومما جرىٰ عليها من الظلم والعدوان، نستلهم دروساً من العظمة والإباء في التصدي للانحراف والطغيان والدفاع عن مبادىء الحقّ وإقامة السُنّة وإماتة البدعة.

وهكذا عندما نقف علىٰ الجوانب الأُخر من حياة الزهراءعليها السلام فإنّما نقف علىٰ أوسع مدىٰ لمثل الإسلام وكل صفات الفضيلة والكمال وقيم الشرف والجلال وسبل الهداية والصلاح والرشاد.

يقول الاستاذ العقاد: في كلِّ دين صورة للانوثة الكاملة المقدسة، يتخشع بتقديسها المؤمنون، كأنما هي آية الله فيما خلق من ذكرٍ وأنثىٰ، فإذا تقدست في المسيحية صورة مريم العذراء، ففي الإسلام لا جَرَم تتقدّس صورة فاطمة البتول (١).

ولا ريب أنّ الزهراءعليها السلام صورة للانوثة الكاملة لبنات حواء، لأنّها سيدة نساء العالمين بنصّ أبيها الرسول المصطفىٰصلى الله عليه وآله وسلم، فما أحوجنا ونحن نعيش في عالمٍ يغرق بالمادة وتتساقط فيه المثل والقيم العليا أن تتعرف نساؤنا المسلمات علىٰ القدوة المثلىٰ والأُسوة الحسنة للنساء في الإسلام، وأن يقتدين بسيرتها، ويستلهمن منها دروس الحياة لتربية الأجيال وتوجيهها لما فيه الصلاح والهداية، مما سينير مستقبل البشرية، ويسهم في بناء انسانٍ تحيا فيه المثل الاخلاقية والعقيدة الحقّة.

وقد آلتفت المحدثون والمؤرخون والباحثون ومنذ القدم إلىٰ أسرار العظمة في حياة الزهراءعليها السلام فأفردوا لها مصنفات خاصّة كابن شاهين والبغوي والحاكم النيسابوري والطبري والمناوي والسيوطي وابن دينار

---

١) أهل البيتعليهم السلام / توفيق أبو علم: ١٢٨ مطبعة السعادة ـ مصر.

والجلودي وأبي مخنف وابن عقدة وغيرهم، ناهيك عن مصنفات المتأخرين التي تجاوزت المئتين وناهيك عن التراجم التي جاءت في كتب السير والتواريخ والحديث.

وحاولنا في هذا البحث الموجز أن نقدّم إلمامةً عن بعض جوانب حياة سيدة النساء، آملين أن تسهم في الكشف عن أسرار عظمتها والتعرّف على فضائلها ومكارم أخلاقها.

ومن الله التوفيق

الفصل الأول

الزهراء عليها السلام في حياة أبيها صلى الله عليه وآله وسلم

المبحث الأول: في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

إنّ ركائز الفرد الروحية والأخلاقية تستند إلىٰ بوادر تربيته وبيئته وبيته الذي نشأ فيه، وكان منبت الصديقة الزهراء عليها السلام في أول بيت حمل لواء الإسلام ونشر راية التوحيد ونادىٰ بمكارم الأخلاق، وهو البيت الذي وصفه أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته القاصعة: «**ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة وأنا ثالثهما، أرىٰ نور الوحي والرسالة، وأشمّ ريح النبوة...**»[1].

فعميد البيت هو النبي العربي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم أبو القاسم محمد بن عبدالله ابن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي، الذي وصفه تعالىٰ بقوله: ﴿**وإنك لعلىٰ خلق عظيم**﴾[2] ونعته قومه وهم في غياهب جاهليتهم بالصادق الأمين، واختصه الله تعالىٰ بالوحي والكتاب الكريم، وشرّفه بشرف الرسالة، وشرح صدره بأنوار المحبة واللطف والكرامة.

هو الحبيب الذي ترجىٰ شفاعته — لكلِّ هول من الأهوال مقتحمِ
دعا إلىٰ الله فالمستمسكون به — مستمسكون بحبلٍ غير منفصمِ
فاق النبيين في خَلْق وفي خُلُق — ولم يدانوه في علمٍ ولا كرمِ

---

١) نهج البلاغة / ضبط صبحي الصالح: ٣٠٠ الخطبة (١٩٢).

٢) سورة القلم: ٦٨ / ٤.

وكــلّهم مــن رســول الله مـلتمس   غرفاً من البحر أو رشفاً مـن الديـمِ
فــهو الذي تــمّ مـعناه وصــورته   ثــم اصـطفاه حـبيباً بـارىء النسـم
مــنزّه عــن شــريك فـي مـحاسنه   فجوهر الحسن فيه غـير مـنقسمِ [١]

أما سيدة البيت أُمّ الزهراء عليها السلام فهي أُمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزىٰ بن قصي جد النـبي صلى الله عليه وآله، أوسـط نسـاء قـريش نسـباً، وأعظمهن شرفاً، وكانت تدعىٰ في الجاهلية الطـاهرة [٢] لشـرفها وعـفّتها، وقد نشأت في بيت معروف بالمكانة واليسار والنفوذ والشرف في قريش.

كان جدها أسـد بـن عـبدالعـزّىٰ واحـداً مـن أعـضاء حـلف الفـضول ومؤسسيه والدعاة إليه، وهو الحـلف الذي بـموجبه تـعاقدت قـبائل مـن قريش وتعاهدت علىٰ أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو غيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلّا نصروه، وكانوا علىٰ من ظلمه حتىٰ تردّ مظلمته، وهو الحلف الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله **«لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحبُّ أن لي به حمر النعم، ولو أُدعـىٰ بـه فـي الإسـلام لأجبت»** [٣].

وكان ابن عمّها ورقة بن نوفل بن أسد من الأربعة الذي تنسكوا واعتزلوا عبادة الأوثان، وهجروا قومهم فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام [٤].

وقد تزوج الرسول صلى الله عليه وآله خديجة الكبرىٰ عليها السلام قبل البعثة بـنحو خـمسة

---

١) الأبيات من قصيدة البردة للبوصيري، المتوفىٰ سنة ٦٩٦، راجع المجموعة النـبهانية / النـبهاني ٤ : ٥، دار المعرفة.

٢) أُسد الغابة / ابن الأثير ٥ : ٤٣٤، دار إحياء التراث العربي.

٣) سيرة ابن هشام ١ : ١٤١، مطبعة البابي الحلبي ـ مصر.

٤) سيرة ابن هشام ١ : ٢٣٧.

عشر عاماً، فلمّا بُعِث النبي صلى الله عليه وآله دعاها إلىٰ الإسلام، فكانت أول امرأة آمنت بدعوته، وبذلت كل ما بوسعها من أجل أهدافه المقدسة، فكانت أموال خديجة ثالث أثافي دعوة الإسلام بعد تسديد العناية الإلهية لشخص الرسول صلى الله عليه وآله، وحماية أبي طالب عليه السلام عم الرسول صلى الله عليه وآله ونصرته ومؤازرته.

ثم انها قد اجتباها الله تعالىٰ لكرامة لا توصف نالت بها سعادة الأبد، وذلك بأن منّ الله تعالىٰ علىٰ الإسلام بأن حفظ في نسلها ذرية الرسول المصطفىٰ صلى الله عليه وآله فهي أُمّ آل البيت الكبرىٰ، الذين كانوا نفحةً من عطر شذاه، وقبساً من سنا نوره، إذ انحصرت في ابنتها الزهراء عليها السلام نسبة كل منتسب إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، فأعظم بها من مفخرة!

وتوفيت خديجة عليها السلام في السنة العاشرة من المبعث الشريف بعد خروج بني هاشم من الشعب [1]، أي قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين، وذلك بعد أن عاشت مع رسول الله صلى الله عليه وآله نحو ربع قرن كانت فيها أُمّ عياله وربة بيته ومؤازرته علىٰ دعوته، ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وآله امرأة في حياتها قط إكراماً لها وتعظيماً لشأنها بخلاف ما كان منه صلى الله عليه وآله بعد وفاتها.

وقد جاء في فضلها عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: **«سيدات نساء أهل الجنة أربع: مريم بنت عمران، وفاطمة بنت محمد، وخديجة بنت خويلد، وآسية امرأة فرعون»** [2].

ولم ينس ذكرها رسول الله صلى الله عليه وآله حتىٰ في أواخر حياته كما في قول عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يكاد يخرج من البيت حتىٰ يذكر خديجة، فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً من الأيام، فأخذتني الغيرة، فقلت: هل

---

١) الإصابة / ابن حجر ٤: ٢٨٣، دار إحياء التراث العربي.

٢) مستدرك الحاكم ٣: ١٨٥ حيدر آباد ـ الهند. وكنز العمال / المتقي الهندي ١٢: ١٤٤ / ٣٤٤٠٦، مؤسسة الرسالة.

كانت إلّا عجوزاً قد أبدلك الله خيراً منها، فغضب حتىٰ اهتزّ مقدم شعره من الغضب، ثم قال: **«لا والله ما أبدلني خيراً منها، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدّقتني إذ كذّبني الناس، وواستني في مالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها أولاداً دون غيرها من النساء»** قالت عائشة: فقلت في نفسي: لا أذكرها بعدها بسبّة أبداً(١).

وفي هذا النص دليل واضح علىٰ أفضليتها عليها السلام علىٰ سائر أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكونها أحبهن إلىٰ قلبه الشريف.

ففي هذا البيت الذي اختاره الله سبحانه مهبطاً للوحي ومقراً للنبوة لتبليغ رسالته والانذار بدعوته، ولدت ونشأت وترعرت الزهراء عليها السلام بين أقدس زوجين في ذلك العالم الذي يلفّه الظلام والضلال، فكان البيت بما يحتويه من عميده النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزوجته خديجة الكبرىٰ، وابن عمه الوصي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وابنته الطاهرة الصديقة (سلام الله عليهم أجمعين) هالةً من النور وبيرقاً للهداية، وماهي إلّا سنين قلائل حتىٰ تبدّدت سحب الضلال بنور الإيمان، وشملت راية التوحيد أمَّ القرىٰ وماحولها.

قال الشاعر:

شبت بحجر رسول الله فاطمة ... كما تحبّ المعالي أن تلاقيها
وفي حمىٰ ربّة العليا خديجة قد ... نشت كما الطهر والآداب تشهيها
ونفسها انبثقت من نفس والدها ... وأُمّها فهي تحكيه ويحكيها(٢)

تاريخ الولادة:

اختلف المحدثون والمؤرخون عند الفريقين في تاريخ ولادة

---

١) الاستيعاب / ابن عبدالبر ٤: ٢٨٧ بهامش الاصابة. الاصابة ٤: ٢٨٣.

٢) الأبيات من القصيدة العلوية للشاعر عبدالمسيح الأنطاكي: ٩٥ ـ مصر.

الزهراء عليها السلام، والمشهور بين علماء الإمامية أنّه في يوم الجمعة العشرين من شهر جمادىٰ الثانية من السنة الخامسة بعد البعثة النبوية، وبعد الاسراء بثلاث سنين [١].

وعمدتهم في ذلك ما روي عن الأئمة الأطهار عليهم السلام فقد روي بالاسناد عن حبيب السجستاني، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «**ولدت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخمس سنين**» [٢].

وعن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**ولدت فاطمة في جمادىٰ الآخرة يوم العشرين منه، سنة خمس وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم**» [٣].

وروىٰ نصر بن علي الجهضمي، عن الإمام علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام، قال: «**ولدت فاطمة بعدما أظهر الله نبوته صلى الله عليه وآله وسلم بخمس سنين**» [٤].

وقيل أيضاً: كان مولد السيدة الزهراء عليها السلام في العشرين من جمادىٰ الآخرة سنة اثنتين من المبعث [٥].

وقال أكثر علماء العامة: إنّها عليها السلام ولدت قبل البعثة، واختلفوا في عدد السنوات، فقيل: ولدت وقريش تبني البيت الحرام قبل النبوة بخمس سنين، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابن خمس وثلاثين سنة، أخرجه سبط ابن الجوزي عن علماء السير [٦]، والمحبّ الطبري عن الدولابي [٧]، وابن حجر عن الواقدي

---

١) راجع: الكافي / الكليني ١: ٤٥٨، دار الكتب الإسلامية ـ طهران. كشف الغمة / الاربلي ١: ٤٤٩ ـ تبريز. ودلائل الإمامة / الطبري: ٧٩، مؤسسة البعثة ـ قم. والمناقب / ابن شهر آشوب ٣: ٣٥٧، دار الأضواء.

٢) الكافي ١: ٤٥٧ / ١٠.

٣) دلائل الإمامة: ٧٩ / ١٨. وبحار الأنوار ٤٣: ٩ / ١٦.

٤) تاريخ الأئمة / ابن أبي الثلج: ٦ ـ ضمن مجموعة نفيسة ـ مكتبة السيد المرعشي ـ قم.

٥) المصباح / الكفعمي: ٥١٢، دار الكتب العلمية ـ قم.

٦) تذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي: ٣٠٦، مكتبة نينوىٰ. واتحاف السائل / المناوي: ٢٣، مكتبة ←

والمدائني[٨].

وعن محمد بن إسحاق، كان مولدها حين بنت قريش الكعبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله بسبع سنين وستة أشهر[٩].

وروىٰ الحاكم وابن عبدالبرّ عن عبدالله بن محمد بن سليمان بن جعفر الهاشمي، عن أبيه، عن جدّه، قال: ولدت فاطمة عليها السلام سنة إحدىٰ وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله أي بعد المبعث بسنة[١٠].

هذا هو معظم ماقيل في تاريخ ولادتها عليها السلام ومنه يتضح أنه مورد اختلاف بين علماء الإسلام، ونحن نرجّح ما روي عن أبناء الزهراء عليها السلام الأئمة المعصومين عليهم السلام لأنّهم أعرف بتاريخ أُمّهم، والمروي عنهم كما تقدم أنها ولدت لخمس سنين بعد البعثة، وقولهم مقدم علىٰ أقوال غيرهم.

ويؤيده عدّة قرائن:

منها: ما أخرجه المحبّ الطبري عن الملّاء في سيرته قال: إنّ خديجة لمّا أرادت أن تضع فاطمة عليها السلام بعثت إلىٰ نساء قريش ليأتينها، فيلين منها ما يلي النساء ممّن تلد، فلم يفعلن وقلن: لانأتيك وقد صرت زوجة محمد صلى الله عليه وآله[١١]، وإنّما قاطعن خديجة عليها السلام بعد ظهور الرسالة ونزول الوحي.

ومنها: ما أخرجه سبط ابن الجوزي عن أحمد في (الفضائل) عن عبدالله

➔ القرآن ـ القاهرة.

٧) ذخائر العقبىٰ / المحب الطبري: ٥٣، دار المعرفة ـ بيروت.

٨) الإصابة ٤: ٣٧٧.

٩) الثغور الباسمة / السيوطي: ١٥٨، مركز الدراسات والبحوث العلمية ـ بيروت.

١٠) مستدرك الحاكم ٣: ١٦١. والاستيعاب ٤: ٣٧٤.

١١) ذخائر العقبىٰ: ٤٤. ونحوه في أمالي الصدوق: ٦٩٠ / ٩٤٧، تحقيق مؤسسة البعثة ـ قم.

ابن بريدة، قال: خطب أبو بكر فاطمة عليها السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إنّها صغيرة، وإنّي انتظر بها القضاء»**[١]، ورواه الحاكم والنسائي[٢]، ولا يصح الاعتذار بصغر سنها لو كانت ولادتها قبل المبعث بخمس سنين؛ لأنّ أبا بكر تعرّض لخطبتها عليها السلام بعد الهجرة، وعمرها علىٰ هذا الحساب ثماني عشرة سنة أو أكثر.

ويدلُّ علىٰ أن ولادتها عليها السلام كانت بعد البعثة الأحاديث الكثيرة التي تنصُّ علىٰ أن تسميتها كانت بأمر الله تعالىٰ لرسوله صلى الله عليه وآله، ومن ذلك ما رواه ابن عباس عنه صلى الله عليه وآله قال: **«وإنّما سمّاها فاطمة، لأنّ الله عزَّ وجلّ فطمها ومحبيها عن النار»**[٣].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: لما ولدت فاطمة عليها السلام أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ ملك فأنطق به لسان محمد صلى الله عليه وآله فسمّاها فاطمة[٤].

وهذا التاريخ يناسب ما روي عن عائشة وسعد بن مالك وابن عباس وغيرهم، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **«لما أُسري بي إلىٰ السماء أدخلت الجنة، فوقعت علىٰ شجرةٍ من أشجار الجنة، لم أرَ في الجنة أحسن منها، ولا أبيض ورقاً، ولا أطيب ثمراً، فتناولت ثمرة من ثمراتها فأكلتها، فصارت نطفة، فإذا أنا اشتقت إلىٰ ريح الجنة شممت ريح فاطمة»**[٥]، وفي لفظ آخر: **«فهي**

---

١) تذكرة الخواص: ٣٠٦.

٢) مستدرك الحاكم ٢: ١٦٧. وسنن النسائي ٦: ٦٢، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٣) ذخائر العقبىٰ: ٢٦.

٤) علل الشرائع / الشيخ الصدوق: ١٧٩ / ٤، مكتبة الداوري ـ قم. والكافي ١: ٤٦٠ / ٦.

٥) الدر المنثور / السيوطي ٥: ٢١٨، دار الفكر ـ بيروت. والمعجم الكبير / الطبراني ٢٢: ٤٠٠ / ١٠٠٠، دار إحياء التراث العربي. ونحوه في مستدرك الحاكم ٣: ١٥٦. وذخائر العقبىٰ: ٣٦. وعلل الشرائع ١: ١٨٣. ومقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي ١: ٦٣ و ٦٨، مكتبة المفيد ـ قم. ←

حوراء إنسية، كلّما اشتقت إلىٰ الجنة قبلتها» (١).

ومناسبة هذا الحديث للتاريخ المذكور عن أهل البيت عليهم السلام في ولادتها، تأتي لكون الاسراء وقع بعد البعثة بنحو ثلاث سنين بلا خلاف، فهذا الحديث حاكم علىٰ بطلان الأقوال المصرحة بالولادة قبل البعثة.

قد يقال: إنّ عمر خديجة عليها السلام حين الزواج بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أربعون سنة، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابن خمس وعشرين سنة، ونزل عليه الوحي في سنّ الأربعين، فإذا ولدت الزهراء عليها السلام بعد مضي خمس سنين من نزول الوحي، يكون عمر أُمّها عند الحمل بها ستين سنة، وذلك أمر مستبعد للعادة.

وفيه: أنّ المنقول عن ابن عباس وابن حمّاد، أنّ عمر خديجة عليها السلام حين تزوجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ثماني وعشرين سنة (٢).

وقد أيّد هذا بعض المؤرخين وعلماء الأنساب (٣).

ولهذا قال ابن العماد الحنبلي: «رجّح كثيرون أنّها عند الزواج بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت ابنة ثماني وعشرين سنة» (٤).

ولا يخفىٰ بأنّ القول بصحة الرأي الأخير يسقط أصل الإشكال، إذ سيكون عمر خديجة عليها السلام حين البعثة المشرّفة ثلاث وأربعين سنة، وحين

← وفرائد السمطين / الجويني ٢: ٦١ / ٣٨٦، مؤسسة المحمودي. ومجمع الزوائد / الهيثمي ٩: ٢٠٢، دار الكتاب العربي ـ بيروت. والمناقب / ابن المغازلي: ٣٥٧ ـ ٣٥٩ / ٤٠٦ ـ ٤٠٧، دار الكتب الإسلامية ـ طهران. ومسند فاطمة الزهراء عليها السلام / السيوطي: ٥١، حيدر آباد ـ الهند.

١) تاريخ بغداد / الخطيب ٥: ٨٧، دار الكتب العلمية.

٢) كشف الغمة / الاربلي ٢: ٥١٠ و ٥١٣.

٣) أنساب الأشراف / البلاذري ١: ١٠٨، دار الفكر ـ بيروت. والمحبر / ابن حبيب: ٧٩، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت.

٤) شذرات الذهب / ابن العماد الحنبلي ١: ١٤ في حوادث سنة ١١ هـ، دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

ولادة سيدة نساء العالمين عليها السلام ثماني وأربعين سنة، وحمل القرشية في هذه السن من المتعارف عليه ولا نقاش فيه، وله مصاديق جمّة قديماً وحديثاً.

وعلىٰ القول بأنّ عمر خديجة عليها السلام عند الحمل بها ستون سنةً، فإنّ حمل المرأة في مثل هذه السنّ، وإن كان متعذراً في غالب النساء، إلّا أنّ إمكان أن ترىٰ القرشية والنبطية دم الحيض في هذه السنّ غير مستبعد، بل هو من المشهور في فقه الفريقين (١).

نعم، هو أقصىٰ مدة ليأس القرشية والنبطية عندهم، وقد أكدته بعض الروايات المعتبرة المسندة إلىٰ أهل البيت عليهم السلام (٢).

وأمّ المؤمنين خديجة الكبرىٰ عليها السلام قرشية بالاتفاق، وبهذا تكون من مصاديق فتاوىٰ الفقهاء وروايات أهل البيت عليهم السلام.

من الولادة حتىٰ الهجرة:

حينما قربت ولادة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للسيدة أُمّ المؤمنين خديجة: **«يا خديجة، هذا جبرئيل يبشرني أنّها أُنثىٰ، وأنّها النسمة الطاهرة الميمونة، وأنّ الله سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمة في الأُمّة، ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه، ووضعت خديجة فاطمة عليها السلام طاهرة مطهّرة...»** (٣).

وخديجة الكبرىٰ عليها السلام لم تسترضع لفاطمة الزهراء عليها السلام، فقد ألقمتها ثديها فدرّ عليها وشربت (٤)، وهو صريح خبرٍ عن ابن عباس أيضاً (٥).

---

١) تذكرة الفقهاء / العلامة الحلي ١: ٢٥٢. والمغني / ابن قدامة ١: ٤٠٦. والشرح الكبير ١: ٣٥٢.

٢) الكافي / الكليني ٣: ١٠٧ / ٢ و ٣ و ٤. وتهذيب الأحكام / الشيخ الطوسي ٧: ٤٦٩ / ١٨٨١.

٣) أمالي الصدوق: ٦٩١ / ٩٤٧. والعدد القوية / رضي الدين الحلي: ٢٢٣ / ١٥. وبحار الأنوار ١٦: ٨٠، و ٤٣: ٢.

٤) دلائل الإمامة: ٧٨ / ١٧.

ولاريب أن أفضل غذاء للطفل هو حليب الأمّ، وقد أثبتت التجارب العلمية أثره في بناء الطفل الجسدي والنفسي، وجاء في الحديث عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال: **«ما من لبن يرضع به الصبي أعظم بركة عليه من لبن أُمّه»**[6] وتوالت علىٰ الزهراء عليها السلام بعد نشأتها المشاهد القاسية التي كانت أليمة الوقع علىٰ نفسها الطاهرة وقلبها العطوف منذ نعومة أظفارها، فقد فتحت عينها عليها السلام علىٰ المحن التي قاساها أبوها المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم في سبيل الدعوة، وما رافقها من التعذيب والتنكيل بالمستضعفين من أتباعه، وهجرتهم إلىٰ الحبشة، وحصار بني هاشم في شعب أبي طالب نحو ثلاث سنين قضتها الزهراء عليها السلام مع أمّها وأبيها (صلوات الله عليهم) بحرمان وفاقة وانقطاع عن الناس.

ولم تهنأ الزهراء عليها السلام بالعيش الرغيد مع أُمّها وأبيها (صلوات الله عليها) بعد خروجهم من مخمصة الشعب إلّا نحو عام واحد، حيث فجعت بوفاة أُمّها الرؤوم التي كانت تمنحها الدفء والحنان، وتضفي عليها الحبّ والأمان، قال الإمام الصادق عليه السلام: **«فجعلت تلوذ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتدور حوله وتسأله: يا أبتاه اين أُمّي؟ فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يجيبها، فجعلت تدور وتسأله: يا أبتاه أين أُمّي؟ ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدري ما يقول، فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: إنّ ربك يأمرك أن تقرأ علىٰ فاطمة السلام وتقول لها: إنّ أُمّك في بيت من قصب، كعابه من ذهب، وعمده ياقوت أحمر، بين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، فقالت فاطمة عليها السلام: إنّ الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه السلام»**[7].

---

٥) البداية والنهاية / ابن كثير ٥: ٢٦٧، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٦) الكافي ٦: ٤٠ / ١.

٧) الخرائج والجرائح / القطب الراوندي ٢: ٥٢٩ / ٤، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ـ قم، تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٥.

وفي العام نفسه والزهراء عليها السلام لمّا تبلغ الخامسة من العمر، فُجِعت رسالة الإسلام بموت كفيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وناصره وحامي رسالته عمه أبي طالب عليه السلام فكان عام الحزن وفراق الأحبّة، واشتداد شوكة المشركين علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه المستضعفين، قال صلى الله عليه وآله وسلم: **«ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتىٰ مات أبو طالب»**[1] وقد وصلوا من أذاه إلىٰ مالم يكونوا يصلون إليه في حياة أبي طالب عليه السلام حتىٰ نثر بعضهم التراب علىٰ رأسه الكريم، وكانت الزهراء عليها السلام ترىٰ بعينيها ما يفعله المستهزئون ويقوله المتآمرون من أجلاف قريش، فكانت تحنو علىٰ أبيها صلى الله عليه وآله وسلم كالأُمّ الرؤوم، وتغمره بحنانها وتفديه بروحها وتميط عنه الأذىٰ، وتخفّف من آلامه، وتهب لنصرته وتقوم علىٰ خدمته فهو صلى الله عليه وآله وسلم حياتها كلّها، تبتسم لابتسامته، وتصب الدمع الهتون إذا ما مسّه لغب ولو من عذب النسيم!، وكان ذلك أحد الوجوه المذكورة في سبب تكنيتها بأُمّ أبيها من والدها صلى الله عليه وآله وسلم.

روىٰ مسلم في الصحيح عن ابن مسعود قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلىٰ سَلَى جزور بني فلان فيأخذه، فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقىٰ القوم فأخذه، فلمّا سجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل علىٰ بعض، وأنا قائم أنظر لو كانت لي مَنَعة طرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ساجد ما يرفع رأسه، حتىٰ انطلق إنسانٌ فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جُوَيريّة[2] فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلمّا قضىٰ

---

[1] تاريخ الطبري ٢: ٣٤٤، دار التراث العربي ـ بيروت.

[2] ولفظ جويرية يشهد بكونها مولودة بعد البعثة لا قبلها.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاته رفع صوته، ثم دعا عليهم (١).

وروىٰ مسلم والبخاري في الصحيح عن عبدالله، قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساجد وحوله ناس من قريش، إذ جاء عُقبة بن أبي مُعيط بسَلَى جزور، فقذفه علىٰ ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يرفع رأسه حتىٰ جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره، ودعت علىٰ من صنع ذلك، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«اللهمَّ عليك الملأ من قريش؛ أبا جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط، وشيبة بن ربيعة، وأُميّة بن خلف ـ أو أُبي بن خلف ـ»** قال عبدالله: فلقد رأيتهم قُتِلوا يوم بدر، فأُلقوا في القليب (٢).

وروىٰ البيهقي بالاسناد عن ابن عباس عن فاطمة عليها السلام قالت: **«اجتمع مشركو قريش في الحجر، فقالوا: إذا مرّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم عليهم ضربه كل واحد منّا ضربة**، فسَمِعته (فاطمة) فدخلت علىٰ أبيها صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت ذلك له، فقال: **يا بنية اسكني، ثم خرج فدخل عليهم المسجد، فرفعوا رؤوسهم ثم نكسوا، فأخذ قبضةً من تراب فرمىٰ بها نحوهم ثم قال: شاهت الوجوه، فما أصاب رجلاً منهم إلّا قتل يوم بدر كافراً»** (٣).

وهذه النصوص تكشف لنا عن أداء الزهراء عليها السلام لدورها الرسالي في الوقوف إلىٰ جنب أبيها صلى الله عليه وآله وسلم منذ مطلع الدعوة، والذبّ عنه وحمايته

---

١) صحيح مسلم ٣: ١٤١٨ / ١٠٧، كتاب الجهاد والسير ـ دار الفكر ـ بيروت. ودلائل النبوة / البيهقي ٢: ٢٧٩، دار الكتب العلمية.

٢) صحيح مسلم ٣: ١٤١٩ / ١٠٨، كتاب الجهاد والسير. وصحيح البخاري ٤: ٢٢٠ / ٢٦، كتاب الجزية والموادعة، باب طرح جيف المشركين في البئر، عالم الكتب ـ بيروت. ودلائل النبوة / البيهقي ٢: ٢٧٨.

٣) دلائل النبوة / البيهقي ٢: ٢٧٦. ومجمع الزوائد ٨: ٢٢٨. ومسند فاطمة الزهراء عليها السلام / السيوطي: ١١٨.

ونصرة دعوته، في مواقع تنكص فيها الشجعان عن المواجهة وتتردّد فيها الرجال عن المنازلة، هذا علىٰ الرغم من صغر سنها.

ومن هنا نعلم أن فاطمة عليها السلام بعد فقد أُمّها لم تكن تلك اليتيمة التي تشكّل عبئاً علىٰ أبيها، بل وقفت موقف العالمة بظروف أبيها صلى الله عليه وآله وسلم الداركة لخطر الرسالة التي يدعو لها، وما يحيط به من شدائد وأهوال وعداوات، فصارت ربّة بيته التي تكفيه التفكير بمشاغل البيت، ووقفت إلىٰ جنبه موقف المرأة البطلة المكافحة والمضحية براحتها ورفاهيتها، وليس ثمّة كلمة تعبّر عن تقديره صلى الله عليه وآله وسلم لما لقي من ابنته الصغيرة في مواقفها المختلفة، أفضل من (**أُمّ أبيها**) في أحد معاني هذه الكنية العظيمة.

وإذا كانت فاطمة الزهراء عليها السلام قد فُجعت بأمّها وهي بأمسّ الحاجة إليها، فقد صارت أشدّ لصوقاً بأبيها صلى الله عليه وآله وسلم لتنهل من سجايا نفسه الزكية ومكارم خلقه الرفيع، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يفيض عليها بحبّه وعطفه وشفقته ليعوضها عن شعورها بالحرمان من أُمّها.

وقد قيل: إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد جعل فاطمة عليها السلام عند ابنة عمّه أمّ هانيء بنت أبي طالب بعد وفاة خديجة عليها السلام لرعايتها والقيام بشأنها، أخرجه السيوطي في حديثٍ عن عبدالرزاق عن ابن جريج [(١)].

ولعلَّ ذلك كان في بعض الأحيان التي ينشغل فيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأداء مهام الرسالة والقيام بأعباء الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ.

الهجرة:

بعد أن اتفقت كلمة قريش علىٰ قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعاهدت قبائلها علىٰ ذلك، ولم يبق له في مكة ناصر ولا مكان يأوي إليه، أُذن له بالهجرة إلىٰ المدينة، وتمت الهجرة بسلام علىٰ الرغم من ملاحقة قريش ومطاردتها له

---

١) مسند فاطمة الزهراء عليها السلام / السيوطي: ١١٩.

وبذلها الجوائز السنية لكلٍّ من يرشدها إلىٰ مكانه أو يقبض عليه.

وكان صلى الله عليه وآله وسلم قبل هجرته أمر عليّاً عليه السلام أن يبيت علىٰ فراشه وأوصاه بما أهمّه وأن يلتحق به مع الفواطم وهنّ: فاطمة الزهراء عليها السلام، وفاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت حمزة، وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب (رضي الله عنهن) وكان عمر الزهراء عليها السلام عند الهجرة ثمان سنين.

وبعد أن نفّذ علي عليه السلام وصايا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسلّم وأدّىٰ الودائع والأمانات لأهلها، هيّأ للفواطم الرواحل وأخرجهن من مكة في طريقه إلىٰ يثرب، وأشار علىٰ من بقي في مكة من المؤمنين أن يتسلّلوا ليلاً إلىٰ ذي طوىٰ حيث يسير الركب منها باتجاه المدينة، وخرج هو في وضح النهار بالفواطم، ومعه أيمن ابن أمّ أيمن وأبو واقد الليثي، فجعل أبو واقد يجدّ السير مخافة أن تلحقهم قريش وتحول بينهم وبين إتمام مسيرة الهجرة، فقال له علي عليه السلام: «**ارفق بالنسوة يا أبا واقد**، وارتجز يقول:

ليس إلّا الله فارفع ظنّكا يكفيك ربّ الخلق ما أهمّكا»

ولما شارف ضجنان أدركه طلب قريش، وكانوا ثمانية من فرسانهم، فاستقبلهم أمير المؤمنين عليه السلام بسيفه وشدّ عليهم حتىٰ فرّقهم عن ركب الفواطم، وقتل منهم جناح مولىٰ حرب بن أُميّة، ولاذ الباقون بالفرار، ومكث أمير المؤمنين عليه السلام في ضجنان قدر يومه وليلته، ولحق به نفرٌ من المستضعفين من المؤمنين، وفيهم أُمّ أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فظلّ ليلته تلك هو والفواطم طوراً يصلّون وطوراً يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلىٰ جنوبهم، فلم يزالوا كذلك حتىٰ طلع الفجر، فصلّىٰ علي عليه السلام بهم صلاة الفجر، ثم سار لوجهه، فجعل يجوب منزلاً بعد منزل لا يفتر عن ذكر الله، والفواطم كذلك وغيرهنّ ممّن صحبه عليه السلام حتىٰ قدموا المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم بقوله تعالىٰ: ﴿**الذين يذكرون**

الله قياماً وقعوداً وعلىٰ جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ﴾ إلىٰ قوله سبحانه: ﴿ **فاستجاب لهم ربهم إنّي لا أُضيع عمل عاملٍ منكم من ذكر أو أنثىٰ** ﴾[1] الذكر: علي عليه السلام، والأُنثىٰ: الفواطم المتقدّم ذكرهنّ[2].

وعن ابن عباس: هاجرت فاطمة مع أمير المؤمنين عليهما السلام فقدمت المدينة، فأنزلها النبي صلى الله عليه وآله علىٰ أمّ أيوب الأنصاري، وخطب رسول الله صلى الله عليه وآله النساء، وتزوج سودة أول دخوله المدينة فنقل فاطمة عليها السلام إليها، ثم تزوج أُمّ سلمة فقالت أُمّ سلمة: تزوجني رسول الله صلى الله عليه وآله وفوّض أمر ابنته إليّ، فكنت أدلّها وأؤدّبها، وكانت والله آدب مني، وأعرف بالأشياء كلّها، وكيف لا تكون كذلك وهي سلالة الأنبياء[3].

المبحث الثاني: أسماؤها وألقابها وشمائلها عليها السلام:

عرفت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله بجملة من الأسماء والألقاب، وطبيعي أنّه كلّما كان الإنسان من ذوي المنزلة والمكانة تعددت أسماؤه.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عزَّ وجلَّ: فاطمة، والصديقة، والمباركة، والطاهرة، والزكية، والراضية، والمرضية، والمحُدَّثة،**

---

١) سورة آل‌عمران: ٣/ ١٩١ ـ ١٩٥.

٢) أمالي الطوسي: ٤٦٣ ـ ٤٧٢ / ١٠٣١، طبع مؤسسة البعثة ـ قم، مسنداً بعدة طرق عن عمار بن ياسر وأبي رافع مولىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وهند بن أبي هالة ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وأخي الزهراء عليها السلام من أُمّها خديجة (رضي الله عنهم أجمعين).

٣) دلائل الإمامة: ٨١/ ٢١.

والزهراء» [١].

وأضاف ابن شهر آشوب عن أبي جعفر القمي رحمه الله: البتول، الحرّة، السيدة، العذراء، مريم الكبرىٰ، الصديقة الكبرىٰ [٢]. وفيما يلي نورد دلالات بعض هذه الأسماء والألقاب التي تشير إلىٰ خصائصها الفريدة ومناقبها الفذّة، وما اتسمت به من الصدق والبركة والطهارة والرضا والفضل العميم علىٰ سائر النساء.

١ ـ فاطمة:

تقدّم في ولادتها عليها السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد سمّاها فاطمة بأمر الله تعالىٰ، وهذا الاسم مشتق من الفطم بمعنىٰ القطع، يقال: فطمت الأُمّ صبيها، وفطمت الرجل عن عادته، والفاعل منه فاطم وفاطمة.

وسبب التسمية هو أن الله تعالىٰ فطمها وفطم ذريتها ومحبيها عن النار علىٰ ما جاء في الحديث الشريف، فجعلها سبحانه سيدة نساء أهل الجنة، وجعل من ذريتها الحسن والحسين عليهما السلام سيدي شباب أهل الجنّة، وجعل محبتها منجية من النار، لأنّها محبّة لقيم العفاف ومبادىء الشرف، وتعلّق بمكارم الأخلاق التي تتحلّىٰ بها سيدة النساء عليها السلام.

رویٰ جابر بن عبدالله وابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: **«إنّما سميت ابنتي فاطمة، لأنّ الله عزَّ وجلَّ فطمها وفطم محبيها عن النار»** [٣].

---

١) أمالي الصدوق: ٦٨٨ / ٩٤٥. وعلل الشرائع ١: ١٧٨ / ٣.

٢) المناقب ٣: ٣٥٧، دار الأضواء.

٣) الفردوس / الديلمي ١: ٣٤٦ / ١٣٨٥، دار الكتب العلمية. والمناقب / ابن المغازلي: ٦٥ / ٩٢.

←

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي سميت ابنتي فاطمة لأنّ الله فطمها وذريتها من النار»** (١).

ومحبة الزهراء عليها السلام المنجية من النار لابدّ أن تقترن بحبّ خصال الخير وعقائد الحقّ التي كان ينطوي عليها قلبها الطاهر، مع الانقطاع عن كل ما يمتّ إلىٰ الشرّ بصلة من الظلم والبغي والعدوان.

وواضح بأن (فاطمة) علىٰ صيغة (فاعل) ولكنها وردت في الحديثين الشريفين بمعنىٰ صيغة (مفعول)؛ لكونها (مفطومة). ولهذا نظائر في القرآن الكريم ولغة العرب، قال تعالىٰ: ﴿**عيشة راضية**﴾ (٢) قيل: أي مرضية، وقوله تعالىٰ: ﴿**ماء دافق**﴾ (٣) قيل: أي مدفوق. وكقولهم: سرّ كاتم، أي مكتوم وغيرها كثير.

ولكن هذا الاسم الشريف (فاطمة) جاء في حديث آخر علىٰ صيغة (فاعل) تعبيراً عن وصفه ولم يصرف إلىٰ معنىٰ (مفعول).

قال صلى الله عليه وآله: **«سمّيت فاطمة لأنّها فطمت شيعتها من النار، وفُطم أعداؤها عن حبّها»** (٤).

➔ وإسعاف الراغبين / الصبّان: ١١٨، دار الكتب العلمية. ومسند فاطمة الزهراء عليها السلام / السيوطي: ٥٠ ـ ٥١. ومقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٥١. وعيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٤٦ / ١٧٤. وعلل الشرائع ١: ١٧٨ / ١. وأمالي الطوسي: ٢٩٤ / ٥٧١. ومناقب ابن شهرآشوب ٣: ٣٢٩. وكشف الغمة ١: ٤٦٣.

١) أمالي الطوسي: ٥٧٠ / ١١٧٩. وذخائر العقبىٰ: ٢٦.

٢) سورة الطارق: ٨٦ / ٦.

٣) سورة الحاقة: ٦٩ / ٢١.

٤) معاني الأخبار / الشيخ الصدوق: ٣٩٦ / ٥٣، طبع جماعة المدرسين ـ قم.

٢ ـ الزهراء:

ويستفاد من جملة الأحاديث والأخبار أنّ فاطمةعليها السلام عـرفت بـالزهراء لجمال هيئتها والنور الساطع في غرّتها، فهي مزهرة كـالشمس الضـاحية، ومشرقة كالقمر المنير.

وسُئل الإمام الصادقعليه السلام عن فاطمةعليها السلام لِمَ سمّيت الزهـراء؟ فـقالعليه السلام: «**لأنّها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء، كما يـزهر نـور الكواكب لأهل الأرض**»(١).

وسأل أبو هاشم الجعفريرضي الله عنه صاحب العسكرعليه السلام لِمَ سميت فاطمةعليها السلام الزهراء؟ فقال: «**كان وجهها يزهر لأمير المؤمنينعليه السلام من أول النهار كالشمس الضاحية، وعـند الزوال كـالقمر المـنير، وعـند غـروب الشـمس كـالكوكب الدرّي**»(٢).

قال ابن الأثير: الزهراء: تأنيث الأزهر، وهو النيّر المُشرق مـن الألوان، ويراد به إشراق نور إيمانها، وإضاءته علىٰ إيمان غيرها(٣).

وقال المناوي: سميت بالزهراء لأنها زهرة المصطفىٰصلى الله عليه وآله وسلم(٤).

وارتجزت بعض أزواج النبيصلى الله عليه وآله وسلم في زفاف الزهراءعليها السلام قائلة:

---

١) معاني الأخبار / الشيخ الصدوق: ٦٤ / ١٥. وعـلل الشـرائـع / الشـيخ الصـدوق ١: ١٨١ / ٣. ودلائل الإمامة: ١٤٩ / ٥٩. وبحار الانوار ٤٣: ١٢ / ٦.

٢) المناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٣٠. وبحار الأنوار ٤٣: ١٦.

٣) منال الطالب / ابن الأثير: ٥٠٨ ـ القاهرة.

٤) اتحاف السائل / المناوي: ٢٤، مكتبة القرآن ـ القاهرة.

فـــاطمة خـــير نســـاء البشــر ومــن لهــا وجــه كــوجه القــمر
فـــضلّك الله عـــلىٰ كــلّ الورىٰ بــفضل مــن خـصّ بآي الزمـر (١)

وقال الشاعر:

أضــاءت بــها الأكـوان والأرض والسـما
قـديماً وفـي الدنـيا وفـي النشأة الأُخـرىٰ

ومـــازال فـــي الأدوار يشــرق نــورها
ومــن أجـل ذاك النـور سـميت الزهـرا (٢)

وقال آخر:

شــعّت فـلا الشـمس تـحكيها ولا القـمر
زهــراء مــن نــورها الأكــوان تـزدهر (٣)

٣ ـ البتول:

البتل في اللغة: القطع، وهو يرادف الفطم من حيث المعنىٰ، وقد عرفت الزهراء عليها السلام بهذا الاسم لتفرّدها عن سائر نساء العالمين بخصائص تـميزت بها، كما تدل عليه الأحاديث وأقوال أهل اللغة.

أما في الأحاديث: فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **«إنّ النـبي صلى الله عليه وآله وسلم سُئِلَ ما البتول؟ فإنّا سمعناك يا رسول الله تقول: إنّ مريم بتول وفاطمة بتول.**

---

١) المناقب / ابن شهر آشوب ٣: ٣٥٥.

٢) من قصيدة للشيخ علي الجشي في ديوانه ١: ٧٦، مطبعة النجف ١٣٨٣ ﻫ.

٣) من قصيدة للسيد محمد جمال الهاشمي في ديوانه (مع النبي وآله عليهم السلام): ٣٤، الطبعة الأُولىٰ.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: **البتول التي لم تر حمرةً قط ـ أي لم تحض ـ فإنّ الحيض مكروه في بنات الأنبياء»** [١]، وتنزيهها عن الحيض باعتباره أذىً يشير إلىٰ علوّ مقامها وإلىٰ خصوصية تفردت بها عن سواها، لأنّها من أهل البيت الذين طهرهم ربهم من الرجس تطهيراً، وهو أمر غير مستبعد لكثرة المؤيدات له في الأحاديث والآثار.

منها: ما رواه أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **«حرّم الله النساء علىٰ علي عليه السلام ما دامت فاطمة عليها السلام حية»** قال: قلت: كيف؟ قال: **«لأنّها طاهرة لا تحيض»** [٢].

ومنها: ما أخرجه الطبراني وغيره بالاسناد عن عائشة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **«إنّ فاطمة ليست كنساء الآدميين ولا تعتلّ كما يعتللن»** [٣].

ومنها: ما أخرجه النسائي والخطيب والمحب الطبري بالاسناد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«إنّ ابنتي فاطمة حوراء آدمية، لم تحض ولم تطمث»** [٤].

ومنها: ما رواه ابن المغازلي وغيره بالاسناد عن أسماء بنت عميس، قالت: شهدتُ فاطمة عليها السلام وقد ولدت بعض ولدها فلم يُرَ لها دم، فقال

---

١) معاني الأخبار: ٦٤ / ١٧. وعلل الشرائع: ١٨١ / ١. ومناقب ابن شهرآشوب ٣: ٣٣٠. ودلائل الإمامة: ١٤٩ / ٦٧.

٢) تهذيب الأحكام / الطوسي ٧: ٤٧٥ / ١١٦. ومناقب ابن شهرآشوب ٣: ٣٣٠.

٣) المعجم الكبير / الطبراني ٢٢: ٤٠٠ / ١٠٠٠. واعلام الورىٰ / الطبرسي ١: ٢٩١. ومناقب ابن شهرآشوب ٣: ٣٣٠. ومقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٦٤.

٤) تاريخ بغداد ١٢: ٣٣١. وذخائر العقبىٰ: ٢٦. ومسند فاطمة الزهراء عليها السلام / السيوطي: ٥٠.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **«يا أسماء، إنّ فاطمة خلقت حورية في صورة إنسية»** [١]. وفي رواية: أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لها: **«أما علمت أن ابنتي طاهرة مطهرة لا يرىٰ لها دم في طمث ولا ولادة»** [٢].

وأمّا أهل اللغة: فقد أضافوا عدة دلالات أُخرىٰ تحكي عن منزلة الزهراء عليها السلام التي لا يدانيها أحد من نساء الأُمّة، وفيما يلي بعضها.

قال الزبيدي: روي عن الزمخشري، أنّه قال: لقبت فاطمة بنت سيد المرسلين عليها السلام بالبتول تشبيهاً بمريم عليها السلام في المنزلة عند الله تعالىٰ.

وقال ثعلب: لانقطاعها عن نساء زمانها وعن نساء الأُمّة فضلاً وديناً وحسباً وعفافاً، وهي سيدة نساء العالمين، وأُمّ أولاده صلى الله عليه وآله وسلم ورضي الله عنها وعنهم.

وقيل: البتول من النساء: المنقطعة عن الدنيا إلىٰ الله تعالىٰ، وبه لقّبت فاطمة أيضاً (رضي الله عنها) [٣].

وقال الجزري بنحو قول ثعلب، وأضاف في آخره: وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلىٰ الله [٤].

وقال به أيضاً أحمد بن يحيىٰ علىٰ ما نقله عنه ابن منظور. وأضاف ابن منظور: امرأة متبتلة الخلق: أي منقطعة الخلق عن النساء، لها عليهنّ فضل. وقيل: التامة الخلق. وقيل: تبتيل خلقها: انفراد كلّ شيء منها بحسنه، لا

---

١) المناقب / ابن المغازلي: ٣٦٩ / ٤١٦. وكشف الغمة ١: ٤٦٣. ودلائل الامامة: ١٤٨ / ٥٦.

٢) ذخائر العقبىٰ: ٤٤.

٣) تاج العروس / الزبيدي ٧: ٣٣٠ ـ بتل ـ.

٤) النهاية ١: ٩٤ ـ بتل ـ.

يتكل بعضه علىٰ بعض [١].

وعن الهروي في (الغريبين)، قال: سميت فاطمة عليها السلام بتولاً؛ لأنّها بتلت عن النظير [٢].

٤ ـ المُحَدَّثة:

المُحَدَّث: من تكلّمه الملائكة بلا نبوّة ولا رؤية صورة، أو يُلهم له ويلقىٰ في روعه شيء من العلم علىٰ وجه الالهام والمكاشفة من المبدأ الأعلىٰ، أو ينكت له في قلبه من حقائق تخفىٰ علىٰ غيره [٣].

وهذه كرامة يكرم الله بها من شاء من صالح عباده، ومنزلة جليلة من منازل الأولياء، حضيت بها الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم علىٰ ما جاء في كثير من الروايات، منها ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: **«إنّما سميت فاطمة عليها السلام محدّثة، لأنّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران، فتقول: يافاطمة، إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك علىٰ نساء العالمين. يا فاطمة، اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين. فتحدّثهم ويحدّثونها. فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضّلة علىٰ نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إنّ مريم كانت سيدة نساء عالمها، وإنّ الله عزَّ وجلَّ جعلك سيدة نساء عالمك وعالمها، وسيدة نساء الأولين والآخرين»** [٤].

وقد اتضح من التعريف المتقدم أنّ المحدَّث غير النبي، وأنّه ليس كلّ

---

١) لسان العرب ١١: ٤٣ ـ بتل ـ.

٢) المناقب / ابن شهر آشوب ٣: ٣٣٠.

٣) الغدير / الأميني ٥: ٤٢، دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

٤) علل الشرائع ١: ١٨٢ / ١. ودلائل الإمامة: ٨٠ / ٢٠. وبحار الأنوار ٤٣: ٧٨ / ٦٥.

محدّث نبي، ولكن قد يتصور البعض أنّ الملائكة لا تحدّث إلّا الأنبياء، وهو تصور غير صحيح ومنافٍ للكتاب الكريم والسُنّة المطهّرة، فمريم بنت عمران عليها السلام كانت محدثة ولم تكن نبية، قال تعالىٰ: ﴿**وإذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله اصطفاك وطهّرك**﴾[١] وأمّ موسىٰ كانت محدثة ولم تكن نبية، قال تعالىٰ: ﴿**وأوحينا إلىٰ أُمّ موسىٰ أن ارضعيه**﴾[٢] وقال سبحانه مخاطباً موسىٰ عليه السلام: ﴿**إذ أوحينا إلىٰ أُمّك ما يوحىٰ**﴾[٣] وسارة امرأة نبي الله إبراهيم عليه السلام قد بشرتها الملائكة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب[٤]، ولم تكن نبية، ونفي النبوة عن النساء المتقدمات وعن غيرهن ثابت بقوله تعالىٰ: ﴿**وما أرسلنا قبلك إلّا رجالاً نوحي إليهم**﴾[٥] ولم يقل نساءً، وعليه فالمُحدَّثون ليسوا برُسل ولا أنبياء، وقد كانت الملائكة تحدّثهم، والزهراء عليها السلام كانت مُحدَّثة ولم تكن نبية، كما يحلو للبعض أن يقوله ويقذف به الفرقة الناجية[٦].

٥ ـ الصدّيقة:

وهي صيغة مبالغة في الصدق والتصديق، وقد عرفت الزهراء عليها السلام بالصديقة، والصديقة الكبرىٰ، أي كانت كثيرة التصديق لما جاء به أبوها صلى الله عليه وآله وسلم وقويّة الإيمان به، كما انّها كانت صادقة في جميع أقوالها

---

١) سورة آل عمران: ٣ / ٤٢.
٢) سورة القصص: ٢٨ / ٧.
٣) سورة طه: ٢٠ / ٣٨.
٤) راجع الآيات من ٧١ ـ ٧٣ من سورة هود.
٥) سورة الأنبياء: ٢١ / ٧.
٦) أمثال عبدالله القصيمي في كتابه «الصراع بين الإسلام والوثنية».

بأفعالها [١].

روىٰ الشيخ الكليني باسناده عن علي بن جعفر، عن أخيه أبي الحسن عليه السلام، قال: **«إنّ فاطمة عليها السلام صديقة شهيدة»** [٢].

وأخرج المحبُّ الطبري في (الرياض النضرة) أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال للإمام علي عليه السلام: **«أوتيت ثلاثاً لم يؤتهنّ أحد ولا أنا: أوتيتَ صهراً [٣] مثلي، ولم أوت أنا مثلك، وأوتيت زوجة صديقة مثل ابنتي ولم أُوت مثلها زوجة، وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبي مثلهما، ولكنكم مني وأنا منكم»** [٤].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم للإمام علي عليه السلام: **«يا علي، إني قد أوصيت فاطمة ابنتي بأشياء، وأمرتها أن تلقيها إليك فأنفذها، فهي الصادقة الصدوقة»** [٥].

وأخرج الحاكم وغيره عن عائشة: أنها إذا ذكرت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجةً منها إلّا أن يكون الذي ولدها [٦].

كناها:

كانت عليها السلام تُكنىٰ بأسماء أبنائها عليهم السلام فهي أُمّ الحسن، وأُمّ الحسين، وأُمّ

---

١) مرآة العقول / العلّامة المجلسي ٥: ٣١٥ دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

٢) الكافي ١: ٤٥٨ / ٢.

٣) الصهر في اللغة: هو زوج بنت الرجل، وأبو زوجة الرجل أيضاً. أُنظر لسان العرب ـ صهر ـ ٤: ٤٧١.

٤) الرياض النضرة / المحب الطبري ٣: ١٧٢ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٥) بحار الأنوار ٢٢: ٤٩١ عن كتاب الطرف للسيد ابن طاووس.

٦) مستدرك الحاكم ٣: ١٦٠ وصحّحه علىٰ شرط مسلم. والاستيعاب ٤: ٣٧٧. وذخائر العقبىٰ: ٤٤.

المحسن، وأُمّ الأئمة [١].

وعن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام: **«أنّ فاطمة عليها السلام كانت تُكنىٰ أُمّ أبيها»** [٢]. وروي ذلك عن مصعب بن عبدالله الزبيري، ومحمد بن علي المديني وابن الأثير [٣].

أُمّ أبيها:

ومن الاوسمة الرفيعة الخالدة التي لم تمنح لبنت نبيّ قط غير الزهراء عليها السلام ما منحه أشرف الرسل والأنبياء لسيدة النساء: (أم أبيها) صلوات الله عليها.

إنّها كنية ما أجلّها وأعظمها! فهي تعبر عن عمق الارتباط الروحي الضخم بين المانح العظيم المقدس وبين الممنوحة الطاهرة المطهرة بحكم التنزيه من كل رجس ودنس.

نعم، هذه الكنية جديرة بالتأمل والتدبر، فهي هتاف ملأ الكون بصداه، ونداء لكلِّ جيل يتدبر معناه، وتنبيه للأُمّة بما ينبغي عليها من توقير البتول وحفظ مقامها الشامخ من قلب الرسول.

لقد تبوّأت الزهراء عليها السلام هذا المقام العظيم من قلب أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، لا لكونها ابنته، وإنّما أراد الله عزَّ وجلّ لها ذلك المقام المحمود زيادة علىٰ مواقفها

---

١) مناقب ابن شهرآشوب ٣: ٣٥٧. والهداية الكبرىٰ / الخصيبي: ١٧٦ مؤسسة البلاغ ـ بيروت. وبحار الأنوار ٤٣: ١٦ / ١٥.

٢) مقاتل الطالبيين / أبي الفرج: ٢٩ ـ النجف الأشرف. والمناقب / ابن المغازلي: ٣٤٠ / ٣٩٢. والاستيعاب ٤: ٣٨٠ عن الإمام الصادق عليه السلام. وبحار الأنوار ٤٣: ١٩ / ١٩.

٣) المعجم الكبير ٢٢: ٣٩٧ / ٩٨٥ و ٩٨٨. وأُسد الغابة ٥: ٥٢٠. ومجمع الزوائد ٩: ٢١١. واتحاف السائل: ٢٥.

الفريدة والتي سنذكر طرقاً منها فنقول:

كانت الزهراء عليها السلام أحب الناس الىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [١]، وهي بهجة قلبه وبضعة منه، يغضب لغضبها، ويرضىٰ لرضاها، ويغضبه ما يغضبها، ويبسطه ما يبسطها، ويؤذيه ما يؤذيها، ويسرّه ما يسرّها [٢].

وكانت إذا دخلت علىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قام إليها فقبّلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها [٣].

وإذا أراد سفراً أو غزاة كان صلى الله عليه وآله وسلم آخر الناس عهداً بفاطمة عليها السلام، وإذا قدم كان صلى الله عليه وآله وسلم أول الناس عهداً بفاطمة عليها السلام [٤]، وكان صلى الله عليه وآله وسلم لا ينام حتىٰ يقبّل عرض وجهها،... ويدعو لها [٥].

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يكثر من زيارتها وتعهدها ويقول لها: **«فداك أبي وأُمّي»** [٦] ويقبّل رأسها فيقول: **«فداك أبوك»** [٧] وكان صلى الله عليه وآله وسلم يعينها علىٰ الجاروش

---

١) المعجم الكبير ٢٢: ٣٩٧ / ٩٨٦.

٢) راجع: صحيح مسلم ٤: ١٩٠٣ / ٩٤. ومستدرك الحاكم ٣: ١٥٤. ومسند أحمد ٤: ٥ دار الفكر ـ بيروت.

٣) سنن الترمذي ٥: ٧٠٠ / ٣٨٧٢ دار احياء التراث العربي ـ بيروت. وجامع الأُصول / الجزري ١٠: ٨٦ دار احياء التراث العربي ـ بيروت. ومستدرك الحاكم ٤: ٢٧٢.

٤) مستدرك الحاكم ١: ٤٨٩ و ٣: ١٦٥. ومقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي ١: ٥٦. وذخائر العقبىٰ: ٣٧. ومسند أحمد ٥: ٢٧٥.

٥) مناقب ابن شهرآشوب ٣: ٣٣٤. ومقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي ١: ٦٦.

٦) مستدرك الحاكم ٣: ١٥٦.

٧) مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي ١: ٦٦. وذخائر العقبىٰ: ١٣٠.

والرحىٰ(١).

وحينما استشهد حمزة بن عبدالمطلب عليه السلام في أُحد بكت فاطمة الزهراء عليها السلام فانهلت دموع المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم لبكائها(٢)، وحينما ماتت رقية قعدت علىٰ شفير قبرها إلىٰ جنب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي تبكي، فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمسح الدموع عن عينيها بطرف ثوبه رحمةً لها(٣).

أما تعامل الزهراء عليها السلام مع أبيها صلى الله عليه وآله وسلم فقد كانت تهتم به اهتمام الأُمّ بولدها(٤)، فمنذ أيام طفولتها كانت تدفع عنه أذىٰ المشركين(٥)، وتخفّف آلامه وتضمد جروحه(٦)، وتمسح الدم عن وجهه في الحرب(٧)، وإذا عاد من سفرٍ بادرت إلىٰ استقباله واعتنقته وقبّلت بين عينيه، وكانت تتأثر لحاله وتحنو عليه.

أخرج الطبراني والحاكم وغيرهما عن أبي ثعلبة الخشني، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قدم من سفر، صلّىٰ في المسجد ركعتين، ثمّ أتىٰ فاطمة فتلقته علىٰ باب البيت، فجعلت تلثم فاه وعينيه وتبكي، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«ما يبكيك؟»** فقالت: **«أراك شعثاً نصباً، قد أخلولقت ثيابك»** فقال لها: **«لا تبكي، فإنّ الله قد بعث أباك بأمرٍ لا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض بيت ولا مدر ولا حجر ولا**

---

١) بحار الأنوار / المجلسي ٤٣: ٥٠ / ٤٧ عن ابن شاذان.

٢) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٧ دار احياء الكتب العربية.

٣) مسند أحمد ١: ٣٣٥. وتاريخ المدينة المنورة / ابن شبة ١: ١٠٣ دار الفكر ـ بيروت.

٤) البدء والتاريخ / المقدسي ٥: ٢٠ مكتبة الثقافة الدينية.

٥) صحيح مسلم ٣: ١٤١٨ / ١٠٧ كتاب الجهاد والسير.

٦) صحيح مسلم ٣: ١٤١٦ / ١٠١ كتاب الجهاد والسير.

٧) المغازي / الواقدي ١: ٢٤٩ عالم الكتب ـ بيروت.

وبر ولا شعر إلّا أدخله الله به عزّاً أو ذلاً حتىٰ يبلغ حيث بلغ الليل»[١].

وكانت «سلام الله عليها» تؤثره بما عندها من طعام كالأُمّ المشفقة علىٰ ولدها، فعن أنس، قال: جاءت فاطمة عليها السلام بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: **«ما هذه الكسرة؟»** قالت: **«قرص خبزته ولم تطب نفسي حتىٰ أتيتك بهذه الكسرة..»**[٢].

وعن عبدالله بن الحسن قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علىٰ فاطمة عليها السلام فقدّمت إليه كسرة يابسة من خبز شعير، فأفطر عليها، ثم قال: **«يابنية، هذا أول خبزٍ أكل أبوك منذ ثلاثة أيام»**، فجعلت فاطمة عليها السلام تبكي ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمسح وجهها بيده[٣].

ولمّا اختار الله سبحانه لنبيه دار رضوانه ومأوىٰ أصفيائه، كانت الزهراء عليها السلام كالأمّ التي فقدت وحيدها، فما رؤيت عليها السلام ضاحكة قطّ منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتىٰ قبضت[٤]، ومازالت بعده معصبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدّة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يغشىٰ عليها ساعة بعد ساعة[٥]، تشمّ قميصه فيغشىٰ عليها[٦]، وسمعت بلالاً يؤذّن حتىٰ إذا بلغ:

---

١) المعجم الكبير ٢٢: ٢٢٥ / ٥٩٥ و ٥٩٦. ومستدرك الحاكم ١: ٤٨٨ و ٣: ١٥٥. وحلية الأولياء / أبو نعيم ٣: ٣٠ و ٦: ١٢٣ دار الكتب العلمية. ومقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي ١: ٦٣. وذخائر العقبىٰ: ٣٧.

٢) مجمع الزوائد ١٠: ٣١٢.

٣) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٣٣. وبحار الأنوار ٤٣: ٤٠.

٤) المعجم الكبير / الطبراني ٢٢: ٣٩٨ / ٩٨٩ و ٩٩٠ و ٩٩٣ و ٩٩٤. والمناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٥٩. وبحار الأنوار ٤٣: ١٩٦.

٥) مناقب ابن شهرآشوب ٣: ٣٦٢. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨١.

أشهد أن محمداً رسول الله، شهقت وسقطت لوجهها وغشي عليها حتىٰ ظنّ بأنّها عليها السلام قد فارقت الحياة (٧).

وكانت تقول:

إنّـا فقدناك فقد الأرض وابلها
واختلّ قومك فاشهدهم فقد نكبوا

فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت
منّا العيون بتهمالٍ له سكبُ (٨)

هذه هي بعض الموارد التي تحكي لنا طبيعة العلاقة بين الرسول المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وأحبّ الناس إليه فاطمة الزهراء عليها السلام، ولو أتينا علىٰ جميع ما ورد في إكرامه لها وإلطافه بها وشفقته عليها، لخرجنا عن شرط الاختصار في هذا البحث، وعلىٰ العموم كانت عليها السلام بمثابة الأمّ لأبيها صلى الله عليه وآله فهو يعظّمها ويبرّها ويحنو عليها، ويجد فيها كل ما يجد الولد في أُمّه من العطف والرقة والحنان والوفاء، فما أجدرها إذن بتلك الكنية الرفيعة: أمّ أبيها!

فانظر إلىٰ كرامة البنات وعزّتهن بالإسلام، فالبنت التي كانت مصدر شؤمٍ وعارٍ في أعراف الجاهلية، أصبحت في رحاب الإسلام أُمّاً للنبي الخاتم سيد البشر صلى الله عليه وآله.

قال الشاعر:

---

٦) مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي ١: ٧٧. وبحار الأنوار ٤٣: ١٥٧ / ٦.

٧) الفقيه / الشيخ الصدوق ١: ١٩٤ / ٩٠٦ دار الكتب الاسلامية. وبحار الانوار ٤٣: ١٥٧ / ٧.

٨) أمالي الشيخ المفيد: ٤١ / ٨ طبع جماعة المدرسين ـ قم. والبيتان من قصيدة مروية في عدة مصادر. راجع فاطمة الزهراء في ديوان الشعر العربي: ١٦ مؤسسة البعثة ـ قم.

بـــضعة مــــن أبٍ عـــظيم يـــراهـــا
نـــور عـــينيه مشـــرقاً فــــي رداءِ[١]

فـــهي أحـــلىٰ فـــي جـــفنه مـــن لذيــذ الـ
حُـــــــلمِ غِبّ الهـــجود والإعـــياءِ

وهـــي قـــطبُ الحـــنان فـــي صـــدر طــه
واخـــــــتصار البـــــنات والأبـــناءِ

غـــيّب المـــوت مـــن خـــديجة وجـــهاً
فـــــإذا فـــــاطم مـــعين العـــزاءِ

تـــحسب الكـــــون بســـمةً مـــن أبـــيها
فـــهي أُمّ تـــذوب فــــي الإرضـــاءِ[٢]

وشـيء آخـر يـمكن اسـتخلاصه مـن هـذه الكـنية التـي تشـرفت بـها الزهراء عليها السلام وهو أن الأمّ في اللغة بمعنىٰ الأصل، وفاطمة عليها السلام هي الفرع الفذّ النامي من الشجرة المحمدية الذي حـافظ عـلىٰ بـقاء الأصـل وديـمومته، فأخرج للناس ثمار تلك الشجرة الباسقة.

عن عبدالرحمن بن عوف قـال: سـمعتُ رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم يـقول: **«أنـا الشجرة، وفاطمة فرعها، وعلي لقاحها، والحسن والحسين ثمرها، وشـيعتنا ورقها، وأصل الشجرة في جنة عدن، وسائر ذلك في سائر الجنة»**[٣].

---

١) أي في حسن ونضارة.

٢) من قصيدة لبولس سلامة بعنوان عيد الغدير: ٨٠ الطبعة الرابعة ـ طهران.

٣) مستدرك الحاكم ٣: ١٦٠. ومقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٦١.

وقد استلهم بعضهم هذا المعنىٰ فأنشد:

كما الله سمّاها بفاطم إذ قضىٰ
بفطم محبيها من النار في الأُخرىٰ
بأُمّ أبيها كنّيت إذ بفاطم
بقىٰ ذكره في الناس والملّة الغرّا[1]

حليتها وشمائلها:

كانت الزهراء عليها السلام تشبه أباها صلى الله عليه وآله وسلم خلقاً وأخلاقاً ومنطقاً، وقد وصفها الصحابة المعاصرون لها بأنّها كانت كأبيها صلى الله عليه وآله وسلم في مشيته وجلسته وسمته وهديه ما تخطي منه شيئاً.

عن أنس بن مالك، قال: لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الحسن ابن علي وفاطمة عليهما السلام[2].

وعن عائشة، قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلّاً وهدياً وحديثاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قيامه وقعوده من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[3].

وقالت: أقبلت فاطمة تمشي كأنّ مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[4].

وعن جابر بن عبدالله، قال: ما رأيت فاطمة تمشي إلّا ذكرت رسول

---

١) البيتان للشيخ علي الجشي من ديوانه ١: ٧٦ مطبعة النجف ١٣٨٣هـ.
٢) مسند أحمد ٣: ١٦٤.
٣) سنن الترمذي ٥: ٧٠٠ / ٣٨٧٢. وجامع الأُصول ١٠: ٨٦. ومستدرك الحاكم ٤: ٢٧٢.
٤) مسند أحمد ٦: ٢٨٢.

الله صلى الله عليه وآله وسلم تميل على جانبها الأيمن مرّة، وعلى جانبها الأيسر مرة [١].

وعن أُمّ سلمة، قالت: كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشبه الناس وجهاً وشبهاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [٢].

وكانت الزهراء عليها السلام المثل الأعلىٰ في خَلقِها وخُلُقِها وسموها وتفوقها في كلِّ الفضائل والصفات الإنسانية العليا علىٰ جميع نساء أهل الدنيا، حتىٰ بلغ من كمالها أن وصفها النبي صلى الله عليه وآله وسلم مراراً وتكراراً بالحورية، فسبحان من خصّها بما خصّها وفضّلها علىٰ نساء العالمين.

المبحث الثالث: زواجها عليها السلام:

إنّ المتأمل لمفردات زواج الزهراء عليها السلام يلمس فيه أعلىٰ معاني الكمال الإنساني والشرف الخلقي، ويجد فيه أكثر من سنّة نبوية مباركة، ويستلهم منه المزيد من العظات والعبر التي تسهم في حلِّ الصعوبات التي تعترض الحياة الزوجية في كلِّ زمان ومكان، وقبل البحث في بعض هذه المفردات، لابدّ من بيان تاريخ زواجها وعمرها عند الزواج.

تاريخ زواجها:

اختلف المحدثون والمؤرخون في السنة التي تزوّج فيها أمير المؤمنين عليه السلام بالزهراء عليها السلام، فقيل: تزوجها بعد هجرتها إلىٰ المدينة بسنة، وبنىٰ بها بعد سنة [٣]. وقيل: بنىٰ بها في ذي الحجة من السنة الثانية

---

١) المناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٥٧. وكشف الغمة / الاربلي ١: ٤٦٣. وبحار الأنوار ٤٣: ٦ / ٧.

٢) كشف الغمة ١: ٤٧١. وبحار الأنوار ٤٣: ٥٥.

٣) البدء والتاريخ ٥: ٢٠. ومقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي ١: ٨٣. والهداية الكبرىٰ: ٣.

للهجرة [١]. وقيل كان زفافها سنة ثلاث من الهجرة [٢]، ومهما اختلفت الأقوال، فإنّ المتعين أن زفافها كان بعد غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة.

وكذلك اختلف في يوم زواجها عليها السلام فقيل: تزوجها في أول ذي الحجة [٣]. وقيل: في السادس منه يوم الثلاثاء، وروي أيضاً لأيام خلت من شوال بعد وفاة أُختها رقية [٤]. وقيل: كان تزويجها في صفر بعد الهجرة، وبنىٰ بها بعد رجوعه من غزاة بدر [٥]. وقيل: تزوجها في شهر رمضان، وبنىٰ بها في ذي الحجة [٦]. وقيل: كان زفافها ليلة الخميس إحدىٰ وعشرين من المحرم [٧]. وأخيراً قيل: تزوجها في رجب بعد مقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلىٰ المدينة بخمسة أشهر، وبنىٰ بها بعد رجوعه من بدر [٨]. والمشهور الأول أي الأول من ذي الحجة.

عمرها عند الزواج:

تختلف الروايات في مقدار عمرها عليها السلام عند الزواج بحسب الاختلاف الحاصل في تاريخ ولادتها وزواجها، فإن قلنا: إنّ ولادتها بعد المبعث

---

١) كشف الغمة / الاربلي ١: ٣٦٤. وبحار الأنوار ٤٣: ١٣٦.
٢) إقبال الأعمال / السيد ابن طاووس: ٥٨٤. وبحار الأنوار ٤٣: ٩٢ / ١.
٣) مصباح المتهجد / الشيخ الطوسي: ٦٧١ مؤسسة فقه الشيعة ـ بيروت. ومصباح الكفعمي: ٥١٤. وبحار الأنوار ٤٣: ٩٢ / ٢.
٤) أمالي الطوسي: ٤٣ / ١٦. وبحار الأنوار ٤٣: ٩٧ / ٧.
٥) مقاتل الطالبيين: ٣٠.
٦) كشف الغمة / الاربلي ١: ٣٦٤. وبحار الأنوار ٤٣: ١٣٦.
٧) اقبال الأعمال / السيد ابن طاووس: ٥٨٤. وبحار الأنوار ٤٣: ٩٢ / ١.
٨) طبقات ابن سعد ٨: ٢٢ دار صادر ـ بيروت. الثغور الباسمة: ٢٧.

بخمس سنين، يكون عمرها عند الزواج تسع سنين أو عشر أو إحدىٰ عشرة سنة، وفق اختلاف الرواية في تزويجها بعد الهجرة بسنة أو سنتين أو ثلاث، والمشهور الأول.

وقيل أيضاً: كان عمرها عند الزواج اثنتي عشرة سنة، أو ثلاث عشرة، أو أربع عشرة، ولم يروِ أصحابنا في مبلغ عمرها يوم تزويجها أكثر من ذلك [١].

وفي الاستيعاب: كان سنّها يوم تزويجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، وكان سنّ عليعليه السلام إحدىٰ وعشرين سنة [٢].

وفي رواية أبي الفرج وابن سعد وابن حجر: أنّه كان لها يوم تزويجها ثماني عشرة سنة [٣].

ولا ريب أن ذلك سنها يوم وفاتهاعليها السلام وفقاً للرواية التي رجّحناها في مولدهاعليها السلام، فإن كان ذلك مبنياً علىٰ أنّ ولادتها قبل البعثة بخمس سنين، فينبغي أن يكون عمرها عند الزواج تسع عشرة سنة أو عشرين سنة أو إحدىٰ وعشرين، علىٰ اختلاف الروايات في تزويجها بعد الهجرة بسنة أو بسنتين أو ثلاث، والله العالم بحقيقة الحال.

الخطبة:

تعرّض لخطبة الزهراءعليها السلام أكابر قريش، وكلّما ذكرها أحد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صدّ عنه، عن أنس بن مالك، قال: جاء أبو بكر إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم **فقعد** بين يديه، فقال: يا رسول الله، قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلام وإنّي وإنّي، قال: **«وما ذلك؟»** قال: تزوجني فاطمة، فأعرض عنه. وأتىٰ عمر إلىٰ

---

١) المجالس السنية / السيد محسن الأمين ٥: ٤٥ الطبعة الخامسة.

٢) الاستيعاب ٤: ٣٧٤. وراجع: ذخائر العقبىٰ: ٢٦. والثغور الباسمة: ٦. وأعلام النساء ٣: ١١٩٩.

٣) مقاتل الطالبيين: ٣٠. والإصابة ٤: ٣٧٧. وطبقات ابن سعد ٨: ٢٢.

النبي صلى الله عليه وآله فقال له مثل ذلك فأعرض عنه [١]، وخطبها عبد الرحمن بن عوف فلم يجبه [٢]، وكان صلى الله عليه وآله ينتظر بها القضاء.

روىٰ ابن شاهين وغيره عن عبدالله بن بريدة، قال: إنّ أبا بكر خطب إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله فاطمة، فقال: **«انتظر بها القضاء»**، ثم خطب إليه عمر، فقال: **«انتظر بها القضاء»** ثمّ خطب إليه علي فزوجها منه [٣].

وعن أبي أيوب الأنصاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: **«أُمرت بتزويجك من السماء»** [٤].

وعن عبدالله بن مسعود، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **«إنّ الله أمرني أن أُزوج فاطمة من علي، ففعلت»** [٥].

وعن أنس، قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله فغشيه الوحي، فلمّا سُرّي عنه قال: **«يا أنس، أتدري ما جاءني به جبرئيل من عند صاحب العرش؟** قال: الله ورسوله أعلم. **قال: إنّ الله أمرني أن أُزوّج فاطمة من علي»** [٦].

قال الحرّ العاملي رحمه الله في منظومته:

---

١) المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٩ / ١٠٢١. ومجمع الزوائد ٩: ٢٠٦. والمناقب / ابن المغازلي: ٣٤٧ / ٣٩٩.

٢) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٤٥. وكشف الغمة ١: ٣٦٨. وبحار الانوار ٤٣: ١٠٨ و ١٤٠.

٣) فضائل فاطمة عليها السلام / ابن شاهين: ٥٠ / ٣٦ مؤسسة الوفاء ـ بيروت. وتذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي: ٣١٨. مناقب ابن شهرآشوب ٢: ١٨٢.

٤) فضائل فاطمة عليها السلام / ابن شاهين: ٥٠ / ٣٧.

٥) المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٧ / ١٠٢٠. ومجمع الزوائد ٩: ٢٠٤. وكنز العمال ١١: ٦٠٠ / ٣٢٨٩١. ودلائل النبوة / البيهقي: ١٤٢ / ٥٠. وترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ دمشق ١: ٢٥٩ / ٣٠٢. ومقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي ١: ٧٦.

٦) كنز العمال ١١: ٦٠٦ / ٣٢٩٢٩. وذخائر العقبىٰ: ٣٠. والرياض النضرة ٣: ١٤٥.

لم يـــتولّ الله تـــزويج أحـــد
مـــن الأنـــام إلّا ثـــلاثة فـــقد
زوّج آدم بـــحوا أمـــته
وزيـــنب مـــن النـــبي خـــيرته
وفـــاطم الزهـــراء بـــالإمام
خـــير الأنـــام كـــاسر الأصـــنام(١)

وقال آخر:

وكـــم خـــاطب قـــد رُدّ فـــيها ولم يُـجَب
وكـــم طـــالبٍ صـــهراً ومـــا كـــان بـالأهلِ
ولولا عـــلي مـــا اســـتجيب لخـــاطبٍ
ولا كـــانت الزهـــرا تـــزفّ إلىٰ بـــعلِ(٢)

الكفاءة:

تبين أن إجابة أمير المؤمنين عليه السلام في الزواج من الزهراء عليها السلام وردّ سواه كانا بأمر الله سبحانه، وفي ذلك دليل علىٰ فضل أمير المؤمنين عليه السلام وكرامته ومنزلته عند الله تعالىٰ.

والزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين لابدّ أن يكون كفؤها سيد رجال الأُمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن هنا جاءت مقاييس الاختيار والترجيح علىٰ لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو يبين لابنته البتول عليها السلام فضل أمير المؤمنين عليه السلام، قال صلى الله عليه وآله وسلم: **«زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة، وإنه لأول أصحابي إسلاماً، وأكثرهم علماً**

---

١) تراجم أعلام النساء / الأعلمي ٢: ٣١٢ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

٢) مستدركات أعيان الشيعة ٢: ٣٣١ دار التعارف ـ بيروت.

وأعظمهم حلماً»[١].

وقال صلى الله عليه وآله: **«أما ترضين أن زوجتك أول المسلمين إسلاماً، وأعلمهم علماً، وإنّك سيدة نساء أُمتي كما سادت مريم نساء قومها»**[٢].

وقال صلى الله عليه وآله: **«إنّي زوجتك أقدم أُمتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً»**[٣].

وقال صلى الله عليه وآله: **«قد أصبت لك خير أهلي، وأيم الذي نفسي بيده لقد زوجتك سعيداً في الدنيا، وإنّه في الآخرة لمن الصالحين»**[٤].

وقال صلى الله عليه وآله: **«يا فاطمة، إنّي زوجتك سيداً في الدنيا، وإنّه في الآخرة من الصالحين»**[٥].

قال العبدي:

صدّيقة خُلِقت لصدّ ... يقٍ شريف في المناسب
اختاره واختارها ... طهرين من دنس المعايب
كان الإله وليها ... وأمينه جبريل خاطب[٦]

---

١) الاستيعاب ٣: ٣٦.

٢) المعجم الكبير ٢٢: ٤١٧ / ١٠٣٠.

٣) مسند أحمد ٥: ٢٦. والرياض النضرة ٣: ١٦٠. وذخائر العقبى: ٧٨. ومجمع الزوائد ٩: ١٠١ و ١١٤.

٤) المعجم الكبير ٢٢: ٤١١ / ١٠٢٢. ومجمع الزوائد ٩: ٢٠٧. وحلية الأولياء ٢: ٧٥.

٥) تاريخ بغداد ٤: ١٢٨.

٦) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٥٢.

وقال آخر:

هـي الجديرة بالكفء الكريم لها
من بالمفاخر والعليا يحاكيها
فمن يليق ببنت المصطفىٰ حسباً
ومن من العرب العرباء كافيها
ومن يناسب طه كي يصاهره
وهي المصاهرة المسعود ملفيها
غير العلي ربيب المصطفىٰ وله
سبق الهداية مذ نادىٰ مناديها
فإنّه بعد طه خير من ولدت
قريش مذ برا الباري ذراريها
لذلك اختاره ربّ السماء لها
بعلاً وأمست به الدنيا تهنّيها[١]

فكفاءة الإمام علي لفاطمةعليها السلام كفاءة تقوم علىٰ ضوء موازين الحكمة الالهية، فالله تعالىٰ هو الذي اختار الكفء للزهراءعليها السلام فكان عليّاًعليه السلام دون غيره.

قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: **«لو لم يُخلَق علي ما كان لفاطمة كفؤ»**[٢].

وقال الإمام الصادقعليه السلام: **«لولا أنّ الله تعالىٰ خلق أمير المؤمنين لم يكن**

---

١) الأبيات من القصيدة العلوية / الشاعر عبدالمسيح الانطاكي: ٩٧.

٢) الفردوس / الديلمي ٣: ٢٧٠. ومقتل الحسينعليه السلام / الخوارزمي ١: ٦٦. وكشف الغمة / الاربلي ١: ٤٧٢.

لفاطمة كفؤ علىٰ وجه الأرض، آدم فمن دونه»[١].

فلم تكن بين أهل الكساء امرأة قط غير فاطمة عليها السلام، ولم يطهّر الله امرأة من نساء العالمين من الرجس غير فاطمة عليها السلام، ولم يخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمسلمة إلىٰ مباهلة وفد نصارىٰ نجران غير فاطمة عليها السلام، ولم تكنىٰ بنت نبي بأُمّ أبيها غير فاطمة عليها السلام، ولم يكن لامرأة اجتمعت فيها هذه الخصال من كفءٍ غير يعسوب المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهكذا حكمت السماء.

وعليه فالكفاءة هنا ليست نَسَبِيّة حيث إننا قد نجد كفوءاً نسبياً للزهراء عليها السلام كأمير المؤمنين عليه السلام من سائر أبناء أبي طالب، وليس المراد الكفاءة بالمال والغنىٰ، ففي رجالات العرب من هو أغنىٰ من أمير المؤمنين عليه السلام الذي تقدم إلىٰ الزهراء عليها السلام وما كان يملك غير سيفه ودرعه وناضحه، ولكن أنّىٰ لنا أن نجد كفوءاً لها يوازيها في الحكمة والهدىٰ والرحمة وميراث النبوة وافتراض الولاء والطاعة علىٰ الناس أجمعين غير علي عليه السلام ؟

هذا، وقد يقال: ما تقول بزواج عثمان ببنتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟

قلنا: هذا قياس مع الفارق الكبير إذ لم تكن بضعة للنبي من بناته سوىٰ الزهراء عليها السلام، ولم تختص واحدة من بناته صلى الله عليه وآله وسلم بما اختصّت به البتول كما بيناه، علىٰ أن زوجتي عثمان قد زوجهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كافرين قبله، كما أن في زواج عثمان اختلافاً كثيراً كما يقول ابن شهرآشوب[٢].

---

١) المناقب / ابن شهرآشوب ٢: ١٨١. والكافي ١: ٤٦١ / ١٠. والتهذيب ٧: ٤٧٠ / ٩٠. والفقيه ٣: ٢٤٩ / ١١٨٣. وأمالي الصدوق: ٦٨٨ / ٩٤٥. وعلل الشرائع ١: ١٧٨ / ٣. والخصال / الشيخ الصدوق: ٤١٤ / ٣ طبع جماعة المدرسين ـ قم.

٢) مناقب ابن شهرآشوب ٢: ١٨٢.

وقد حقّق جملة من الباحثين في الموضوع، وخلصوا إلىٰ القول بأن زوجتي عثمان هما بنتا النبيصلى الله عليه وآله وسلم بالتبنّي، وليس من صُلبه الشريف[١]، وعلىٰ هذا يسقط الاعتراض من الأساس.

الاستئذان والمشاورة:

ودرس آخر نتعلّمه من زواج الزهراءعليها السلام هو الاستئذان من الفتاة البكر ومشاورتها واستئمارها لكسب رضاها قبل الزواج، وهو من الحقوق المهمة التي أولاها الإسلام للمرأة إظهاراً لكرامتها، وعلىٰ الرغم من أن زواج الزهراءعليها السلام كان بأمر الله تعالىٰ، فقد عمل ذلك رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم سنة وتأديباً للأُمّة.

روىٰ الشيخ الطوسي بالاسناد عن الضحاك بن مزاحم قال: سمعت علي ابن أبي طالب يقول: **«أتاني أبو بكر وعمر فقالا: لو أتيت رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم فذكرت له فاطمة. قال: فأتيته، فلما رآني رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم ضحك ثم قال: ما جاء بك يا أبا الحسن، وما حاجتك؟ قال: فذكرت له قرابتي وقدمي في الإسلام ونصرتي له وجهادي فقال: يا علي، صدقت، فأنت أفضل مما تذكر. فقلت: يا رسول الله، فاطمة تزوجنيها؟ فقال: يا علي، إنّه قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن علىٰ رسلك حتىٰ أخرج إليك فدخل إليها... فقال لها: يا فاطمة. فقالت: لبيك لبيك، حاجتك يارسول الله؟ قال: إنّ علي بن أبي طالب من قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه، وإني سألت ربي أن يزوجك خير خلقه وأحبّهم إليه، وقد ذكر من أمرك شيئاً فما ترين؟ فسكتت ولم تولّ وجهها، ولم ير فيه رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم كراهة، فقام وهو يقول: الله أكبر، سكوتها إقرارها، فأتاه جبرئيلعليه السلام فقال: يا محمد،**

---

١) راجع كتاب بنات النبيصلى الله عليه وآله وسلم / السيد جعفر مرتضىٰ العاملي.

زوّجها علي بن أبي طالب، فإنّ الله قد رضيها له ورضيه لها» [١].

وعن عطاء بن أبي رباح، قال: لمّا خطب علي فاطمة عليها السلام أتاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: **«إنّ عليّاً قد ذكرك»** فسكتت، فخرج فزوجها [٢].

وهذا لا يعارض ما تقدم من إيكال أمر زواجها بيد الله تعالىٰ بداهةً، ما دام علم الله وقضاؤه وقدره قد أحاط بالاشياء قبل إيجادها.

خطبة العقد:

وهي من السنن المستفادة من زواج الزهراء عليها السلام فقد روىٰ ابن شهرآشوب عن ابن مردويه، قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام: **«تكلم خطيباً لنفسك»** فقال: **«الحمدُ لله الذي قرب من حامديه، ودنا من سائليه، ووعد الجنة من يتقيه، وأنذر بالنار من يعصيه، نحمده علىٰ قديم إحسانه وأياديه، حمد من يعلم أنه خالقه وباريه، ومميته ومحييه، ومسائله عن مساويه، ونستعينه ونستهديه، ونؤمن به ونستكفيه، ونشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، شهادة تبلغه وترضيه، وأنّ محمداً عبده ورسوله**، الىٰ أن قال: **وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زوجني ابنته فاطمة علىٰ خمسمائة درهم وقد رضيت، فاسألوه واشهدوا»**.

فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: **«وقد زوجتك ابنتي فاطمة علىٰ ما زوجك الرحمن، وقد رضيت بما رضي الله لها، فدونك أهلك فانك أحقّ بها مني»**.

وفي خبر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«فنعم الأخ أنت، ونعم الختن أنت، ونعم الصاحب أنت، وكفاك برضا الله رضاً»** فخرّ علي عليه السلام ساجداً شكراً لله تعالىٰ

---

١) أمالي الطوسي: ٣٩ / ٤٤. وبحار الأنوار ٤٣: ٩٣ / ٤.

٢) كشف الغمة / الاربلي ١: ٣٦٥. والثغور الباسمة / السيوطي: ٣١. وذخائر العقبىٰ: ٢٩ و٣٣. والطبقات الكبرىٰ / ابن سعد ٨: ٢٠. وتذكرة الخواص: ٣٠٨.

وهو يقول: **﴿ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلىٰ والدي وان أعمل صالحاً ترضاه واصلح لي في ذريتي﴾**[١]. فقال النبي صلى الله عليه وآله: **«آمين»** فلمّا رفع رأسه قال صلى الله عليه وآله: **«بارك الله عليكما، وبارك فيكما، وأسعد جدكما، وجمع بينكما، وأخرج منكما الكثير الطيب»** ثم أمر النبي صلى الله عليه وآله بطبق بُسرٍ وأمر بنهبه، ودخل حجرة النساء، وأمر بضرب الدف[٢].

وفي حديث علي عليه السلام وأُمّ سلمة وسلمان (رضي الله عنهما) قالوا: فقال المسلمون لرسول الله صلى الله عليه وآله: زوجته يا رسول الله؟ فقال: **«نعم»** فقالوا: بارك الله لهما وعليهما، وجمع شملهما، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله إلىٰ أزواجه، فأمرهن أن يدففن لفاطمة عليها السلام، فضربن بالدفوف[٣].

المهر:

كان مهر الزهراء عليها السلام خمسمائة درهم، وهو الذي جرت به السُنّة، وقد تقدّم ذكر ذلك في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام المتقدمة، وقيل: أربعمائة مثقال فضة، وهو المروي عن أنس بن مالك، في خطبة النبي صلى الله عليه وآله حين العقد، قال أنس: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله فغشيه الوحي، فلما أفاق قال لي: **«يا أنس، أتدري ما جاءني به جبرئيل من عند صاحب العرش؟»** قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **«أمرني أن أزوّج فاطمة من علي، فانطلق فادع لي أبا بكر وعمر وعثمان وعليّاً وطلحة والزبير، وبعددهم من الأنصار»**.

قال: فانطلقت فدعوتهم له، فلمّا أن أخذوا مجالسهم قال رسول

---

١) سورة النمل: ٢٧ / ١٩.

٢) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٥١. وبحار الأنوار ٤٣: ١١١.

٣) كشف الغمة / الاربلي ١: ٣٥٨.

الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأورد خطبته ـ إلىٰ أن قال صلى الله عليه وآله وسلم: **«ثم إني أُشهدكم أني قد زوجت فاطمة من علي علىٰ أربعمائة مثقال فضة، إن رضي بذلك عليّ»** وكان علي عليه السلام غائباً، قد بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حاجة، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بطبق فيه بُسر فوضع بين أيدينا، ثم قال: **«انتهبوا»** فبينا نحن كذلك، إذ أقبل علي عليه السلام فتبسم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: **«يا علي، إنّ الله أمرني أن أزوجك فاطمة، وقد زوجتكها علىٰ أربعمائة مثقال فضة، أرضيت؟»**. قال: **«رضيت يا رسول الله»** ثم قام علي عليه السلام فخرّ لله ساجداً، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **«جعل الله فيكما الخير الكثير الطيب، وبارك فيكما»**.

قال أنس: والله لقد أخرج منهما الكثير الطيب[1].

والمشهور في مقدار المهر هو الأول، وقال ابن شهرآشوب: وهو الأصح[2]، ولعلّ الأربعمائة مثقال فضة كانت تعادل خمسمائة درهم في عصرهم، وقد ورد في جملةٍ من الروايات أن أمير المؤمنين عليه السلام قد باع درعه بأربعمائة وثمانين درهماً وكانت هي مهر الزهراء عليها السلام.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام ـ في حديث تزويج فاطمة عليها السلام ـ قال: **«ثم إنّ علياً اغتسل ولبس كساءً قطرياً وصلّىٰ ركعتين، ثم أتىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا رسول الله زوّجني فاطمة. قال: إذا زوجتكها فما تصدقها؟ قال: أصدقها سيفي وفرسي ودرعي وناضحي، قال: أما ناضحك وسيفك وفرسك فلا غنىٰ بك عنها، تقاتل المشركين، وأما درعك فشأنك بها.**

فانطلق علي عليه السلام وباع درعه بأربعمائة وثمانين درهماً قطرية، فصبّها بين

---

١) كشف الغمة / الاربلي ١: ٣٤٩. وذخائر العقبىٰ: ٣٠. والرياض النضرة ٣: ١٤٥. وكفاية الطالب / الكنجي: ٣٠٢ الطبعة الثالثة ـ طهران.

٢) المناقب ٣: ٣٥١.

يدي النبي صلى الله عليه وآله فلم يسأله عن عددها، ولا هو أخبره عنها...» [1].

وعن الحسين بن علي عليهما السلام قال: **«زوج النبي صلى الله عليه وآله فاطمة علياً على أربعمائة وثمانين درهماً»** [2].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: **«كان صداق فاطمة عليها السلام جرد برد حبرة ودرع حطمية، وكان فراشها إهاب كبش»** [3].

قيل: إنّ الاربعمائة وثمانين درهماً، كانت ثمن الدرع لاتمام المهر، كما يدل عليه بعض الأخبار، وان الدرع والبرد لم يكونا مهراً، بل بيعا، لذلك فثمن الدرع أربعمائة وثمانون، وثمن البرد عشرون، والله أعلم [4].

درس توجيهي:

لقد كانت عادة الأشراف من قريش إذا تزوج أحدهم أن يبذلوا المهور العالية، وأن يكون الزواج مفعماً بمظاهر التكلف والاسراف، وفي زواج الزهراء عليها السلام قدّم النبي صلى الله عليه وآله درساً عملياً للزواج النموذجي في الإسلام مغيراً معايير الجاهلية غير عابىء بلائمة قريش وعذلهم.

عن جابر بن عبدالله قال: لمّا زوّج النبي صلى الله عليه وآله عليّاً من فاطمة عليها السلام أتت قريش فقالوا: يا رسول الله، زوجت فاطمة بمهر خسيس، فقال صلى الله عليه وآله:

---

١) كشف الغمة / الاربلي ١: ٣٦٨. وكفاية الطالب: ٣٠٢. ونحوه عن أنس بن مالك. ورواه الطبراني في المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٩ / ١٠٢١. وابن المغازلي في المناقب: ٣٤٧ / ٣٩٩. والمحب الطبري في الرياض النضرة ٣: ١٤٢. وابن حجر الهيثمي في المجمع ٩: ٢٠٥ وغيرهم. ونحوه عن ابن عباس. ورواه البيهقي في السنن ٧: ٢٣٤. وأحمد في المسند ١: ٨٠. والمناوي في إتحاف السائل: ٣٥ و ٤٦.

٢) المناقب / ابن شهر آشوب ٣: ٣٥١.

٣) الكافي ٥: ٣٧٧ / ٥. ونحوه عن الإمام الصادق عليه السلام في الكافي ٥: ٣٧٧ / ١.

٤) المجالس السنية / السيد محسن الأمين ٥: ٧٧.

«ما زوجت فاطمة من علي، ولكن الله زوجها» [١] فليس هو إلّا حكم الله، وقد شاءت حكمته أن تكون مهور النساء متواضعة، وأجرىٰ ذلك علىٰ لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: **«أفضل نساء أُمتي أصبحهن وجهاً وأقلهنّ مهراً»** [٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **«خلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بابنته في صبيحة اليوم الرابع، وقال لها: كيف أنت يا بنية، وكيف رأيت زوجك؟ فقالت له: يا أبه، خير زوج، إلّا أنه دخل عليَّ نساء من قريش، وقلن لي: زوجك رسول الله من فقير لا مال له، فقال لها صلى الله عليه وآله وسلم: يا بنية، ما ألوتك نصحاً أن زوجتك أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً. يا بنية، إنّ الله عزَّ وجلَّ اطلع إلىٰ الأرض إطلاعة فاختار منها رجلين، فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك. يا بنية، نعم الزوج زوجك لا تعصي له أمراً. ثم صاح بي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي، فقلت: لبيك يا رسول الله. فقال: ادخل بيتك والطف بزوجتك وارفق بها، فان فاطمة بضعة مني، يؤلمني ما يؤلمها، ويسرني ما يسرها، استودعكما الله واستخلفه عليكما»** [٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه: **«إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا زوج فاطمة عليها السلام، دخل النساء عليها، فقلن: يا بنت رسول الله، خطبك فلان وفلان، فردّهم عنك، وزوّجك فقيراً لا مال له، فلمّا دخل عليها أبوها صلى الله عليه وآله وسلم رأىٰ ذلك في وجهها، فسألها فذكرت له ذلك، فقال: يا فاطمة، إنّ الله أمرني فانكحتك أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً، وما زوجتك إلّا بأمرٍ من**

---

١) المناقب / ابن المغازلي: ٣٤٣ / ٣٩٥. وأمالي الطوسي: ٢٦٦ / ٤٦٤. والفقيه ٣: ٢٥٣ / ١٢٠٢.

٢) الكافي ٥: ٣٢٤ / ٤.

٣) كشف الغمة / الاربلي ١: ٣٦٣.

السماء، أما علمت أنه أخي في الدنيا والآخرة» [١].

وعن ابن عباس، قال: لما زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام من فاطمة عليها السلام تحدثت نساء قريش وغيرهن وعيّرنها وقلن: زوجكِ رسول الله من عائل لا مال له، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«يا فاطمة، أما ترضين إنّ الله تبارك وتعالىٰ اطلع اطلاعة إلىٰ الأرض، فاختار منها رجلين: أحدهما أبوك، والآخر بعلك»** [٢].

فمعيار التفاضل لابدّ أن يكون قائماً علىٰ أساس التقوىٰ والدين والخلق القويم، لا علىٰ أساس الثروة والمال والحطام الزائل، وعلىٰ الرغم من تواضع مهر الزهراءعليها السلام وبساطة المراسيم فقد وصف عرسها: بأنّه أحسن عرس وأطيبه.

عن جابر، قال: حضرنا عرس علي وفاطمةعليهما السلام فما رأينا عرساً كان أطيب منه، حشونا الفراش الليف، وأُوتينا بتمرٍ وزبيب فأكلنا، وكان فراشها ليلة عرسها إهاب كبش [٣].

وروىٰ ابن ماجة عن عائشة وأُمّ سلمة، قالتا: ما رأينا عرساً أحسن من عرس فاطمة [٤].

ففي مهر الزهراءعليها السلام درس توجيهي لنا، فقد زوّج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحب الخلق إليه بمهر متواضع كي يفهّم الأُمّة عمليّاً أن المهور العالية ليست في صالحها لما تسببه من تعكير لصفو المحبة والعلاقة بين الزوجين وزلزلة

---

١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٢٧.

٢) اليقين / السيد ابن طاووس: ١٥٨ ـ النجف الأشرف. وبحار الأنوار ٤٠: ١٨ / ٣٦.

٣) مجمع الزوائد ٩: ٢٠٩. والثغور الباسمة: ٣٣. واتحاف السائل: ٤٢. وذخائر العقبىٰ: ٣٤. والرياض النضرة ٣: ١٤٤.

٤) سنن ابن ماجة ١: ٦١٦ / ١٩١١ كتاب النكاح، باب الوليمة، دار الفكر ـ بيروت.

الوضع الاقتصادي للعائلة، فضلاً عن أنها تؤدي إلىٰ عزوف الشباب عن الزواج وما يعقبه من مفاسد اجتماعية وأمراض روحية.

الجهاز وأثاث البيت:

إنّ جهاز الزهراء عليها السلام وأثاث بيتها يعكس مظاهر الزهد والتواضع وسمو المبادىء وعظمة القيم الإسلامية العليا علىٰ مظاهر البذخ والترف الزائلة.

روىٰ الشيخ الطوسي مسنداً عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبض من ثمن الدرع قبضةً ودعا بلالاً فأعطاه، وقال: ابتع لفاطمة طيباً، ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الدراهم بكلتا يديه فأعطاه أبا بكر، وقال: ابتع لفاطمة ما يصلحها من ثياب وأثاث البيت وأردفه بعمار بن ياسر وبعدّة من أصحابه وحضروا السوق...**

فكان مما اشتروه: قميص بسبعة دراهم، وخمار بأربعة دراهم، قطيفة سوداء خيبرية، وسرير مزمّل بشريط، وفراشين من خيش مصر حشو أحدهما ليف، وحشو الآخر من جزّ الغنم، وأربع مرافق من أدم الطائف حشوها إذخر، وستر من صوف، وحصير هجري، ورحىً لليد، ومخضب من نحاس، وسقاء من أدم، وقعب للبن، وشنّ للماء، ومطهرة مزفّتة، وجرّة خضراء، وكيزان خزف.

فلما عرض المتاع علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعل يقلّبه بيده ويقول: بارك الله لأهل البيت»[1].

واقتصرت كثير من الروايات علىٰ بعض ما جاء في هذه الرواية من الجهاز[2].

---

١) أمالي الطوسي: ٤٠ / ٤٥. وبحار الأنوار ٤٣: ٩٤ / ٥.

٢) راجع: مستدرك الحاكم ٢: ١٨٥. ومسند أحمد ١: ٨٤. و٣: ١٠٤ و ١٠٨. والطبقات الكبرىٰ ٨: ←

وروي عن أُمّ سلمة وسلمان الفارسي وعلي عليه السلام أنهم قالوا: وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبضةً من الدراهم، ودعا بأبي بكر فدفعها إليه، وقال: **«يا أبا بكر، اشترِ بهذه الدراهم لابنتي ما يصلح لها في بيتها»** وبعث معه سلمان وبلالاً ليعيناه علىٰ حمل ما يشتريه، قال أبو بكر: وكانت الدراهم التي أعطانيها ثلاثة وستين درهماً، فانطلقت واشتريت فراشاً من خيش مصر محشوّاً بالصوف، ونطعاً من أدم، ووسادة من أدم حشوها من ليف النخل وعباءة خيبرية، وقربة للماء، وكيزاناً، وجراراً، ومطهرة للماء، وستر صوف رقيقاً، وحملناه جميعاً حتىٰ وضعناه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلمّا نظر إليه بكىٰ وجرت دموعه، ثمّ رفع رأسه إلىٰ السماء وقال: **«اللهمَّ بارك لقومٍ جلّ آنيتهم الخزف»**[(١)].

وأخرج أبو يعلىٰ عن علي عليه السلام، قال: **«أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجعل ثلثين في الطيب، وثلثاً في الثياب»**[(٢)].

وروىٰ ابن شهرآشوب عن الصادق عليه السلام قال: **«أعطىٰ منها قبضة كانت ثلاث وستين أو ستة وستين إلىٰ أُمّ أيمن لمتاع البيت، وقبضة إلىٰ أسماء للطيب، وقبضة إلىٰ أُمّ سلمة للطعام، وأنفذ عماراً وأبا بكر وبلالاً لابتياع ما يصلحها»**[(٣)].

أما بيت علي عليه السلام الذي زفّت إليه الزهراء عليها السلام فكان بمنتهىٰ البساطة والتواضع، روىٰ ابن شهرآشوب عن وهب بن وهب القرشي، قال: وكان

← ٢٠ ـ ٢١. والثغور الباسمة: ٣٥. واتحاف السائل: ٥١.

١) كشف الغمة / الاربلي ١: ٣٥٩. ومناقب الخوارزمي: ٢٥٣. وبحار الأنوار ٤٣: ١٣٠.

٢) اتحاف السائل: ٤٤.

٣) المناقب ٣: ٣٥٢.

من تجهيز علي عليه السلام داره انتشار رمل لين، ونصب خشبة من حائط إلىٰ حائط للثياب، وبسط إهاب كبش، ومخدّة ليف (١).

وأخرج ابن ماجة عن عائشة وأُمّ سلمة، قالتا: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نجهز فاطمة عليها السلام حتىٰ ندخلها علىٰ علي عليه السلام فعمدنا إلىٰ البيت، ففرشناه تراباً ليناً من أعراض البطحاء، ثم حشونا مرفقتين ليفاً، فنفشناه بأيدينا... وعمدنا إلىٰ عود فعرضناه في جانب البيت ليلقىٰ عليه الثوب ويعنّق عليه السقاء (٢).

وروىٰ أحمد بالاسناد عن عكرمة وأبي يزيد المديني، قال: لمّا أُهديت فاطمة إلىٰ علي عليه السلام لم تجد عنده إلّا رملاً مبسوطاً ووسادة وجرة وكوزاً (٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: **«كان فراش علي وفاطمة عليهما السلام حين دخلت عليه إهاب كبش، إذا أرادا أن يناما عليه، قلباه فناما علىٰ صوفه، وكانت وسادتها أدماً حشوها ليف، وكان صداقها درعاً من حديد»** (٤).

وأخرج ابن سعد عن علي عليه السلام قال: **«تزوجت فاطمة عليها السلام ومالي ولها فراش غير جلد كبش، ننام عليه بالليل، ونعلف عليه الناضح بالنهار، ومالي ولها خادم غيرها»** (٥).

وأخرج أحمد بن حنبل، عن علي عليه السلام قال: **«ما كان لنا إلّا إهاب كبش،**

---

١) المناقب ٣: ٣٥٣.

٢) سنن ابن ماجة ١: ٦١٦ / ١٩١١.

٣) فضائل أحمد ٢: ٥٦٧ / ٩٥٦ مؤسسة الرسالة. وتذكرة الخواص: ٣٠٧. ومجمع الزوائد ٩: ٢٩ عن أسماء بنت عميس.

٤) قرب الاسناد / الحميري: ٥٣ مؤسسة آل البيت عليهم السلام ـ قم. والطبقات الكبرىٰ ٨: ٢٣. وبحار الأنوار ٤٣: ١٠٤ / ١٤.

٥) الطبقات الكبرىٰ ٨: ٢٢. وذخائر العقبىٰ: ٣٥. والثغور الباسمة: ٣٣. وتذكرة الخواص: ٣٠٧.

نام على ناحيته، وتعجن فاطمة على ناحيته»[١].

قال الشاعر:

رفـــرف الســـعدُ فـوق كـوخ صـغيرٍ
لم يُـــدنّس بـــقسوة الأغـــنياء
إن تكـــن قســـمةُ الغـــنيّ مـــتاعاً
فـــالإله الرحـــمن للأتـــقياء[٢]

بيت الزهراء عليها السلام:

هذا هو ما ورد في وصف بيت الزهراء عليها السلام بأثاثه البسيط وجهازه المتواضع، فلتتعلم منه الأُمّة درس التضحية والإيثار ومظاهر العزّ والعظمة، فإنّه الحلّ الحاسم لكثير من المشكلات الاجتماعية التي كانت ولا زالت تهدد المجتمعات الإنسانية ويضجّ العالم تحت وطأتها.

فلو زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة من بعض رجالات العرب الذين تقدموا لخطبتها وحاشاه أن يفعل، لكانت ترفل بحلل الحرير والديباج، وتزدهي بقلائد الذهب والفضة، ولسكنت القصور والعلالي، ولكان لها الخدم والحشم، بدل القربة التي استقت بها فأنهكتها، والرحى التي طحنت بها حتى مجلت يدها، والمكنسة التي قمّت بها حتى اغبرت ثيابها، لكن السعادة والسكينة والرحمة ليس في القصور الضخمة، ولا في اقتناء الذهب والفضة، بل حيث يكون ابن عمها الكفء، أمير المؤمنين وإمام المتقين وأبو الأئمة الميامين، أول الناس إسلاماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً.

(في هذا المكان، وهذا البيت المتواضع الذي كان جُلّ أثاثه من الخزف،

---

١) الثغور الباسمة: ٣٥. وإتحاف السائل: ٥١.

٢) البيتان لبولس سلامة من قصيدة عيد الغدير: ٨٠ الطبعة الرابعة ـ طهران.

كان يبتهج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويغتبط، ويجد لنفسه السكينة والسعادة والهناء، ويفيض من قلبه الحبّ الأبوي والحنان علىٰ بضعته فاطمة عليها السلام، وريحانتيه من الدنيا الحسن والحسين عليهما السلام، وعلي عليه السلام أخيه وصهره ووارث علمه وحكمته وشريكه في خصائصه ماعدا النبوة.

في هذا البيت الذي ضمّ آل الرسول، ودرج فيه الحسنان، كان يجلس محمد صلى الله عليه وآله وسلم وينعم برؤية الأهل والأولاد، ويلقي عن كاهله الاتعاب والأوصاب، وما لاقاه من الأذىٰ في سبيل دعوته.

في هذا البيت كان يجلس ربّ العائلة محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع عائلته؛ علي عليه السلام عن يمينه، وفاطمة عليها السلام عن يساره، والحسن والحسين عليهما السلام في حجره، يقبّل هذا مرّة وذاك أُخرىٰ، يباركهم ويدعو لهم، ويسأل الله أن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيراً.

ومن هذا البيت كان يخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلىٰ السفر، وبه يبدأ إذا عاد، وفي هذا البيت نزل الروح الأمين بالوحي من الله علىٰ قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخدم الملائكة فيه سيدي شباب أهل الجنة.

ومن هذا البيت المتواضع شعّ نور الهداية والإسلام علىٰ الناس مدىٰ الأجيال، وفي هذا البيت الفقير سبّحت الزهراء وبعلها وبنوها عليهم السلام بالغدوّ والآصال.

قال أنس وبريدة: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **﴿في بُيُوتٍ أذِنَ ٱللهُ أن تُرفَعَ ويُذكَرَ فيها ٱسمُهُ يُسَبِّحُ لهُ فيها بالغُدُوِّ وٱلآصالِ﴾**[1]، فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: «**بيوت الأنبياء**» فقام إليه أبو بكر وقال: يا رسول الله، هذا البيت منها؟ وأشار إلىٰ بيت علي وفاطمة عليهما السلام، فقال

---

١) سورة النور: ٢٤ / ٣٦.

الرسول صلى الله عليه وآله: **«نعم من أفاضلها»**[(١)] [(٢)].

وعلىٰ باب هذا البيت كان يمرّ رسول الله صلى الله عليه وآله إذا خرج إلىٰ صلاة الصبح ويقول: **«الصلاة ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾»**[(٣)].

ولكرامة هذا البيت الطاهر ومن فيه من شموس الهداية ومنارات التقىٰ وأعلام اليقين، فقد استثناه رسول الله صلى الله عليه وآله حينما أمر بسدّ الأبواب الشارعة إلىٰ المسجد دونه، وكان ذلك بأمر من الله تعالىٰ، ليبين بذلك عظيم منزلتهم ومنتهىٰ درجتهم.

الزفاف والتكبير:

إنّ ذكر اسم الله تعالىٰ في مقدمات الزواج يضفي قيمة معنوية عليه، ويربطه بخالق الوجود الأكبر، مما يسهم في استمرار العلاقة الزوجية لاستنادها إلىٰ ركن قويم وتربية روحية صالحة.

وزواج الزهراء عليها السلام باركت له السماء قبل الأرض، وكبرت له الملائكة قبل البشر، فكبّر رسول الله صلى الله عليه وآله وكبر الصحابة، ووقع التكبير علىٰ العرائس من يوم زفافها، وجرت السُنّة به إلىٰ يوم القيامة.

روىٰ الشيخ الطوسي وغيره بالاسناد عن الإمام موسىٰ بن جعفر عن أبيه عن جده عليه السلام عن جابر بن عبدالله، قال: لما كانت ليلة زفاف فاطمة عليها السلام أتىٰ النبي صلى الله عليه وآله ببغلته الشهباء، وثنىٰ عليها قطيفة، وقال لفاطمة: **«اركبي»**، وأمر

---

١) الدر المنثور / السيوطي ٦: ٢٠٣. وروح المعاني / الالوسي ١٨: ١٧٤.

٢) فضائل الإمام علي عليه السلام / الشيخ محمد جواد مغنية: ٢٦ ـ ٢٧ مكتبة الهلال ـ بيروت.

٣) المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٢ / ١٠٠٢. ومسند أحمد ٣: ٢٥٩ و ٢٨٥. ومستدرك الحاكم ٣: ١٥٨. وسنن الترمذي ٥: ٣٥٢ / ٣٢٠٦.

سلمان أن يقودها، والنبي صلى الله عليه وآله يسوقها، فبينا هو في بعض الطريق إذ سمع النبي صلى الله عليه وآله وجبةً، فإذا هو بجبرئيل في سبعين ألفاً، وميكائيل في سبعين ألفاً. فقال النبي صلى الله عليه وآله: **«ما أهبطكم إلىٰ الأرض؟»** قالوا: جئنا نزفُّ فاطمة إلىٰ علي بن أبي طالب فكبّر جبرائيل، وكبّر ميكائيل، وكبّرت الملائكة، وكبّر محمد صلى الله عليه وآله، فوقع التكبير علىٰ العرائس من تلك الليلة [1].

وروىٰ ابن شهرآشوب عن الخطيب في تاريخه وابن مردويه وابن المؤذن وشيرويه الديلمي بأسانيدهم عن ابن عباس وجابر، قالا: لمّا كانت الليلة التي زفت فاطمة عليها السلام إلىٰ علي عليه السلام كان النبي صلى الله عليه وآله أمامها، وجبرئيل عن يمينها، وميكائيل عن يسارها، وسبعون ألف ملك من خلفها، يسبّحون الله ويقدسونه حتىٰ طلع الفجر [2].

وعن كتاب (مولد فاطمة) عن ابن بابويه ـ في خبر ـ قال: أمر النبي صلى الله عليه وآله بنات عبدالمطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة، وأن يفرحن ويرجزن ويكبّرن ويحمدن، ولا يقلن ما لا يرضي الله، فارتجزت أُمّ سلمة وعائشة وحفصة ومعاذة أُمّ سعد بن معاذ، وكانت النسوة يرجعن أوّل بيت من كل رجز، ثم يكبّرن، ودخلن الدار، ثم أنفذ رسول الله صلى الله عليه وآله إلىٰ علي ودعاه إلىٰ المسجد، ثم دعا فاطمة عليها السلام فأخذ بيدها ووضعها في يده، وقال: **«بارك الله في ابنة رسول الله»** [3].

وفي حديث أُمّ سلمة: أنّه صلى الله عليه وآله أخذ عليّاً بيمينه، وفاطمة بشماله،

---

١) أمالي الطوسي: ٢٥٨ / ٤٦٤. والفقيه ٣: ٢٥٣ / ١٢٠٢. ومناقب ابن المغازلي: ٣٤٣ / ٣٩٥. وترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ دمشق ١: ٢٣٤ / ٢٩٩. وبحار الأنوار ٤٣: ١٠٤ / ١٥.

٢) المناقب ٣: ٣٥٤. وتاريخ بغداد ٥: ٧. ومقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي ١: ٦٦. وذخائر العقبىٰ: ٣٢. وبحار الأنوار ٤٣: ١١٥.

٣) المناقب ٣: ٣٥٤. وبحار الأنوار ٤٣: ١١٥.

وجمعهما إلىٰ صدره، فقبّل بين أعينهما، ودفع فاطمةعليها السلام إلىٰ عليعليه السلام وقال: **«ياعلي، نعم الزوجة زوجتك»** ثم أقبل علىٰ فاطمةعليها السلام وقال: **«يافاطمة، نعم البعل بعلك»**، ثم قام معهما يمشي بينهما حتىٰ أدخلهما بيتهما الذي هيّىء لهما، ثم خرج من عندهما، فأخذ بعضادتي الباب. فقال: **«طهركما الله وطهّر نسلكما، أنا سلمٌ لمن سالمكما، أنا حربٌ لمن حاربكما، أستودعكما الله واستخلفه عليكما»**[١].

الوليمة:

وفي زواج الزهراءعليها السلام دعا رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم علياًعليه السلام لأن يصنع طعاماً ويدعو الناس عامة لتكون سنة في أُمّته، روىٰ الشيخ الطوسي بالاسناد عن أبي عبداللهعليه السلام قال: **«ثم قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: يا علي، اصنع لأهلك طعاماً فاضلاً، ثم قال: من عندنا اللحم والخبز، وعليك التمر والسمن، فاشتريت تمراً وسمناً، فحسر رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم عن ذراعه، وجعل يشدخ التمر في السمن حتىٰ اتخذه حيساً، وبعث إلينا كبشاً سميناً فذبح، وخُبز لنا خبز كثير، ثم قال لي رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: ادعُ من أحببت»**... الحديث[٢].

وروىٰ الاربلي عن أُمّ سلمة وسلمان الفارسي وعليعليه السلام أنهم قالوا: أخذ رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم من الدراهم التي سلّمها إلىٰ أُمّ سلمة عشرة دراهم، فدفعها إلىٰ عليعليه السلام وقال: **«اشتر سمناً وتمراً وأقطاً**، قال عليعليه السلام: **فاشتريت وأقبلت به إلىٰ رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم فحسر عن ذراعيه، ودعا بسفرة من أدم، وجعل يشدخ التمر والسمن ويخلطهما بالأقط حتىٰ اتخذه حيساً، ثم قال: يا علي، ادعُ من**

---

١) كشف الغمة / الاربلي ١: ٣٦١.

٢) أمالي الطوسي: ٤٢ / ٤٥. وبحار الأنوار ٤٣: ٩٥ / ٥.

أحببت..» إلىٰ آخر الرواية [١].

وروىٰ الطبراني بالاسناد عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا بلالاً، فقال: **«يا بلال، إنّي قد زوجّت ابنتي ابن عمي، وأنا أحبُّ أن تكون سُنّة أُمتي الطعام عند النكاح، فائت الغنم فخذ شاة وأربعة أمداد أو خمسة، واجعل لي قصعة، لعلّي أجمع عليها المهاجرين والأنصار، فإذا فرغت منها فآذني بها»** فانطلق ففعل ما أمره به، ثم أتاه بقصعة فوضعها بين يديه، فطعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رأسها، ثم قال: **«أدخل عليّ الناس زُفّة زُفّة»** [٢].

ولا تعارض بين هذه الأخبار، لأنّه صلى الله عليه وآله وسلم شرط في الأول أن يكون التمر والسمن علىٰ علي عليه السلام، وهو ما يفسره الخبر الثاني، وشرط أيضاً أن يكون اللحم والخبز علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ما يفسره الخبر الأخير.

وحسبك من وليمة تجتمع علىٰ أطرافها البركة والخير والنماء، فهي تصنع بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبيده، وهو الذي يدعو لها ويبارك فيها، فلابدّ أن تكون أفضل وليمة علىٰ رغم بساطتها وتواضعها.

أخرج ابن سعد عن أسماء بنت عميس [٣]، قالت: جهزت فاطمة إلىٰ علي، وما كان حشو فراشهما ووسائدهما إلّا الليف، ولقد أولم علي علىٰ فاطمة، فما كانت وليمة في ذلك الزمان أفضل من وليمته [٤].

---

١) كشف الغمة / الاربلي ١: ٣٦١. وبحار الأنوار ٤٣: ١٣٢. والمناقب / الخوارزمي: ٢٥٤.

٢) المعجم الكبير ٢٢: ٤١١ / ١٠٢٢. ومجمع الزوائد ٩: ٢٠٩. وإتحاف السائل: ٣٩.

٣) احتمل الاربلي أن تكون أسماء التي حضرت عرس الزهراء عليها السلام هي سلمىٰ بنت عميس زوجة حمزة بن عبدالمطلب عليه السلام لأنّ أسماء بنت عميس كانت بأرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب عليه السلام وقال غيره: هي أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية.

٤) الطبقات الكبرىٰ ٨: ١٤. وذخائر العقبىٰ: ٣٣. وكشف الغمة / الاربلي ١: ٣٦٦ عن الدولابي. وبحار الأنوار ٤٣: ١٣٨ / ٣٤.

الدعاء للعريسين:

وحظي زواج الزهراء عليها السلام بدعاء خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم فجرت السُنّة بذلك لتأكيد القيم الروحية والمعنوية في الزواج، وتأصيلها في العلاقة الزوجية من يومها الأول.

روىٰ أنس بن مالك عن أُمّ أيمن، قالت: إنّه لما كانت ليلة البناء، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: **«إذا أتتك فلا تحدث شيئاً حتىٰ آتيك»** فدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لفاطمة عليها السلام: **«ائتيني بماء»** فقامت إلىٰ قعب في البيت فجعلت فيه ماء فأتته به، فمجّ فيه ثم قال لها: **«قومي»** فنضح بين ثدييها وعلىٰ رأسها، ثم قال: **«اللهمَّ أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم»** ثم قال لها: **«أدبري»** فأدبرت، فنضح بين كتفيها، ثم قال: **«اللهمَّ إني أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم»** ثم قال: **«ائتيني بماء»** فأتته، فأخذ منه بفيه، ثم مجّه فيه، ثم صبّ علىٰ رأس علي وبين يديه، ثم قال: **«اللهمَّ إني أعيذه وذريته من الشيطان الرجيم»** ثم قال: **«ادخل علىٰ أهلك باسم الله والبركة»**[1].

وزارهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صبيحة العرس ـ وقيل: في صبيحة اليوم الرابع[2] ـ فسأل علياً عليه السلام: **«كيف وجدت أهلك؟»** فقال: **«نعم العون علىٰ طاعة الله»** وسأل فاطمة عليها السلام فقالت: **«خير بعل»** فقال: **«اللهمَّ اجمع شملهما، وألّف بين قلوبهما، واجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم، وارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة، واجعل في ذريتهما البركة، واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلىٰ طاعتك، ويأمرون بما يرضيك»**[3].

---

١) المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٩ / ١٠٢١. ومجمع الزوائد ٩: ٢٠٦. واتحاف السائل: ٣٥ و ٤٧.

٢) كشف الغمة / الاربلي ١: ٣٦٢.

٣) مناقب ابن شهرآشوب ٣: ٣٥٥. وبحار الأنوار ٤٣: ١١٧.

وكان من عادة العرب في الجاهلية أن يقولوا للمتزوجين: بالرفاء والبنين، فنهىٰ عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في زواج الزهراء عليها السلام وسنّ فيه غيره، روىٰ ثقة الإسلام الكليني عن أبي عبدالله البرقي رفعه، قال: **«لمّا زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة قالوا: بالرفاء والبنين. قال: لا، بل علىٰ الخير والبركة»** [١].

المبحث الرابع: دورها في داخل الأسرة وخارجها:

انتقلت الزهراء عليها السلام من بيت أبيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلىٰ بيت بعلها الوصي عليه السلام، ذلك البيت الذي تحفّه الرحمة ويغمره الايمان، فتشكلت الأُسرة الطاهرة من سيدين معصومين درجا في أحضان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ونهلا من نمير علمه وخلقه العظيم ومكارم أخلاقه وكمالات نفسه الكريمة، فكان علي عليه السلام سيد الوصيين النموذج الكامل والقدوة الصالحة للرجل في الإسلام، وكانت الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين النموذج الكامل للمرأة في الإسلام.

وقد وجدت الزهراء عليها السلام نفسها وهي في بيت الإمام عليه السلام أمام وظائف جسيمة، ومسؤوليات عظيمة، فباعتبارها القدوة الحسنة والأُسوة المثلىٰ للمرأة المسلمة، كان عليها أن ترسم الطريق لمعالم البيت الإسلامي الأمثل في الإسلام، وقد استطاعت وبكل جدارة أن تضرب أروع الأمثلة في طاعة الزوج ومراعاة حقوقه والاخلاص له، والصبر علىٰ شظف العيش وقلة ذات اليد، وفي القيام بمسؤوليات البيت وأداء واجبات الأُسرة في جوّ من المودة والصفاء والتعاون والوفاء، وفي تربية الأولاد الصالحين، بما ليس له نظير،

---

١) الكافي ٥: ٥٦٨ / ٥٢. وبحار الأنوار ٤٣: ١٤٤ / ٤٦.

وفي ما يلي بعض معالم تلك الأُسرة الفريدة التي أنعم الله عليها بما يشاء.

١ ـ الطاعة وحسن المعاشرة:

كانت الزهراءعليها السلام نعم الزوجة لأمير المؤمنينعليه السلام ما عصت له أمراً وما خالفته في شيء ولا خرجت بغير إذنه، وكانت تعينه علىٰ طاعة الله تعالىٰ، وتؤثره علىٰ نفسها، وتدخل عليه البهجة والسرور، حتىٰ إنّه إذا نظر إليها انكشفت عنه الهموم والأحزان.

جاء في روضة الواعظين أن الزهراءعليها السلام قالت في مرض موتها لأمير المؤمنينعليه السلام: **«يا بن عم، ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني»** فقالعليه السلام: **«معاذ الله! أنتِ أعلم بالله، وأبرّ وأتقىٰ وأكرم وأشدّ خوفاً من الله من أن أوبخك بمخالفتي»**[١].

وبالمقابل كان أمير المؤمنينعليه السلام نعم البعل للزهراءعليها السلام يغدق عليها من فيض حبّه وعطفه، ويشعرها باخلاصه وودّه لها، وما كان يغضبها ولا يكرهها علىٰ شيء قطّ، وإن أرجف المرجفون علىٰ هذا البيت الطاهر بأراجيف شتىٰ.

عن أمير المؤمنينعليه السلام قال: **«والله ما أغضبتها ولا أكرهتها علىٰ أمرٍ حتىٰ قبضها الله عزَّ وجلَّ. ولا أغضبتني، ولا عصيت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عنّي الهموم والأحزان»**[٢].

وضربت الزهراءعليها السلام أروع الأمثلة في الصبر علىٰ ألم المعاناة من العمل في داخل المنزل حتىٰ إنّها كانت تغزل جزة الصوف بثلاثة آصع من شعير.

عن تفسير الثعلبي: أن عليّاًعليه السلام انطلق إلىٰ يهودي يعالج الصوف، فقال له:

---

١) بحار الأنوار ٤٣: ١٩١ / ٢٠.

٢) كشف الغمة / الاربلي ١: ٣٦٣. وبحار الأنوار ٤٣: ١٣٤. ومناقب الخوارزمي: ٢٤٧.

«هل لك أن تعطيني جزةً من صوف تغزلها لك بنت محمد صلى الله عليه وآله بثلاثة آصع من شعير؟» قال: نعم. فأعطاه الصوف والشعير. فقبلت فاطمة عليها السلام وأطاعت، وقامت إلىٰ صاع فطحنته وخبزت منه خمسة أقراص[1].

وعن أنس، قال: إنّ بلالاً أبطأ عن صلاة الصبح، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: **«ماحبسك؟»** فقال: مررت بفاطمة وهي تطحن والصبي يبكي، فقلت لها: إن شئت كفيتك الرحا وكفيتني الصبي، وان شئت كفيتك الصبي وكفيتني الرحال. فقالت: **«أنا أرفق بابني منك»** فذاك حبسني. قال: **«رحمتها رحمك الله»**[2].

وفي مثل هذه الظروف القاهرة كانت عليها السلام لا تخرج منها غير كلمة الطاعة، فحينما سألها أمير المؤمنين عليه السلام إطعام المسكين الذي طرق بيت الزهراء عليها السلام قالت:

«أمرك سمعٌ يابن عمّ وطاعة
ما بي من لؤمٍ ولا وضاعة»[3]

ولا تتوانىٰ ابنة الرسالة عن أداء مهامها في البيت طاعةً لزوجها علىٰ الرغم من حالة الفقر التي كانت تلفّ حياتها في بيت الزوجية، حتىٰ أن أمير المؤمنين عليه السلام رقّ لحالها من شدّة ما تعانيه من أتعاب منزلية.

أخرج السيوطي في مسند فاطمة عليها السلام عن هبيرة، عن علي عليه السلام، قال:

---

١) إحقاق الحق / الشهيد التستري ١٠: ٢٦٤ مكتبة السيد المرعشي ـ قم، عن تفسير الثعلبي.

٢) مسند أحمد ٣: ١٥٠. ومجمع الزوائد ١٠: ٣١٦. وتاريخ دمشق ١٠: ٣٣٢ ـ دمشق. ومجموعة ورّام ٢: ٢٣٠.

٣) تفسير فرات: ٥٢١ ـ طهران ١٤١٠ هـ. ومناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٧٤. وتذكرة الخواص ٣١٤. وتفسير القرطبي ١٩: ١٣٢. واتحاف السائل: ١٠٥.

«قلت لفاطمةعليها السلام: لو أتيت النبيصلى الله عليه وآله تسأليه خادماً، فإنّه قد جهدك الطحن والعمل..؟» [١].

وعن الحسين بن علي، عن أبيه عليعليه السلام، أنّه قال لفاطمةعليها السلام: **«اذهبي إلىٰ أبيكصلى الله عليه وآله، فسليه يعطيك خادماً، يقيك الرحىٰ وحرّ التنور..»** [٢].

وعن علي بن أعبد، قال: قال لي عليعليه السلام: **«ألا أُحدّثك عني وعن فاطمة بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله وكانت من أحبّ أهله إليه؟»** قلت: بلىٰ.

قالعليه السلام: **«إنّها جرّت بالرحىٰ حتىٰ أثّرت في يدها، واستقت بالقربة حتىٰ أثرت في نحرها، وكنست البيت حتىٰ اغبرت ثيابها، وأوقدت القدر حتىٰ دكنت ثيابها، وأصابها من ذلك ضرّ، فأتىٰ النبيصلى الله عليه وآله خدمٌ، فقلت: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً، فأتته فوجدت عنده حُدّاثاً فاستحيت فرجعت، فأتاها من الغد، فقال: ما كان حاجتك؟ فسكتت، فقلت: أُحدّثك يا رسول الله، جرّت عندي بالرحىٰ حتىٰ أثّرت في يدها، وحملت بالقربة حتىٰ أثّرت في نحرها، وكسحت البيت حتىٰ أغبرّت ثيابها، وأوقدت القدر حتىٰ دكنت ثيابها، فلمّا جاءك الخدم أمرتها أن تأتيك فتستخدمك خادماً يقيها حرّ ما هي فيه.**

قال: اتقي الله يا فاطمة، وأدّي فريضة ربك، وأعملي عمل أهلك، إن أخذت مضجعك فسبحي ثلاثاً وثلاثين، وأحمدي ثلاثاً وثلاثين، وكبّري أربعاً وثلاثين، فتلك مائة، فهي خير لك من خادم. فقالت: رضيت عن الله وعن رسوله، ولم يُخدمها» [٣].

---

١) مسند فاطمةعليها السلام / السيوطي: ١٠٢ عن ابن جرير.

٢) مسند فاطمةعليها السلام / السيوطي: ١٠٣ عن أبي نعيم.

٣) مسند فاطمةعليها السلام / السيوطي: ١١٠ عن أبي داود، والعسكري في المواعظ، وأبي نعيم، وعبدالله بن أحمد بن حنبل.

٢ ـ التعاون وتقسيم العمل:

ومن مظاهر العظمة في بيت الزهراء عليها السلام والتي تستحق أن تكون قدوة لنا في حياتنا وأُسوة في تعاملنا داخل بيوتنا، هو التعاون بوئامٍ وإخلاص بين الزوج والزوجة علىٰ إدارة شؤون البيت وتقسيم العمل في داخله وخارجه.

رویٰ العياشي عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «**إنّ فاطمة عليها السلام ضمنت لعلي عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز وقمّ البيت، وضمن لها علي عليه السلام ما كان خلف الباب: نقل الحطب وأن يجيء بالطعام..**»[١].

وعن هشام بن سالم، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز**»[٢].

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يشاطرها الخدمة في أعمال المنزل الخاصة بها، فقد جاء عن ابن شاذان أنه دخل رسول الله صلى الله عليه وآله علىٰ علي عليه السلام فوجده هو وفاطمة عليها السلام يطحنان في الجاروش، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**أيكما أعيىٰ؟**» فقال علي عليه السلام: «**فاطمة يا رسول الله**» فقال لها: «**قومي يا بنية**» فقامت وجلس النبي صلى الله عليه وآله موضعها مع علي عليه السلام فواساه في طحن الحبّ[٣].

ومن مظاهر التواضع والعدل في بيت الزهراء عليها السلام أنّ تقسيم العمل لا يقتصر علىٰ أفراد الأُسرة وحسب، بل كانت تتناوب بالعمل مع الخادمة يوماً بيوم، حيث أخدمها النبي صلى الله عليه وآله جارية أسمها فضّة بعد أن كثرت الفتوح والمغانم وارتفع الفقر عن أهل الصفّة وسائر ضعفاء المدينة.

---

١) تفسير العياشي ١: ١٧١ / ٤١ المكتبة العلمية ـ طهران. وبحار الأنوار ٤٣: ٣١ / ٣٨.

٢) الكافي ٥: ٨٦ / ١. وأمالي الطوسي: ٦٦٠ / ١٣٦٩. والفقيه ٣: ١٦٩. وبحار الأنوار ٤٣: ١٥١ / ٧.

٣) بحار الأنوار ٤٣: ٥٠ / ٤٧. ورویٰ نحوه ورّام في تنبيه الخواطر ٢: ٢٣٠، مكتبة الفقيه ـ قم.

روىٰ الخوارزمي بالاسناد عن الإمام الباقر عليه السلام عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام أنّه ذكر تزويج فاطمة عليها السلام ثم قال: **«إنّ فاطمة عليها السلام سألت من رسول الله خادماً ـ إلىٰ أن قال: ـ ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وآله ساحل البحر، فأصاب سبياً فقسمه، فأمسك امرأتين إحداهما شابة، والأُخرىٰ قد دخلت في السنّ ليست بشابة، فبعث إلىٰ فاطمة عليها السلام وأخذ بيد المرأة فوضعها في يد فاطمة عليها السلام وقال: يا فاطمة، هذه لك ولا تضربيها، فإنّي رأيتها تصلي، وإن جبرئيل نهاني أن أضرب المصلين، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يوصيها بها، فلمّا رأت فاطمة عليها السلام ما يوصيها بها التفتت إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وقالت: يا رسول الله، عليّ يوم وعليها يوم، ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله بالبكاء وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴿ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾»** [(١)].

وفي الاصابة عن ابن صخر في فوائده وابن بشكوال في كتاب المستغيثين، بالاسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: **«إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخدم فاطمة ابنته جارية اسمها فضّة النوبية، وكانت تشاطرها الخدمة... فقالت لها فاطمة عليها السلام: أتعجنين أو تخبزين؟»** فقالت: بل أعجن يا سيدتي وأحتطب..» [(٢)].

وروىٰ الطبري والراوندي بالاسناد عن سلمان رضي الله عنه قال: كانت فاطمة عليها السلام جالسة قدامها رحىٰ تطحن بها الشعير وعلىٰ عمود الرحىٰ دم سائل، والحسين في ناحية الدار يبكي من الجوع. فقلت: يا بنت رسول الله، دبرت كفاك وهذه فضّة؟

فقالت: **«أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله أن تكون الخدمة لها يوماً، فكان أمس**

---

١) مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي ١: ٦٩.

٢) الاصابة / ابن حجر ٤: ٣٨٧.

يوم خدمتها..»[١].

٣ ـ تربية الأولاد:

اضطلعت الزهراء عليها السلام بمهمة أُخرىٰ لا تقل عن مهمة مباشرتها لأعمال المنزل، تلك هي تربية الأولاد، فقد وهبها الله كرامة أُمومة الأوصياء، وأعطاها شرف الربط بين النبوة والإمامة، وقد استطاعت أن تجني من نتاج تربيتها أقدس الثمار، فكان الحسن السبط عليه السلام أول مولود لفاطمة عليها السلام حيث ولد في النصف من شهر رمضان عام ثلاثة من الهجرة، ثم الحسين السبط الشهيد عليه السلام الذي ولد في الثالث من شهر شعبان عام أربعة من الهجرة، وهما سيدا شباب أهل الجنة، والإمامان إن قاما وإن قعدا.

وكان المولود الثالث زينب العقيلة عليها السلام بطلة كربلاء، وكان مولدها في السنة الخامسة من الهجرة، ثم ابنتها الثانية وهي السيدة أُمّ كلثوم عليها السلام وقد ولدت بعد اختها بعام واحد وقيل: بعامين[٢]، وابنها الأخير حملت به في زمان النبي صلى الله عليه وآله وسمّاه قبل أن يولد محسناً، لكنه أُسقط قبل ولادته عليه السلام فاستشهد مظلوماً بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بأيام علىٰ إثر حوادث السقيفة والتي سنتعرض لبعضها في الفصل الأخير من هذا البحث.

لقد غرست الزهراء عليها السلام في نفوس أولادها خصال الخير ومكارم الأخلاق ومعالي الفضيلة، وأرضعتهم مبادىء التوحيد والدفاع عن الحقّ، فقد روي أنها عليها السلام كانت ترقّص الحسن عليه السلام وهي تقول:

---

١) دلائل الإمامة: ١٤٠ / ٤٨. والخرائج والجرائح ٢: ٥٣٠ / ٦. وبحار الأنوار ٤٣: ٢٨ / ٣٣.

٢) وقد ذهب بعض الباحثين كالسيد عبدالرزاق المقرم الموسوي إلىٰ أن أم كلثوم هي نفسها زينب العقيلة. وأن (أُمّ كلثوم) لقب من ألقابها، بخلاف ما ذهب إليه الشيخ المفيد وغيره بأنّ أم كلثوم غير زينب عليها السلام. راجع: مقتل الحسين عليه السلام / السيد عبدالرزاق المقرم.

أشـــــبه أبـــــاك يـــــاحسن
واخـــــلع عـــن الحـــقّ الرَّســـن
واعـــــبد إلهاً ذا مـــــنن
ولا تُـــــوالِ ذا الإحـــــن[١]

ونشأ أولاد الزهراء عليها السلام في ظل رعاية الأمّ سيدة النساء والأب وصي المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم يحيطهم أشرف الأنبياء والرسل صلى الله عليه وآله وسلم بحنانه وعطفه وتربيته، فكانوا خيرة البشرية وقدوة الإنسانية.

وحظي الحسن والحسين عليهما السلام بمساحة واسعة من حب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحنانه وعطفه، فهما ريحانتاه يشمهما ويكثر من تقبيلهما، ويحملهما علىٰ عاتقه، ويضمهما إليه، ويعوّذهما، ويعلمهما القرآن، ويلقنهما العلم والفصاحة والشجاعة والزهد والورع، فاستوحيا رساليته وروحانيته وأخلاقيته، وتجسدت فيهما شخصيته، فكانا اختصاراً لجميع عناصرها الأخلاقية والروحية والإنسانية، فصارا رمز الفضيلة والمروءة وقدوةً صالحة وخلقاً كريماً، عملا بوصاياه وتعاليمه، وجاهدا في سبيل دينه ومبادئه، ونهضا من أجل إقامة الاصلاح في أُمته، فكانا عليهما السلام مشعل نور وهداية في حياة الأُمّة.

ولقد حرّم الله سبحانه أولادها علىٰ النار كرامة لعفّتها وحصانتها، وبياناً لمنزلتهم عند الله تعالىٰ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : **«إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّمها الله وذريتها علىٰ النار»**[٢].

---

١) مناقب ابن شهرآشوب ٣: ٣٨٩. وأعيان الشيعة ١: ٥٦٣.

٢) مستدرك الحاكم ٣: ١٥٢. والمعجم الكبير ٢٢: ٤٠٧ / ١٠١٨. وحلية الأولياء / أبي نعيم ٤: ١٨٨ ـ دار الكتب العلمية. ومجمع الزوائد ٩: ٢٠٢. وعيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٦٣ / ٢٦٤.

قال الصبان: أخرج الطبراني بسند رجاله ثقات أنهصلى الله عليه وآله قال لفاطمةعليها السلام: **«إنّ الله غير معذّبك ولا أحداً من ولدك»**(١).

وجاء في كثير من الروايات والأخبار أنّ ذلك خاص بأولادها دون سائر ذريتها، منها ماروي بالاسناد عن محمد بن مروان، قال: قلت لأبي عبداللهعليه السلام: هل قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: **«إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذريتها علىٰ النار»**؟ قالعليه السلام: **«نعم، عنىٰ بذلك الحسن والحسين وزينب وأُمّ كلثوم»**(٢).

قال حسّان بن ثابت:

وإن مريم أحصنت فرجها
وجاءت بعيسىٰ كبدر الدجىٰ
فقد أحصنت فاطمٌ بعدها
وجاءت بسبطي نبيّ الهدىٰ(٣)

دورها في خارج المنزل:

إذا تجاوزنا دور الزهراءعليها السلام في إدارة أعمال المنزل وتربية الأولاد، نرىٰ أن سيدة النساء قد سجّلت عناوين مهمة وآفاق جديدة لدور المرأة المسلمة في مجمل النشاطات الاجتماعية والسياسية والحربية وغيرها، ممّا يتناسب مع واقع وحاجات وظروف ذلك العصر.

فقد كانت تعلّم النساء ما يشكل عليهنّ من الأحكام الشرعية والمعارف

---

١) إسعاف الراغبين: ١٨١ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢) معاني الأخبار: ١٠٦ / ٢. وبحار الأنوار ٤٣: ٢٣١ / ٣.

٣) مناقب ابن شهرآشوب ٣: ٣٦٠.

الإلهية الضرورية، وكان يغشاها نساء المدينة وجيران بيتها [١]، ويبدو أن بيتها كان المدرسة النسائية الأُولىٰ في الإسلام، حيث تقبل عليها النساء طالبات للعلم، فيجدن فاطمة العالمة وهي تستقبلهنّ بصدر رحب لا يعرف الملالة والسأم.

عن الإمام العسكري عليه السلام قال: **«حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام فقالت: إنّ لي والدة ضعيفة، وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك اسألك، فأجابتها فاطمة عليها السلام عن ذلك، فثنّت فأجابت، ثم ثلّثت إلىٰ أن عشّرت فأجابت، ثم خجلت من الكثرة، فقالت: لا أشقّ عليك يا ابنة رسول الله. فقالت عليها السلام: هاتي وسلي عمّا بدا لك... إنّي سمعت أبي يقول: إنّ علماء أُمّتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات علىٰ قدر كثرة علومهم وجدّهم في إرشاد عباد الله، حتىٰ يخلع علىٰ الواحد منهم ألف ألف حلّة من نور...»** [٢].

وعنه عليه السلام قال: **«قالت فاطمة عليها السلام وقد اختصمت إليها امرأتان، فتنازعتا في شيء من أمر الدين، إحداهما معاندة، والأُخرىٰ مؤمنة، ففتحت علىٰ المؤمنة حجتها، فاستظهرت علىٰ المعاندة، ففرحت فرحاً شديداً، فقالت فاطمة عليها السلام: إنّ فرح الملائكة باستظهارك عليها أشدّ من فرحك، وإنّ حزن الشيطان ومردته أشدّ من حزنها...»** [٣].

ومما وصل إلينا من خطبها للنساء، خطبتها بنساء المدينة في مرض موتها، وهي غاية في الفصاحة والمعرفة، وسنوردها في آخر هذا البحث إن

---

١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٩٣.

٢) بحار الأنوار ٢: ٣/٣.

٣) بحار الأنوار ٢: ٨/١٥.

شاء الله تعالىٰ.

ولم تقتصر في تعليمها علىٰ النساء، بل كانت عليها السلام تطرف القاصدين إليها بما عندها من العلم والمعرفة، فعن ابن مسعود، قال: جاء رجل إلىٰ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا ابنة رسول الله، هل ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندك شيئاً تطرفينيه، فقالت: **«يا جارية، هاتي تلك الحريرة»** فطلبتها فلم تجدها، فقالت: **«ويحك اطلبيها، فانها تعدل عندي حسناً وحسيناً»** فطلبتها فإذا هي قد قمّتها في قمامتها، فإذا فيها: **«قال محمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت. إنّ الله يحبّ الخيّر الحليم المتعفّف، ويبغض الفاحش الضنين السّئآل الملحف. إنّ الحياء من الإيمان، والايمان في الجنة، وإن الفحش من البذاء، والبذاء في النار»**[1].

وكان للزهراء عليها السلام مشاركة فعّالة ومؤثّرة في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ في مواقع مختلفة أهمها المباهلة مع النصارىٰ، ونزل فيها قرآن يتلىٰ إلىٰ يوم القيامة ﴿**ونساءنا ونساءكم**﴾[2] فكانت سيدة النساء عليها السلام هي المختصة بهذا الفضل ولم يشركها فيه أحد من نساء الأُمّة.

وكانت الزهراء عليها السلام معيناً للمحتاجين من أبناء المجتمع الإسلامي آنذاك، تنفق في سبيل الله وتعتق الرقاب وتعين الضعفاء، فقد توافق أغلب المفسرين علىٰ نزول قوله تعالىٰ: ﴿**ويطعمون الطعام علىٰ حبه مسكيناً**

---

١) المعجم الكبير ٢٢: ٤١٣ / ١٠٢٤. ودلائل الإمامة: ٦٥ / ١. وقطعة من حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في صحيح البخاري ٨: ١٩ / ٤٨ و ٤٩. وصحيح مسلم ١: ٦٨ / ٧٥ و ٧٧. ومصابيح السُنة / البغوي ٣: ١٦٩ دار المعرفة ـ بيروت. والكافي ٢: ٦٦٧ / ٦. والزهد / الحسين بن سعيد: ٦ / ١٠، و ١٠ / ٢٠ عن الإمام الصادق عليه السلام المطبعة العلمية ـ قم.

٢) سورة آل عمران: ٣ / ٦١.

ويتيماً وأسيراً * إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾[١] في أهل البيت عليهم السلام علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام حينما تصدقوا رغم خصاصتهم علىٰ المسكين واليتيم والأسير[٢].

أخرج ابن شهرآشوب عن ابن شاهين في (مناقب فاطمة عليها السلام) وأحمد في مسند الأنصار عن أبي هريرة وثوبان أنّها عليها السلام نزعت قلادتها وقرطيها ومسكتيها ـ أي سواريها ـ ونزعت ستر بيتها، فبعثت به إلىٰ أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وقالت: «**اجعل هذا في سبيل الله**» فلمّا أتاه قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**قد فعلت فداها أبوها** ـ ثلاث مرات ـ **ما لآل محمد وللدنيا، فإنّهم خلقوا للآخرة، وخلقت الدنيا لغيرهم**» وفي رواية أحمد: «**فإنّ هؤلاء أهل بيتي، ولا أُحب أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا**»[٣].

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذينك السوارين فكسّرا فجعلهما قطعاً، ثمّ دعا أهل الصُفّة** ـ وهم قوم من المهاجرين لم يكن لهم منازل ولا أموال ـ **فقسّمه بينهم قطعاً، ثم جعل يدعو الرجل منهم العاري الذي لا يستتر بشيء، وكان ذلك الستر طويلاً، ليس له عرض، فجعل يؤزّر الرجل، فإذا التقيا عليه قطعه حتىٰ قسّمه بينهم أُزراً... ثم قال** صلى الله عليه وآله وسلم: **رحم الله فاطمة، ليكسونّها الله بهذا الستر من كسوة الجنة، وليحلّينها بهذين السوارين من حلية الجنة**»[٤].

---

١) سورة الإنسان: ٧٦ / ٨ و ٩.

٢) الكشاف / الزمخشري ٤: ٦٧٠. وتفسير الرازي ٣٠: ٢٤٣ دار احياء التراث العربي. ومعالم التنزيل / البغوي ٥: ٤٩٨ دار الفكر.

٣) المناقب / ابن شهر آشوب ٣: ٣٤٣. ومسند أحمد ٥: ٢٧٥. وذخائر العقبىٰ: ٥٢. ومسند فاطمة عليها السلام / السيوطي: ٦. وأمالي الصدوق: ٣٠٥ / ٣٤٨. وبحار الأنوار ٤٣: ٨٦.

٤) مكارم الأخلاق / الطبرسي: ٩٤ الشريف الرضي ـ قم. وبحار الأنوار ٤٣: ٨٢ / ٦.

وفي صحيفة الإمام الرضا عليه السلام عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال: **«حدثتني أسماء بنت عميس، قالت: كنت عند فاطمة جدتك، إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وفي عنقها قلادة من ذهب، كان علي بن أبي طالب عليه السلام اشتراها لها من فيءٍ له، فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا يغرّنك الناس أن يقولوا: بنت محمد، وعليك لباس الجبابرة؛ فقطعتها وباعتها، واشترت بها رقبة فاعتقتها، فسُرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك»** [1].

وفوق ذلك فالمتصفح للسيرة والتاريخ يجد أنّها كانت إلىٰ جنب رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض غزوات الإسلام الكبرىٰ تمسح الدم عن وجهه الكريم وتضمد جراحه.

أخرج البخاري ومسلم في الصحيح عن عبدالعزيز بن أبي حازم، عن أبيه، أنّه سمع سهل بن سعد يُسأل عن جرح رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أُحد، فقال: جرح رسول الله صلى الله عليه وآله وكسرت رباعيته وهشمت بيضته علىٰ رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تغسل الدم، وكان علي بن أبي طالب عليه السلام يسكب عليها بالمجَنّ، فلمّا رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلّا كثرة، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتىٰ صار رماداً، ثم ألصقته بالجرح، فاستمسك الدم [2].

وقال الواقدي في حديثه عن معركة أُحد: خرجت فاطمة عليها السلام في نساء، وقد رأت الذي بوجهه صلى الله عليه وآله فاعتنقته، وجعلت تمسح الدم عن وجهه،

---

١) صحيفة الإمام الرضا عليه السلام: ٢٥٦ / ١٨٥ طبع مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ـ قم. وعيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٤٤ / ٦١. وذخائر العقبىٰ: ٥١. والمناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٤٣. وبحار الأنوار ٤٣: ٢٦ / ٢٨.

٢) صحيح مسلم ٣: ١٤١٦ / ١٠١ كتاب الجهاد والسير ـ باب غزوة أُحد. وصحيح البخاري ٥: ٢٢٦ / ١١٣ كتاب المغازي ـ باب ما أصاب النبي صلى الله عليه وآله من الجراح يوم أُحد. ومغازي الواقدي ١: ٢٥٠ عالم الكتب ـ بيروت.

ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **«اشتدّ غضب الله علىٰ قوم أدموا وجه رسول الله»** وذهب علي عليه السلام يأتي بماءٍ من المهراس، وقال لفاطمة عليها السلام: **«أمسكي هذا السيف غير ذميم»** فأتىٰ بماءٍ في مِجَنّهِ... فمضمض منه رسول الله صلى الله عليه وآله فاه للدم الذي في فيه، وغسلت فاطمة الدم عن أبيها [١].

وجاء في أغلب التواريخ أن رسول الله صلى الله عليه وآله ناول سيفه ابنته فاطمة عليها السلام بعد غزاة أُحد، وقال لها: **«اغسلي عن هذا دَمَهُ يا بنية»** وناولها علي عليه السلام سيفه وقال:

«أفاطم هاك السيف غير ذميمٍ ... فلست برعديد ولا بلئيمِ
أفاطم قد أبليت في نصر أحمدٍ ... ومرضاة ربّ بالعباد رحيم
أميطي دماء القوم عنه فانّه ... سقىٰ آل عبدالدار كأس حميم» [٢]

وكانت لها إسهامات في حروب الإسلام المصيرية تناسب شخصيتها وقدراتها، ففي وقعة أُحد كانت قد جاءت مع أربع عشرة امرأة يحملن الطعام والشراب علىٰ ظهورهن، ويسقين الجرحىٰ ويداوينهم [٣].

وعندما أُصيب سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب عليه السلام كانت الزهراء عليها السلام من المبادرات إلىٰ مصرعه مع صفية بنت عبدالمطلب، وكانت تبكي وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يبكي لبكائها [٤].

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، لم تنس ابنة الرسالة دور الشهداء في بناء صرح الإسلام وتشييد عزّته واكتساب ديمومته وسرّ بقائه، قال الإمام

---

١) مغازي الواقدي ٢: ٢٤٩.

٢) تاريخ الطبري ٣: ٢٧ دار التراث ـ بيروت. ومستدرك الحاكم ٣: ٢٤. وتذكرة الخواص: ١٦٤. وشرح ابن أبي الحديد ١٥: ٣٥. ومجمع الزوائد ٦: ١٢٢. وأمالي الطوسي: ١٤٣ / ٢٣٢.

٣) مغازي الواقدي ١: ٢٤٩.

٤) مغازي الواقدي ١: ٢٩٠.

الصادق عليه السلام: **«إنّ فاطمة عليها السلام كانت تأتي قبور الشهداء في كل غداة سبت، فتأتي قبر حمزة وتترحم عليه وتستغفر له»** (١).

وفي مغازي الواقدي: كانت الزهراء عليها السلام تأتي قبور الشهداء بين اليومين والثلاثة، فتبكي عندهم وتدعو (٢)، واتخذت من تربة حمزة عليه السلام مسبحة على عدد التكبيرات تديرها بيدها فتكبّر وتسبّح بها، وعملت بعدها التسابيح فاستعملها الناس (٣).

ولمّا استشهد جعفر بن أبي طالب عليه السلام في مؤتة أمرها رسول الله صلى الله عليه وآله أن تتخذ لأسماء بنت عميس طعاماً ثلاثة أيام، فجرت بذلك السُنّة، وأمرها أن تقيم عندها ثلاثة أيام هي ونساؤها لتسليها عن المصيبة (٤).

وخرجت مع أبيها وبعلها يوم فتح مكة، وقد ضُرِبَ للنبي صلى الله عليه وآله خِباء بالبطحاء، وجلس فيه يغتسل وكانت فاطمة عليها السلام تستره، وقيل: أمرها فسكبت له غسلاً فاغتسل (٥).

ولم تنس الزهراء عليها السلام دورها الاجتماعي حتىٰ في عبادتها، فقد كانت تدعو للمؤمنين والمؤمنات ولا تدعو لنفسها، متحلية بالخلق النبوي والأدب الإسلامي الرفيع.

عن الإمام الحسن عليه السلام قال: **«رأيت أُمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتىٰ اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو**

---

١) تهذيب الأحكام ١: ٤٦٥ / ١٦٨.

٢) مغازي الواقدي ١: ٣١٣.

٣) مزار المفيد: ١٣٢ / ١ مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ـ قم. وبحار الأنوار ١٠١: ١٣٣ / ٦٤.

٤) المحاسن / البرقي: ٤١٩ / ١٩١ و ١٩٢.

٥) راجع: أخبار مكة / الأزرقي ١: ١٦١ الشريف الرضي ـ قم. ومغازي الذهبي: ٥٥٥ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم، وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أُمّاه، لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني، الجار ثمّ الدار» [1].

وكان للزهراء عليها السلام دور رائد في الدفاع عن قضايا الإسلام المصيرية بعد رحلة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلىٰ عالم الخلود ورضوان ربه، فقد جهرت بالحق ودافعت عن الإمامة، وخطبت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبة بليغة أعادت إلىٰ الأذهان الخطوط العريضة التي رسمها الإسلام لقيادة الأُمّة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحفظ الدعوة وتأصيل مفاهيمها، وقد كادت خطبتها أن تؤتي أُكلها لولا تسلّط الظالمين وبطش الجبارين. وسنأتي علىٰ بعض فقرات هذه الخطبة في آخر هذا البحث.

وعلىٰ رغم المأساة التي تعرضت لها الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله وسلم فقد استطاعت أن تؤدي دورها في إلقاء الحجة علىٰ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبيان الحقائق الناصعة التي طالما نوّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها في حياته.

جاء في خصال الشيخ الصدوق: أن فاطمة الزهراء عليها السلام لمّا منعت فدكاً وخاطبت الأنصار، فقالوا: يا بنت محمد، لو سمعنا هذا الكلام قبل بيعتنا لأبي بكر ماعدلنا بعلي أحداً. فقالت: **«وهل ترك أبي يوم غدير خمّ لأحد عذراً»** [2].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: **«أنّ عليّاً عليه السلام حمل فاطمة عليها السلام علىٰ حمارٍ وسار بها ليلاً إلىٰ بيوت الأنصار يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة عليها السلام الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، لو كان ابن عمك سبق**

---

١) علل الشرائع / الشيخ الصدوق: ١٨١ / ١. ودلائل الإمامة: ١٥١ / ٦٥.

٢) الخصال: ١٧٣.

إلينا أبا بكر ما عدلنا به، فقال علي عليه السلام أكنت أترك رسول الله ميتاً في بيته لا أُجهزه، وأخرج إلىٰ الناس أُنازعهم في سلطانه! وقالت فاطمة عليها السلام: ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له، وصنعوا هم ما الله حسيبهم عليه»[١].

---

١) الإمامة والسياسة / ابن قتيبة ١: ١٢ مكتبة مصطفىٰ بابي الحلبي ـ مصر. وشرح ابن أبي الحديد ٦: ١٣.

الفصل الثاني

خصائصها الفذّة ومكارم أخلاقهاعليها السلام

إنّ حياة سيدة النساءعليها السلام تعدّ صفحة خالدة علىٰ طول التاريخ، نقرأ فيها الذروة العليا من مبادىء العفاف والطهارة والاستقامة والعظمة، ما لا يمكن لأيّة أُنثىٰ في صفحات الوجود أن تبلغه، فهي غرس النبوة وشجرة الإمامة الباسقة التي نمت علىٰ أنغام كلمات الوحي من فم الصادق الأمين، الذي كان يحنو عليها ويبذل الوسع في إعدادها لتكون ابنة الرسالة المثلىٰ والقدوة الكبرىٰ لنساء العالمين.

ولقد تجلّت تلك العناية النبوية في الخصائص الفريدة التي تحلّت بها الزهراءعليها السلام، فكانت سيدة النساء وأفضلهن في العلم والأدب والفصاحة والبيان والخلق الرفيع والعبادة ومكارم الأخلاق.

قالت عائشة: ما رأيت قطّ أفضل من فاطمة غير أبيهاصلى الله عليه وآله وسلم [1].

ولم تنل فاطمةعليها السلام مرتبة السيادة السامية لأنّها بنت الرسولصلى الله عليه وآله وسلم وحسب، ولكن الله تعالىٰ اختارها وفضّلها علىٰ نساء العالمين، وأكرمها بما جاء علىٰ لسان الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوىٰ من الأحاديث الجمّة

---

١) المعجم الأوسط / الطبراني ٣: ٣٤٩ / ٢٧٤٢. والإصابة ٤: ٣٧٨ أخرجه عن المعجم الأوسط، وقال: سنده صحيح علىٰ شرط الشيخين. ومجمع الزوائد ٩: ٢٠١. وقال: رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى، ورجالهما رجال الصحيح. وإتحاف السائل: ٢٨.

في بيان خصائصها ومكارم أخلاقها عليها السلام، كما أنّها أجهدت نفسها في مرضاة الله عزّ وجلّ واستحقّت شرف الحصول على هذه المرتبة بفضل زهدها وإخلاصها ويقينها وعبادتها وإنفاقها وجهادها وصبرها وتحملها في سبيل الله، فكانت رمزاً وقدوة للمرأة في المجتمع الإسلامي.

ومن هنا حظيت بمناقب فذّة ومزايا عجيبة، فكان زواجها بأمر الله تعالىٰ، وكانت من الخمسة أهل الكساء عترة النبي المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وفرض مودتهم علىٰ جميع الخلق، وأوجب التمسك بهم والاقتداء بهديهم بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، واختصها الله تعالىٰ بقوله في آية المباهلة: ﴿**ونساءنا ونساءكم**﴾ فتفرّدت بنيل ذلك الشرف من دون نساء الأُمّة، وجعل الله تعالىٰ في نسلها الذرية الطاهرة من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفي ذلك شرف لا يضاهىٰ وفضل لا يدانىٰ.

قال الشاعر:

تفرّدت بالذكا والعلم واتخذت ... من الخلائق والآداب ساميها
والله كمّل تكميلاً محاسنها الـ ... زهرا فسافرها زاهٍ وخافيها
وإنّها فذّة بين النساء فلا ... بنت لحوّاء تدنو من معاليها[1]

وفي هذا الفصل سنورد بعض الأخبار الدالة علىٰ خصوصيتها بشرف المنزلة وتفرّدها بعلو الدرجة، من خلال مبحثين:

الأول: في مناقب الزهراء عليها السلام وخصائصها.

الثاني: في مكارم أخلاقها.

---

١) من القصيدة العلوية / عبدالمسيح الانطاكي: ٩٥.

المبحث الأول: مناقب الزهراء عليها السلام وخصائصها:

١ ـ عصمتها من الأرجاس:

أخرج مسلم في الصحيح عن عائشة، قالت: خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم غداةً وعليه مرط مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليّ فأدخله، ثم قال: ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾[١]. وأخرج الترمذي وغيره عن أُم سلمة: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جلّل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء، وقال: «**اللهمّ أهل بيتي وحامتي اذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً**». قالت أُمّ سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ فقال: «**إنّكِ على خير**»[٢]. ولا ريب أن إذهاب الرجس عن أهل البيت الذين عنوا بالخطاب يوجب عصمتهم.

٢ ـ فرض مودّتها:

روي أنه لمّا نزل قوله تعالىٰ: ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربىٰ**﴾[٣].

قيل: يا رسول الله، من هم قرابتك الذين وجبت علينا مودّتهم؟

---

١) صحيح مسلم ٤: ١٨٨٣ / ٢٤٢٤. وتفسير الرازي ٨: ٨٠. والآية من سورة الأحزاب: ٣٣ / ٣٣.

٢) سنن الترمذي ٥: ٣٥١ / ٣٢٠٥ و ٥: ٦٦٣ / ٣٧٨٧ و ص٦٦٩ / ٣٨٧١. وروي حديث الكساء في مسند أحمد ٤: ١٠٧ و ٦: ٢٩٢ و ٣٠٤. ومصابيح السُنّة ٤: ١٨٣. ومستدرك الحاكم ٢: ٤١٦ و ٣: ١٤٨. وتفسير الطبري ٢٢: ٦ و ٧. وتاريخ بغداد ٩: ١٢٦ و ١٠: ٢٧٨. وأُسد الغابة ٢: ١٢ و ٤: ٢٩. والمعجم الكبير / الطبراني ٩: ٢٥ / ٨٢٩٥، ٢٣: ٢٤٩ و ٢٨١ و ٣٢٧ و ٣٣٤ و ٣٣٣ و ٣٣٧ و ٣٩٦.

٣) سورة الشورىٰ: ٢١ / ٢٣.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: **«عليّ وفاطمة وابناهما»**[١].

٣ ـ المباهلة بها:

أجمع المفسرون والمحدّثون وكتّاب السيرة أنّ فاطمة وبعلها وبنيها عليهم السلام كانوا المعنيين في قوله تعالىٰ: **﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾**[٢] الذي نزل علىٰ أثر مناظرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لوفد نصارىٰ نجران؛ إذ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام للمباهلة بهم، وقال: **«اللهمّ هؤلاء أهل بيتي»**[٣] ف‍(أبناءنا) الحسن والحسين و(نساءنا) فاطمة و(أنفسنا) رسول الله وعلي عليهما السلام، فكانت بضعة الرسول هي التي تفرّدت من بين نساء الأُمّة بشرف الاصطفاء الإلهي لهذه المنزلة العظيمة.

٤ ـ إنّها مع الحقّ أبداً:

عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: **«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة: إنّ الله يغضب لغضبك ويرضىٰ لرضاك»**[٤]. فإذا كان غضبها موافقاً لغضب الله في جميع

---

١) الكشاف / الزمخشري ٤: ٢١٩. ومستدرك الحاكم ٣: ١٧٢. وتفسير الرازي ٢٧: ١٦٦.

٢) سورة آل عمران: ٣ / ٦١.

٣) راجع: صحيح مسلم ٤: ١٨٧١. وسنن الترمذي ٥: ٢٢٥ / ٢٩٩٩. ومصابيح السُنّة ٤: ١٨٣ / ٤٧٩٥. وتفسير الرازي ٨: ٨١. وتفسير الزمخشري ١: ٣٦٨. وتفسير القرطبي ٤: ١٠٤. والكامل في التاريخ ٢: ٢٩٣. ومسند أحمد ١: ١٨٥. ومستدرك الحاكم ٣: ١٥٠. والدر المنثور / السيوطي ٢: ٢٣٢ ـ دار الفكر.

٤) المعجم الكبير ٢٢: ٤٠١ / ١٠٠١. ومستدرك الحاكم ٣: ١٥٤ وقال: هذا صحيح الاسناد ولم يخرجاه. وأُسد الغابة ٥: ٥٢٢. وذخائر العقبىٰ: ٣٩. ومقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي ١: ٥٢. ومجمع الزوائد ٩: ٢٠٣، وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن. والصواعق المحرقة: ١٧٥ ـ باب ١١ ـ فصل ١ ـ المقصد ٣. وصحيفة الإمام الرضا عليه السلام ٩٠ / ٢٣. وعيون أخبار الرضا عليه السلام ٢:

←

الأحوال وكذلك رضاها، فهذا يعني أن رضاها وغضبها يوافق الموازين الشرعية في جميع الأحوال، وأنها لا تعدو الحق في حالتي الغضب والرضا، وفي ذلك دليل ساطع علىٰ عصمتهاعليها السلام يضاف لما تقدّم في آية التطهير.

٥ ـ بضعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وشجنة منه:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّما ابنتي فاطمة بضعة مني، يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها**»(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني**»(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّما فاطمة شجنة مني، يبسطني ما يبسطها، ويقبضني ما يقبضها**»(٣).

هذه الأحاديث وغيرها التي وردت بألفاظ مختلفة ومعانٍ متقاربة، فيها دليل آخر علىٰ عصمة فاطمةعليها السلام، ذلك لأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم معصوم عن الذنب والخطأ والهوىٰ، ولا يرضىٰ أو يغضب إلّا لرضا الله سبحانه وغضبه، وعليه

← ٤٦ / ٧٦. ومعاني الأخبار: ٣٠٢ / ٢. وأمالي المفيد: ٩٤ / ٤. وإتحاف السائل / المناوي: ٦٥ وقال: رواه الطبراني باسناد حسن.

١) المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٤ / ١٠١٠ و١٠١١. وسنن البيهقي ٧: ٦٤ و ١٠: ٢٠١. ومشكاة المصابيح / التبريزي ٣: ١٧٣٢. وفيض القدير ٤: ٢٤١. وحلية الأولياء ٢: ٤٠. والصواعق المحرقة: ١٩٠. والاصابة ٤: ٣٧٨. ومصابيح السُنّة ٤: ٨٥. ورواه ابن شاهين في فضائل فاطمةعليها السلام: ٤٢ / ٢١. والكنجي في كفاية الطالب: ٣٦٥ ولفظه: «**إنّما فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما آذاها، ويغضبني ما أغضبها**».

٢) المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٤ / ١٠١٢. وصحيح البخاري ـ كتاب المناقب ٥: ٩٢ / ٢٠٩. ومصابيح السُنّة ٤: ١٨٥ / ٤٧٩٩. وإتحاف السائل ٥٧. والجامع الصغير ٢: ٢٠٨.

٣) المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٥ / ١٠١٤، وفيه: «**يغضبني ما أغضبها، ويبسطني ما يبسطها**». ومستدرك الحاكم ٣: ١٥٤. وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه. ومجمع الزوائد ٩: ٢٠٣. وإتحاف السائل: ٥٨.

فلا يمكن القول بأنه صلى الله عليه وآله وسلم يغضب لغضب بضعته، إلّا إذا قلنا بعصمتها عن الذنب والخطأ.

وقد استدلّ أعلام الإمامية بهذا الحديث علىٰ عصمة فاطمة عليها السلام قال الشيخ المفيد رحمه الله: (فلولا أنّ فاطمة عليها السلام كانت معصومة من الخطأ، مبرّأة من الزلل، لجاز منها وقوع مايجب أذاها به بالأدب والعقوبة، ولو وجب ذلك لوجب أذاها، ولو جاز وجوب أذاها، لجاز أذىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأذىٰ لله عزّ وجل، فلمّا بطل ذلك، دلّ علىٰ أنّها كانت معصومة)[1].

وقال السيد المرتضىٰ رحمه الله: (هذا يدلّ علىٰ عصمتها؛ لأنّها لو كانت ممن يقارف الذنوب، لم يكن من يؤذيها مؤذياً له صلى الله عليه وآله وسلم علىٰ كلّ حال، بل كان متىٰ فعل المستحقّ من ذمّها وإقامة الحدّ عليها ـ إن كان الفعل يقتضيه ـ ساراً له صلى الله عليه وآله وسلم ومطيعاً)[2].

حكاية موضوعة:

لقد اقترن حديث البضعة المتقدم بحكاية موضوعة لا تتناسب مع جلالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقدسية أهل بيته عليهم السلام، افتعلها أعداؤهم للنيل منهم والحطّ من منزلتهم العظيمة في نفوس المسلمين بغضاً وحسداً لما آتاهم الله تعالىٰ من فضله الكريم، وفي ما يلي نورد بعض ألفاظ تلك الحكاية الموضوعة والمتناقضة.

روىٰ البخاري ومسلم باسنادهما عن المسور بن مخرمة، قال: إنّ علياً عليه السلام خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة، فأتت رسول

---

١) الفصول المختارة: ٥٦ ـ دار الأضواء.

٢) الشافي / السيد المرتضىٰ ٤: ٩٥ ـ مؤسسة الصادق ـ طهران. وتلخيص الشافي / الطوسي ٣: ١٢٣. وشرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ١٦: ٢٧٢.

الله ﷺ فقالت: **«يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل»**. فقام رسول الله ﷺ فسمعته حيث تشهّد يقول: **«أما بعد، أنكحت أبا العاص بن الربيع، فحدثني وصدقني، وأنّ فاطمة بضعة مني، وإنّي أكره أن يسوءها**[١]**، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجلٍ واحد»** فترك عليّ الخطبة[٢].

وفي حديث آخر عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنّ فاطمة منيّ، وإنّي أتخوف أن تفتن في دينها»**، قال: ثم ذكر صهراً له من بني عبد شمس ـ يعني أبا العاص ـ فأثنىٰ عليه في مصاهرته إياه فأحسن، قال: **«حدثني فصدقني، ووعدني فأوفىٰ لي، وإنّي لست أُحرم حلالاً ولا أُحلّ حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله أبداً»**[٣].

رأي أهل البيت عليهم السلام**:**

وقد أنكر أهل البيت عليهم السلام أصل هذه الحكاية، ونسبوها إلىٰ وضع أعدائهم، ومن ذلك ما رواه الشيخ الصدوق رحمه الله بالاسناد عن علقمة، عن الصادق عليه السلام ـ في حديث ـ قال علقمة: يا بن رسول الله، إنّ الناس ينسبوننا إلىٰ عظائم الأُمور، وقد ضاقت صدورنا.

فقال عليه السلام: **«يا علقمة، إنّ رضا الناس لا يملك، وألسنتهم لا تضبط، فكيف تسلمون ممّا لم يسلم منه أنبياء الله ورسله وحججه** عليهم السلام **... وما قالوا في الأوصياء أكثر من ذلك... ألم ينسبوا سيد الأوصياء** عليه السلام **إلىٰ أنّه أراد أن يتزوّج**

---

١) في صحيح مسلم: يفتنوها.

٢) صحيح البخاري ٥: ٩٥ / ٢٢٢ ـ كتاب المناقب. وصحيح مسلم ٤: ١٩٠٣ / ٩٦ ـ كتاب فضائل الصحابة.

٣) صحيح البخاري ٤: ١٨٥ / ١٩ ـ كتاب الجهاد والسير. وصحيح مسلم ٤: ١٩٠٣ / ٩٥ ـ كتاب فضائل الصحابة.

ابنة أبي جهل على فاطمة عليها السلام ، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله شكاه على المنبر إلى المسلمين ، فقال : إنّ علياً يريد أن يتزوج ابنة عدوّ الله على ابنة نبي الله ، ألا إنّ فاطمة بضعة منّي ، فمن أذاها فقد آذاني ، ومن سرّها فقد سرّني ، ومن غاظها فقد غاظني» [١].

وذكر الإمام الصادق عليه السلام في حديث آخر قصة هذا الحديث ، مبيّناً كيفية وضعه واختلاقه ، كونه سعاية من أحد الأشقياء المبغضين لأهل البيت عليهم السلام ليؤذي فاطمة عليها السلام ويوقع بزعمه بين الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام ، وقد رواه الشيخ الصدوق مسنداً في (العلل) [٢].

آراء أعلام الطائفة وغيرهم :

وأثبت كثير من أعلام الطائفة وغيرهم بطلان هذه الحكاية من وجوه عديدة ، ومخالفتها لصحيح النقل وقطعي السُنّة وحكم العقل وثوابت العلاقة الالهية بين النبي ووصيه وبضعته الزهراء (صلوات الله عليهم أجمعين) ، وفي ما يلي نذكر بعض ما جاء عنهم :

أولاً : قال السيد المرتضى رحمه الله : هذا خبر باطل موضوع.. ذكره الكرابيسي [٣] طاعناً به على أمير المؤمنين «صلوات الله عليه» ، ومعارضاً

---

١) أمالي الصدوق : ١٦٥ / ١٦٣ المجلس ٢٢.

٢) علل الشرائع ١ : ١٨٥ ـ باب ١٤٨ / ٢.

٣) هو أبو علي الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي ، المتوفى سنة ٢٤٨ هـ، من أصحاب الشافعي والرواة عنه ، ويقال إنّه من جملة مشايخ البخاري صاحب الصحيح . قال الأزدي : ساقط لا يرجع إلى قوله ، وقال ابن حبان : كان ممن يحسن الفقه والحديث ، ولكن أفسده قلّة عقله .

ونقل ابن أبي حاتم عن الخولاني قال : إنّ أحمد بن حنبل رمى الكرابيسي بالجهمية ، وعن مسلم بن قاسم في (الصلة) ، قال : كان الكرابيسي غير ثقة في الرواية .

←

بذكره لبعض ما يذكره شيعته من الأخبار في أعدائه، وهيهات أن يشتبه الحق بالباطل، ولو لم يكن في ضعفه إلّا رواية الكرابيسي له واعتماده عليه، وهو من العداوة لأهل البيت عليهم السلام والمناصبة لهم والازراء علىٰ فضائلهم ومآثرهم علىٰ ما هو مشهور، لكفىٰ.

علىٰ أنّ هذا الخبر قد تضمّن ما يشهد ببطلانه ويقضي بكذبه، من حيث ادعي فيه أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذمّ هذا الفعل وخطب بانكاره علىٰ المنابر، ومعلوم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لو كان فعل ذلك علىٰ ما حكي، لما كان فاعلاً لمحظور في الشريعة؛ لأنّ نكاح الأربع علىٰ لسان نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مباح، والمباح لا ينكره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويصرّح بذمّه، وبأنّه متأذٍ به، وقد رفعه الله عن هذه المنزلة، وأعلاه عن كل منقصة ومذمّة، ولو كان صلى الله عليه وآله وسلم نافراً من الجمع بين بنته وبين غيرها بالطباع التي تنفر من الحسن والقبيح، لما جاز أن ينكره بلسانه، ثمّ ما جاز أن يبالغ في الانكار، ويعلن به علىٰ المنابر وفوق رؤوس الأشهاد، ولو بلغ من إيلامه لقلبه كل مبلغ، فما اختص به من الحلم والكظم، ووصفه الله به من جميل الأخلاق وكريم الآداب، ينافي ذلك ويحيله ويمنع من إضافته إليه وتصديقه عليه، وأكثر ما يفعله مثله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الأمر، إذا ثقل عليه، أن يعاتب سرّاً، ويتكلم في العدول عنه خفياً، علىٰ وجه جميل،

← وقال ابن النديم: كان الكرابيسي من المجبرة.. وله من الكتب كتاب الإمامة. فيه غمز علىٰ علي عليه السلام.

وروىٰ الخطيب بالاسناد عن أبي البختري قال: سمعت الكرابيسي يقول: ما خصّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً بفضيلة إلّا وقد شركه فيها فلان وفلان وجُليبيب، قال: فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم، فسمعته يقول: كذب، ما هو كهم، ولا محلّه كمحلّهم، ولا منزلته كمنزلتهم. راجع تاريخ بغداد ٨: ٦٦. وميزان الاعتدال ١: ٥٤٤. ولسان الميزان ٢: ٣٠٣. وأنساب السمعاني ٥: ٤٢. وفهرست ابن النديم: ٢٧٠.

وبقول لطيف...

فو الله إنّ الطعن علىٰ النبي صلى الله عليه وآله بما تضمّنه هذا الخبر الخبيث أعظم من الطعن علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام، وما صنع هذا الخبر إلّا ملحد قاصد للطعن عليهما، أو ناصب معاند لا يبالي أن يشفي غيظه بما يرجع علىٰ أصوله بالقدح والهدم.

علىٰ أنّ لا خلاف بين أهل النقل أنّ الله تعالىٰ هو الذي اختار أمير المؤمنين عليه السلام لنكاح سيدة النساء (صلوات الله وسلامه عليها) وأنّ النبي صلى الله عليه وآله ردّ منها جلّة أصحابه وقد خطبوها، وقال صلى الله عليه وآله: **«إنّي لم أزوّج فاطمة علياً حتىٰ زوجها الله إياه في سمائه»** ونحن نعلم أنّ الله سبحانه لا يختار لها من بين الخلائق من يغيرها ويؤذيها ويغمّها، فانّ ذلك من أدلّ دليل علىٰ كذب الراوي لهذا الخبر.

وبعد فانّ الشيء إنما يحمل علىٰ نضائره، ويلحق بأمثاله، وقد علم كلّ من سمع الأخبار أنّه لم يعهد من أمير المؤمنين عليه السلام خلاف علىٰ الرسول صلى الله عليه وآله ولا كان قطّ بحيث يكره، علىٰ اختلاف الأحوال وتقلّب الأزمان وطول الصحبة، ولا عاتبه صلى الله عليه وآله علىٰ شيءٍ من أفعاله، مع أنّ أحداً من أصحابه لم يخل من عتاب علىٰ هفوة ونكير، لأجل زلّة، فكيف خرق بهذا الفعل عادته، وفارق سجيّته وسنته، لولا تخرّص الأعداء وتعدّيهم[1].

ثانياً: ذكر ابن أبي الحديد هذا الخبر ضمن الأحاديث الموضوعة في ذمّ علي أمير المؤمنين عليه السلام من قبل المنحرفين عنه، حيث نقل عن شيخه أبي جعفر الأسكافي أنه قال: إنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من

---

١) تنزيه الأنبياء / السيد المرتضىٰ: ١٦٧ ـ ١٦٩، منشورات الرضي ـ قم، ونقله الشيخ الطوسي في تلخيص الشافي ٢: ٢٧٦ ـ ٢٧٩، منشورات عزيزي ـ قم.

التابعين علىٰ رواية أخبار قبيحة في عليّ عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم علىٰ ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم: أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة ابن الزبير، وأما أبو هريرة فروىٰ الحديث الذي معناه أنّ علياً عليه السلام خطب ابنة أبي جهل في حياة رسول الله... والحديث مشهور في رواية الكرابيسي.

قال ابن أبي الحديد: وعندي أنّ هذا الخبر ـ لو صحّ ـ لم يكن علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فيه غضاضة ولا قدح؛ لأنّ الأُمّة مجمعة علىٰ أنه لو نكح ابنة أبي جهل مضافاً إلىٰ نكاح فاطمة عليها السلام لجاز؛ لأنّه داخل تحت عموم الآية المبيحة للنساء الأربع، فابنة أبي جهل المشار إليها كانت مسلمة؛ لأنّ هذه القصة كانت بعد فتح مكة وإسلام أهلها طوعاً وكرهاً، ورواة الخبر موافقون علىٰ ذلك[1].

ثالثاً: وأتمّ ما جاء في ردّ هذا الخبر الباطل بالأدلة القطعية، هو ما حققه السيد علي الميلاني في دراسته الخاصة بخطبة علي عليه السلام لابنة أبي جهل، حيث ذكر أولاً أغلب مظانّ الخبر ومتونه، وناقش في طرقه وأسانيده وأحوال رواته علىٰ ضوء كلمات أعلام الجرح والتعديل، فأسقط طرقه المرسلة، ففي رواته من لم يلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يدركه، كسويد بن غفلة وعروة بن الزبير وعامر الشعبي، كما أسقط طرقه الضعيفة بالمدلسين والوضاعين والضعفاء كعبيد الله بن تمام، وزكريا بن أبي زائدة، ويزيد بن هارون وغيرهم.

ثم بين أنّ سنده المتصل والمعتمد في كتب الصحاح، هو خبر المسور ابن مخرمة، قد وقع فيه المعاندون لأهل البيت عليهم السلام ممن كانوا يناصبونهم

---

١) شرح نهج البلاغة ٤: ٦٤.

العداء، أمثال الزهري الذي يعدّ من أشهر المنحرفين عن علي وأهل بيتهعليهم السلام، فقد كان يجالس عروة بن الزبير وينالان من أمير المؤمنينعليه السلام [١] فضلاً عن أنّه من عمال بني أُمية ومشيّدي سلطانهم، وفيه أيضاً ابن أبي مليكة، وهو قاضي عبدالله بن الزبير ومؤذّنه.

أما راوي الخبر وهو المسور بن مخرمة، فكان أيضاً من مبغضي أمير المؤمنينعليه السلام، وهو من أعوان عبدالله بن الزبير، وكان الأخير لا يقطع دونه أمراً، وقُتِل المسور معه في رمي الكعبة بالمنجنيق، وتولّىٰ ابن الزبير غسله، فضلاً عن أنه كان إذا ذكر معاوية صلّىٰ عليه، وكانت الخوارج تغشاه وتعظّمه، وأمثال هؤلاء لا تقبل روايتهم مطلقاً ولا كرامة، فكيف لو كانت في القدح بأمير المؤمنينعليه السلام.

ومن جانب آخر أنّ المسور بن مخرمة قد ولد بعد الهجرة بسنتين، وتوفّي النبيصلى الله عليه وآله وسلم وعمره ثمان سنين، فان كان سمعه بعد الفتح، فان عمره عند الحادثة ست أو سبع سنين، مما يزيد الأمر وضوحاً في اختلاق الخبر.

أمّا من حيث متن الخبر وألفاظه ودلالاته، فقد ناقشها علىٰ ضوء القواعد المقررة في علم الحديث، وما ذكره المحققون من شرّاح الأخبار، فكشف عن تناقض ألفاظه بشكل يتعذّر معه الجمع بينها [٢]، كما بيّن الاختلاف في معاني تلك الألفاظ وتحيّر شُرّاح الخبر واضطراب كلماتهم في بيانها،

---

١) شرح نهج البلاغة ٤: ١٠٢.

٢) راجع في هذه الحكاية صحيح البخاري ٧: ٦٥ / ١٥٩. وصحيح مسلم ٤: ١٩٠٢ / ٢٤٤٩. وسنن الترمذي ٥: ٦٩٨ / ٣٨٦٩. ومستدرك الحاكم ٣: ١٥٨. ومسند أحمد ٤: ٥ و ٣٢٦ و ٣٢٨. والمصنف / ابن أبي شيبة ١٢: ١٢٨. وفتح الباري ٦: ١٦١ و ٧: ٦٨ و ٨: ١٥٢ و ٩: ٢٦٨ ـ ٢٧٠. وكنز العمال ١٣: ٦٧٧. ومجمع الزوائد ٩: ٢٠٣. وإتحاف السائل: ٥٨ ـ ٥٩. وشرح ابن أبي الحديد ٤: ٦٥ لترىٰ مدىٰ الاختلاف والتفاوت في ألفاظها والتناقض في مدلولها.

وعدم توفقهم إلىٰ تقديم وجه معقول للجمع بين دلالاتها المختلفة مع شدة حرصهم وتمحّلهم في ذلك، وعليه لمّا كانت الحال هذه والقضية واحدة دلّ هذا علىٰ تهافت الخبر وتناقضه، وحمق واضعه وسخف المروجين له وانحرافهم.

ثمّ خرج أخيراً بعدة نتائج علىٰ صعيد استقراء سند الحديث ودلالته، منها تناقض مدلول الخبر مع قطعي السُنّة وواقع الحال، وعدم تناسبه وشأن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته (صلوات الله عليهم) من عدّة وجوه، ومنها أن الخبر موضوع من قبل آل الزبير المعروفين بعدائهم السافر لأهل البيت عليهم السلام، فقد كان من رواته عبدالله بن الزبير، وهو الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام: **«ما زال الزبير رجلاً منّا أهل البيت حتىٰ نشأ ابنه المشؤوم عبدالله»**[1].

قال ابن أبي الحديد: كان عبدالله بن الزبير يبغض عليّاً وينتقصه، وينال من عرضه[2]. وقال أيضاً: كان عبدالله بن الزبير من المنحرفين عن علي المبغضين له... وكان سبّاباً فاحشاً، يبغض بني هاشم، ويلعن ويسبّ علي ابن أبي طالب[3].

ومنهم أخوه عروة بن الزبير وجماعة من المحيطين بآل الزبير من أعوانهم وأنصارهم ممن قدّمنا ذكرهم آنفاً[4].

ثم إنّه لابدّ من الاشارة إلىٰ أنّ حديث البضعة مخرّج من طرق صحيحة دون ذكر لهذه الحكاية المختلقة، كما قدّمناه أولاً، ممّا يدلّ علىٰ أن لواضعي

---

١) نهج البلاغة / صبحي الصالح: ٥٥٥ / ٤٥٣.

٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٦١.

٣) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٧٩.

٤) خطبة علي عليه السلام ابنة أبي جهل / السيد علي الميلاني: ٥ ـ ٨٠ ـ مركز الغدير ـ قم.

هذا الخبر الزائف مقترناً بحديث البضعة المتّفق عليه، أغراضاً خبيثة وباطلة، تستهدف الطعن في النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته المعصومين عليهم السلام، وصرف الانظار عن أُولئك الذين أغضبوا فاطمة عليها السلام بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وظلموها حقّها واغتصبوا نحلتها، وهجموا علىٰ دارها واسقطوا محسنها، فآذوا بذلك قلب المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم ولم يحفظوه في ذريته ﴿**والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم**﴾[1] فودّعت فاطمة عليها السلام الحياة وهي غضبىٰ عليهم، فباءوا بغضب من الله تعالىٰ ورسوله، واستحقوا شديد العقاب.

ولقد صفّق أعداء أهل البيت عليهم السلام لهذا الخبر الباطل، وأبانوا عن أغراضهم المريضة التي لا تنطلي علىٰ ذي حجىٰ، منذ عهد شاعر البلاط العباسي ابن أبي حفصة وحتىٰ شرّاح الحديث المتأخرين مروراً بابن تيمية [2] مجدّد مذاهب النصب والعداء لآل المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم.

فهذا ابن أبي حفصة يقول في قصيدته التي يمدح بها الرشيد ويبالغ في ذمّ أمير المؤمنين عليه السلام والنيل من ولد فاطمة عليها السلام:

علي أبوكم كان أفضل منكم ... أباهُ ذوو الشورىٰ وكانوا ذوي الفضلِ
وساء رسول الله إذ ساء بنته ... بخطبته بنت اللعين أبي جهلِ [3]

فردّ عليه كثير من أعلام الشعراء، منهم السيد مهدي بحرالعلوم رحمه الله في قصيدة طويلة منها:

وقد جاء تحريم النكاح لحيدرٍ ... علىٰ فاطم فذا الرواة له تملي

---

١) سورة التوبة: ٩ / ٦١.

٢) راجع: منهاج السُنّة ٢: ١٧٠.

٣) راجع القصيدة في شرح ابن أبي الحديد ٤: ٦٥.

فان كـان حـقّاً فـالوصيّ أحـقّ مـن | تجنّب محظوراً من القـول والفـعلِ
وإن لم يكـن حـقّاً وكـان مـحلّلاً | له كـلّ مـا قـد حـلّ مـن ذاك للكـلِّ
فما كانت الزهـراء ليسـخطها الذي | بـه الله راضٍ حـاكـم فـيه بـالعدلِ
ولا كان خير الخـلق مـن لا يـهيجه | سوىٰ غضب لله يغضب من جهلِ [1]

وقال بـعض شـرّاح الحـديث: أصـحّ مـا تـحمل عـليه هـذه القـصة أنّ النبي ﷺ حرّم علىٰ علي أن يجمع بين ابنته وبين ابنة أبي جهل؛ لأنّه علّل بأن ذلك يؤذيه، وأذيته حرام بالاتفاق [2].

وليت شعري هل إنّ عليّاً عليه السلام ما كان يعلم بتلك الحرمة وهو باب مدينة العلم ؟! أو إنّه يعلم بها فارتكب محرماً ؟! وقد أبىٰ الله تعالىٰ إلّا أن يطهّر أهل هذا البيت ويعصمهم من كلّ رجس وذنب.

صورة أُخرىٰ للخبر:

وروي هذا الخبر بصورة أُخرىٰ في مصادر العامة، قال السيوطي: أخرج الشيخان عن المسور بن مخرمة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهـو علىٰ المنبر: «**إنّ بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن، ثم لا آذن، إلّا أن يريد ابن أبي طالب أن يـطلّق ابـنتي وينكح ابنتهم، وإنّي لست أحرّم حلالاً، ولا أُحلّل حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله أبداً**».

وفي رواية: «**فإنّما فاطمة بضعة مني، يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها،**

---

١) نقلها السيد جعفر بحرالعلوم في تحفة العالم ١: ٢٤١ ـ ٢٥٠، طهران، وهي تقع فـي ٣٠٠ بـيت. وراجع هامش تلخيص الشافي ٢: ٢٧٨.

٢) راجع: فتح الباري ٩: ٢٦٨.

وأنا أتخوف أن تُفتَن في دينها» (١).

وعلىٰ تقدير صحة هذا الخبر، فليس فيه أدنىٰ قدح في أمير المؤمنين عليه السلام ، ولو تأذّت الزهراء عليها السلام فإنّما كان ذلك بسبب بني هشام بن المغيرة الذين استأذنوا في نكاح ابنتهم لأغراض في أنفسهم؛ لأنّهم كانوا أشدّ الناس عداوةً لأهل البيت عليهم السلام ، فقد روي عن أبي سعيد: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **«أشدّ قومنا لنا بغضاً بنو أُميّة، وبنو المغيرة، وبنو مخزوم»**(٢).

ولعلّ المسألة لا تعدو كونها استئذان بني هشام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الأمر، فأسخطه ذلك ولم يأذن لهم، فتوهّم البعض أنه كان ذلك الاستئذان بسبب الخطبة لها من علي عليه السلام ، ثم أضاف إليه بعض المغرضين والمبغضين أشياء أُخرىٰ، ويؤيد ذلك حديث الإمام الصادق عليه السلام الذي أشرنا إليه بعد ذكر الصورة الأُولىٰ من الخبر (٣).

وأخيراً نُذكّر بما مرّ من أقوال أمير المؤمنين عليه السلام ، وهي القول الفصل في ذلك، كقوله عليه السلام : **«والله ما أغضبتها ولا أكرهتها علىٰ أمرٍ حتّىٰ قبضها الله عزّ وجلّ»** (٤).

٦ ـ سيدة نساء العالمين:

عن عائشة قالت، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **«يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأُمّة، وسيدة نساء المؤمنين»** (٥).

---

١) الثغور الباسمة: ٣٦. وصحيح البخاري ٧: ٦٥ / ١٥٩ ـ كتاب النكاح. وصحيح مسلم ٤: ١٩٠٢ / ٩٣. وسنن الترمذي ٥: ٦٩٨.

٢) كنز العمال ١١: ١٦٩ / ٣١٠٧٤.

٣) راجع: علل الشرائع / الصدوق ١: ١٨٥ ـ باب ١٤٨ / ٢.

٤) كشف الغمة / الاربلي ١: ٣٦٣. ومناقب الخوارزمي: ٢٤٧.

٥) مستدرك الحاكم ٣: ١٥٦ وقال: هذا إسناد صحيح ولم يخرجاه هكذا. إتحاف السائل: ٧١.

وعن جابر بن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ: **«حسبك من النساء أربع سيدات نساء العالمين: فاطمة بنت محمد، وخديجة بنت خويلد، وآسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران»**[١].

وعن ابن عباس: قيل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، أهي سيدة نساء عالمها؟ فقال النبي ﷺ: **«ذاك لمريم بنت عمران، فأمّا ابنتي فاطمة، فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين...»**[٢].

وعن المفضل، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أخبرني عن قول رسول الله ﷺ في فاطمة: **«إنّها سيدة نساء العالمين»** أهي سيدة نساء عالمها؟ فقال عليه السلام: **«ذاك لمريم، كانت سيدة نساء عالمها، وفاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين»**[٣].

٧ ـ سيدة نساء أهل الجنة:

عن حذيفة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنّ هذا ملك نزل، لم ينزل الأرض قطّ قبل هذه الليلة، استأذن ربّه أن يسلّم عليّ ويبشّرني بأنّ فاطمة**

---

١) الإصابة ٤: ٣٧٨. وتهذيب التهذيب ١٢: ٤٤١. والبداية والنهاية ٢: ٥٥. وروي عن أنس بلفظ «**حسبك من نساء العالمين أربع...**» في المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٢/١٠٠٣. والبداية والنهاية ٢: ٥٥. ومصابيح السُنّة ٤: ٢٠٢/٤٨٥٠. ومسند أحمد ٣: ١٣٥. ومستدرك الحاكم ٣: ١٥٧ و ١٥٨. وسنن الترمذي ٥: ٧٠٣/٣٨٧٨ ـ كتاب المناقب. وروي عن أنس أيضاً بلفظ «**خير نساء العالمين...**» في المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٢/١٠٠٤. وتاريخ بغداد ٧: ١٨٤ و ٩: ٤٠٤. وتفسير الطبري ٣: ١٨٠. وأسد الغابة ٥: ٤٣٧. وتهذيب التهذيب ١٢: ٤٤١. والاستيعاب ٤: ٣٧٧. والبداية والنهاية ٢: ٥٥.

٢) أمالي الصدوق: ٥٧٥/٧٨٧.

٣) معاني الأخبار: ١٠٧/١.

سيدة نساء أهل الجنة، وأنّ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» [١].

وعن ابن عباس، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **«أفضل نساء أهل الجنة: مريم بنت عمران، وفاطمة بنت محمد، وخديجة بنت خويلد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»** [٢].

وعن الحسن بن زياد العطار، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»** أسيدة نساء عالمها؟ قال عليه السلام: **«ذاك لمريم، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة من الأولين والآخرين»** [٣].

٨ ـ أحبّ الناس إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

عن عبدالله بن بريدة، عن أبيه، قال: كان أحبّ النساء إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة، ومن الرجال علي بن أبي طالب [٤].

وعن أُسامة بن زيد ـ في حديث ـ قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أي أهل

---

١) سنن الترمذي ٥: ٦٦٠ / ٧٣٨١. ومستدرك الحاكم ٣: ١٥١، رواه بطريقين، وقال في الثاني منهما: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه. وجامع الاصول ١٠: ٨٢ / ٦٦٦١. وذخائر العقبىٰ: ١٢٩. ومسند أحمد ٥: ٣٩١. وكنز العمال ١٢: ٩٦ / ٣٤١٥٨ و ١٠٢ / ٣٤١٩٢ و١٣: ٦٤٠ / ٣٧٦١٧. وحلية الأولياء ٤: ١٩٠. والمعجم الكبير ٢٢: ٤٠٣ / ١٠٠٦. ومجمع الزوائد ٩: ٢٠١. والخصائص: ٣٤ ـ مطبعة التقدم ـ القاهرة. وإتحاف السائل: ٢٨. والصواعق المحرقة: ١٩١ الباب ١١ الفصل ٣.

٢) البداية والنهاية ٢: ٥٥. والمعجم الكبير ٢٢: ٤٠٧ / ١٠١٩. ومسند أحمد ١: ٢٩٣ و ٣١٦ و٣٢٢. ومستدرك الحاكم ٢: ٤٩٧. وقال: صحيح الاسناد ولم يخرجاه بهذا اللفظ، و٣: ١٦٠ و ١٨٥. والإصابة ٤: ٣٧٨. والاستيعاب ٤: ٣٧٦. وأُسد الغابة ٥: ٤٣٧. وروي عن عائشة وبلفظ «**سيدات نساء أهل الجنة**...» في مستدرك الحاكم ٣: ١٨٥. وكنز العمال ١٢: ١٤٤ / ٣٤٤٠٦.

٣) أمالي الصدوق: ١٨٧ / ١٩٦.

٤) مستدرك الحاكم ٣: ١٥٥. وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه. وسنن الترمذي ٥: ٦٩٨ / ٣٨٦٨. والاستيعاب ٤: ٣٧٨. وذخائر العقبىٰ: ٣٥.

بيتك أحبّ إليك؟ قال: «**أحبّ أهلي إليّ فاطمة**»(١).

وعن جميع بن عمير، قال: دخلت مع عمتي علىٰ عائشة، فسألت: أي الناس كان أحبّ إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قالت: فاطمة. فقيل: ومن الرجال؟ قالت: زوجها، إن كان ما علمت صوّاماً قوّاماً(٢).

وعنه، قال: دخلت مع أُمّي علىٰ عائشة، فسمعتها من وراء الحجاب وهي تسألها عن علي عليه السلام فقالت: تسألني عن رجلٍ والله ما أعلم رجلاً كان أحبّ إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من علي، ولا في الأرض امرأة كانت أحبّ إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من امرأته(٣).

٩ ـ أول من يدخل الجنّة:

عن علي عليه السلام، قال: «**أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين. قلت: يا رسول الله، فمحبّونا؟ قال: من ورائكم**»(٤).

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أول شخص يدخل الجنة**

---

١) المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٣ / ١٠٠٧. ونحوه في سنن الترمذي ٥: ٦٧٨ / ٣٨١٩. والصواعق المحرقة: ١٩١ باب ١١ فصل ٣. وتاريخ بغداد ٩: ٦٢. ومقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي ١: ٥٦.

٢) المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٣ / ١٠٠٨. ومستدرك الحاكم ٣: ١٥٧. وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه. وسنن الترمذي ٥: ٧٠١ / ٣٨٧٤. وأُسد الغابة ٥: ٥٢٢. ومقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي ١: ٥٧. وذخائر العقبىٰ: ٣٥. والاستيعاب ٤: ٣٧٨.

٣) مستدرك الحاكم ٣: ١٥٤ وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

٤) مستدرك الحاكم ٣: ١٥١. وقال: صحيح الاسناد ولم يخرجاه. وذخائر العقبىٰ: ١٢٣. ومسند فاطمة عليها السلام / السيوطي: ٤٥ ـ ٤٦.

فاطمة، مثلها في هذه الأُمّة كمثل مريم بنت عمران في بني إسرائيل» [١].

١٠ ـ غضّ الأبصار لمرورها علىٰ الصراط:

عن علي عليه السلام قال: **«قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان يوم القيامة قيل: يا أهل الجمع، غضّوا أبصاركم حتىٰ تمرّ فاطمة بنت محمد، فتمرّ وعليها ريطتان خضراوان، أو حمراوان»** [٢].

وعن أبي أيوب الأنصاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«إذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ من بطنان العرش: يا أهل الجمع نكّسوا رؤوسكم وغضّوا أبصاركم حتىٰ تمرُّ فاطمة بنت محمد علىٰ الصراط»** قال: **«فتمرُّ ومعها سبعون ألف جارية من الحور العين كالبرق اللامع»** [٣].

قال البشنوي الكردي:

وقف الندا في موضع عبرت ... فيه البتول عيونكم غضّوا
فتمرّ والأبصار خاشعة ... وعلىٰ بنان الظالم العضُّ
تسودُّ حينئذٍ وجوههم ... ووجوه أهل الحقّ تبيضُّ [٤]

١١ ـ جلالة بعثتها عليها السلام يوم القيامة:

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«تبعث الأنبياء يوم القيامة علىٰ**

---

١) الفردوس / الديلمي ١: ٣٨/ ٨١. وكنز العمال ١٢: ١١٠/ ٣٤٢٣٤. ومقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي ١: ٧٦.

٢) المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٠ / ٩٩٩. ومستدرك الحاكم ٣: ١٥٣ نحوه وقال: هذا حديث صحيح الإسناد علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه، وص ١٦١ مثله وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه. وإتحاف السائل /المناوي: ٧٢. وكفاية الطالب /الكنجي: ٣٦٤.

٣) الصواعق المحرقة: ١٩٠ باب ١١ فصل ٣. وإتحاف السائل / المناوي: ٧٣. ومناقب ابن شهرآشوب ٣: ٣٢٦. وكشف الغمة / الاربلي ١: ٤٥٧.

٤) مناقب ابن شهرآشوب ٣: ٣٢٧.

الدوابّ، ليوافوا بالمؤمنين من قومهم المحشر، ويبعث صالح علىٰ ناقته، وأُبعث علىٰ البراق، خطوها عند أقصىٰ طرفها، وتبعث فاطمة أمامي» [١].

وعنه أيضاً، في حديث آخر بنحو ما تقدم إلّا أن فيه: **«... وتبعث فاطمة والحسن والحسين علىٰ ناقتين من نوق الجنة، وعلي بن أبي طالب علىٰ ناقتي، وأنا علىٰ البراق»** [٢].

وعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إذا كان يوم القيامة حُملتُ علىٰ البراق، وحملت فاطمة علىٰ ناقتي القصواء»** [٣].

وعن بريدة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«أنا أُبعث علىٰ البراق، يخصّني الله به من بين الأنبياء، وفاطمة علىٰ العضباء»** [٤].

١٢ ـ تكثير الطعام في بيتها عليها السلام:

ومن كرامات الزهراء عليها السلام التي تدلُّ علىٰ فضلها ومنزلتها عند الله تعالىٰ، تكثير الطعام في بيتها، وقد رواه جابر وحذيفة بن اليمان وأبي سعيد بألفاظ مختصرة ومطولة [٥].

---

١) مستدرك الحاكم ٣: ١٥٢، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه. ومقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي ١: ٥٥.

٢) كنز العمال ١١: ٧٥٨ / ٣٣٦٨٩. وتاريخ بغداد ٣: ١٤١.

٣) كنز العمال ١١: ٦٥٤ / ٣٣١٦٤. وميزان الاعتدال ٣: ٣١٥. ولسان الميزان ٤: ٣٩٩.

٤) تاريخ دمشق / ابن عساكر ١٠: ٣٢٧.

٥) راجع: تفسير البيضاوي ١: ١٥٨ ـ دار الكتب العلمية. والبداية والنهاية / ابن كثير ٦: ١١٥. وفضائل فاطمة عليها السلام / ابن شاهين: ٣٦ / ١٤. وذخائر العقبىٰ: ٤٥. وكفاية الطالب: ٣٦٧. وتفسير فرات: ٨٣ ـ طهران. وكشف الغمة / الاربلي ١: ٤٦٩. أمالي الطوسي: ٦١٤ ـ ٦١٥ / ١٢٧١ و ١٢٧٢. والثاقب في المناقب / ابن حمزة الطوسي: ٢٩٦ / ٢٥٢. والخرائج والجرائح / الراوندي ٢: ٥٣٣. ومهج الدعوات / ابن طاووس: ٦.

ومن ذلك ما أخرجه أبو يعلىٰ عن جابر، قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقام أياماً لم يطعم طعاماً حتىٰ شقّ ذلك عليه، فطاف في منازل أزواجه، فلم يجد عند واحدة منهنّ شيئاً فأتىٰ فاطمةعليها السلام فقال: **«يا بنية، هل عندك شيء آكله فإنّي جائع؟»** فقالت: **«لا والله»** فلمّا خرج من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم، فأخذته منها فوضعته في جفنة لها وقالت: **«والله لأوثرن بهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علىٰ نفسي ومن عندي»** وكانوا جميعاً محتاجين إلىٰ شبعة طعام، فبعثت حسناً أو حسيناً إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرجع إليها فقالت له: **«بأبي أنت وأُمّي، قد أتىٰ الله بشيءٍ قد خبأته لك»** فقال: **«هلمي يابنية بالجفنة»**، فكشفت عن الجفنة، فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً، فلمّا نظرت إليها بهتت وعرفت أنها بركة من الله، فحمدت الله تعالىٰ، وقدمته إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما رآه حمد الله وقال: **«من أين لك هذا يا بنية؟»** قالت: **«يا أبتِ هو من عند الله، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب»** فحمد الله، ثم قال: **«الحمدُ لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل، فإنّها كانت إذا رزقها الله رزقاً فسئلت عنه قالت: هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب»**(١).

١٣ ـ إنحصار ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بنسلها عليها السلام:

إنحصرت ذرية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بفاطمةعليها السلام، فقد تزوج خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة، وأنجبت له القاسم وعبدالله وهو الطيّب أو الطاهر، وفاطمة، وفي غيرهم خلاف. وتزوج بعد خديجة أربع عشرة امرأة، دخل باثنتي عشرة منهنّ، وتوفي صلى الله عليه وآله وسلم وعنده تسع، ولم يولد له منهنّ، إلّا مارية القبطية، فقد ولدت له إبراهيم ومات طفلاً، أما أولاد

---

١) الدر المنثور / السيوطي ٢: ١٨٦. والبداية والنهاية ٦: ١١٥.

خديجة فماتوا صغاراً.

وبناءً علىٰ أنّ زينب ورقية وأم كلثوم، بنات خديجة من النبي ﷺ فإنّ زينب تزوجها أبو العاص بن الربيع قبل الإسلام، وولدت له بنتاً، وهي أُمامة، تزوجها الإمام علي عليه السلام بعد فاطمة عليها السلام بوصية منها، ولم ترزق أولاداً، وتزوج رقية ابن عمّ النبي ﷺ عتبة بن أبي لهب، وتزوّج أمّ كلثوم أخوه عتيق بن أبي لهب، وطلّقهما النبي ﷺ بعد الإسلام من عتبة وعتيق، فتزوج عثمان ابن عفان رقية، وولدت منه ذكراً، وهو عبدالله، ومات في السنة السادسة من عمره، فتزوج بعدها اختها أم كلثوم ولا عقب لها، وتوفيت زينب ورقية وأم كلثوم في حياة النبي ﷺ، ولم يبق له من الولد إلّا فاطمة، ولا عقب له إلّا منها.

وعليه فإنّ النبي ﷺ لا عقب له من الصلب، لكنّه لم يحرم من الذرية والنسل، بل لقد دلّ القرآن الكريم علىٰ أنّ الحسن والحسين عليهما السلام هما ابناه حقيقة، فقد اتفقت كلمة المفسرين علىٰ أنّ المراد بقوله تعالىٰ في آية المباهلة: ﴿**أبناءنا وأبناءكم**﴾ الحسن والحسين عليهما السلام [١].

قال الرازي: هذه الآية دالة علىٰ أنّ الحسن والحسين كانا ابني رسول الله ﷺ، وَعَدَ النبي ﷺ أن يدعو أبناءه، فدعا الحسن والحسين، فوجب أن يكونا ابنيه، وممّا يؤكّد هذا قوله تعالىٰ في سورة الأنعام: ﴿**ومن ذريته داود وسليمان**﴾ إلىٰ قوله: ﴿**وزكريا ويحيىٰ وعيسىٰ**﴾[٢] ومعلوم أنّ عيسى عليه السلام إنّما انتسب إلىٰ إبراهيم عليه السلام بالأمّ لا بالأب، فثبت أنّ ابن البنت قد

---

١) تقدّمت تخريجاته في أول هذا الفصل.

٢) سورة الأنعام: ٦ / ٨٤.

يسمّىٰ ابناً[١].

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: **«ابناي هذان إمامان، قاما أو قعدا»**[٢] مشيراً إلىٰ الحسن والحسين عليهما السلام.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«إنّ الله عزَّ وجل جعل ذرية كلّ نبي في صلبه، وإنّ الله عزَّ وجل جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب»**[٣].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«لكلِّ بني أب عصبة ينتمون إليها إلّا ولد فاطمة، فأنا وليهم، وأنا عصبتهم، وهم عترتي خلقوا من طينتي»**[٤].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«كل بني آدم ينتمون إلىٰ عصبتهم إلّا ولد فاطمة، فإنّي أنا أبوهم، وأنا عصبتهم»**[٥].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن الحنفية: **«يا بني أنت ابني، وهذان ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»**[٦] مشيراً إلىٰ الحسن والحسين عليهما السلام.

ولا يتنافىٰ ذلك مع قوله تعالىٰ: **﴿ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم﴾**[٧] ذلك لأنّه أراد البالغين من الرجال في ذلك الوقت[٨]، ولقد كان له صلى الله عليه وآله وسلم أولاد ذكور، وهم إبراهيم والقاسم وعبدالله، ولم يبلغ أحد منهم مبلغ

---

١) تفسير الرازي ٨: ٨١.

٢) مجمع البيان / الطبرسي ٢: ٧٦٣ عند تفسير الآية ٦١ من سورة آل عمران و٨: ٥٦٦ عند تفسير الآية ٤٠ من سورة الأحزاب. ومناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٩٤.

٣) المعجم الكبير ٣: ٤٤ / ٢٦٣٠. وتاريخ بغداد ٣: ٣١٧.

٤) كنز العمال ١٢: ٩٨ / ٣٤١٦٨.

٥) تاريخ بغداد ١١: ٢٨٥.

٦) بحار الأنوار ٤٥: ٣٤٩.

٧) سورة الأحزاب: ٣٣ / ٤٠.

٨) راجع: مجمع البيان / الطبرسي ٨: ٥٦٦.

الرجال، وكذلك شأن أولاد فاطمة عليها السلام.

ونلمس من خلال انحصار ذرية الرسول صلى الله عليه وآله بفاطمة عليها السلام مسألتين مهمتين:

الأولىٰ: إذا لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله أبناء ولا أبناء أبناء ولا نسل ولا ذرية إلّا من فاطمة عليها السلام، كان من المحتّم وبحكم الطبيعة البشرية أن تنحصر عاطفته الأبوية بأولاد فاطمة عليها السلام، وأن يهتمّ بتربيتهم وتعليمهم، وقد شاءت الارادة الربانية أن يستأثر الحسن والحسين عليهما السلام بذلك الاهتمام، وأن يكونا بمثابة ابنيه، وقد عبّر صلى الله عليه وآله عن تلك الأبوة وهذه البنوّة بعبارات شتّىٰ غير ما قدّمنا، منها قوله صلى الله عليه وآله: **«الحسن والحسين ابناي، من أحبّهما أحبّني، ومن أحبّني أحبّه الله، ومن أحبّه الله أدخله الجنة»** [١] وقال صلى الله عليه وآله: **«ابناي هذان سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما»** [٢] وقال صلى الله عليه وآله: **«هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهمّ إنّي أحبّهما فأحبّهما وأحبّ من يحبّهما»** [٣] وقال صلى الله عليه وآله: **«إنّ ابنيّ هذين ريحانتاي من الدنيا»** [٤].

وكان من ثمار اهتمام الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بالحسن والحسين عليهما السلام وتربيتهما، أن تكون أخلاقهما وشمائلهما وسيرتهما تعبيراً صريحاً ومصداقاً حقيقياً لأخلاق النبي صلى الله عليه وآله وشمائله وسيرته ومكارم أخلاقه، وأن يكون لهما من علمه وحلمه وشجاعته وكرمه وزهده وصبره ما لم يكن لأحد بعد أبيهما أمير المؤمنين عليه السلام.

---

١) مستدرك الحاكم ٣: ١٦٦ وصححه علىٰ شرط الشيخين.

٢) الصواعق المحرقة / الهيتمي: ١٩١ باب ١١ فصل ٣.

٣) الصواعق المحرقة / الهيتمي: ١٩١ / باب ١١ فصل ٣.

٤) الصواعق المحرقة / الهيتمي: ١٩١ باب ١١ فصل ٣. وصحيح البخاري ٥: ١٠٢ / ٢٤١.

روىٰ الطبراني بالاسناد عن علي عليه السلام، قال: **«من أراد أن ينظر إلىٰ وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من رأسه إلىٰ عنقه فلينظر إلىٰ الحسن، ومن أراد أن ينظر إلىٰ ما دون عنقه إلىٰ رجله فلينظر إلىٰ الحسين، اقتسماه»** (١).

وعن زينب بنت أبي رافع: أتت فاطمة عليها السلام بالحسن والحسين إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شكواه التي توفي فيها فقالت: **«يا رسول الله، هذان ابناك، ورّثهما شيئاً»**. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«أما الحسن فإنّ له هديي وسؤددي، وأمّا الحسين فانّ له جودي وشجاعتي»** (٢).

ولا ريب أن حبّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للحسن والحسين عليهما السلام واهتمامه بهما والحثّ علىٰ محبتهما، ليس هو وليد التعلّق العاطفي والعلاقة الأبوية وحسب، بل لما أتاهما الله من فضله وحباهما من كرامته، ومن هنا أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الناس بالتمسك بهما كقادة رساليين للأُمّة من بعد أبيهما علي المرتضىٰ عليه السلام، تماماً كما أمرهم بالتمسك بالكتاب الكريم بنصّ حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين، ونصّ علىٰ إمامتهما صراحة بقوله: **«ابناي هذان إمامان، قاما أو قعدا»** وجعلهما حجّة علىٰ الناس أجمعين.

وعليه يجب أن نخصّهما بالولاء، وأن نؤمن إيماناً صادقاً أنّ عداءهما أو جحود فضلهما هو عداء وجحود لرسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسُنّته، وأن حبّهما والتمسك بهما يضمن سعادة الدارين، قال صلى الله عليه وآله وسلم: **«من سرّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربّي، فليوالِ عليّاً من بعدي، وليوالِ وليه، وليقتدِ بأهل بيتي من بعدي، فإنّهم عترتي، خلقوا من طينتي، ورزقوا**

---

١) المعجم الكبير ٣: ٩٥ / ٢٧٦٩ و ٢٧٧٠.

٢) الاصابة ٤: ٣١٦. ومقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي ١: ١٠٥. وكفاية الطالب / الكنجي: ٤٢٤. والارشاد / المفيد ٢: ٧. والخصال / الصدوق: ٧٧ / ١٢٢.

فهماً وعلماً، فويلٌ للمكذّبين بفضلهم من أُمّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي»[١].

الثانية: إنّ إنحصار ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بابنته فاطمة عليها السلام فيه إشارة واضحة إلىٰ كرامة المرأة في تعاليم الإسلام السامية، وردّ علىٰ المفاهيم الجاهلية التي كانت تحطّ من قيمتها، وتقلّل من شأنها، وتهضم حقوقها، فكان بعضهم يئد البنات وهنّ في المهد، وقد عبّر القرآن الكريم عن رفضه لهذه العادة المقيتة بقوله: ﴿**وإذا الموؤدة سُئلت * بأيّ ذنب قتلت**﴾[٢]. وكانوا لا يورّثون المرأة، ويتشاءمون إذا ولد لهم الإناث ﴿**وإذا بُشّر أحدهم بالأُنثىٰ ظلّ وجهه مسودّاً وهو كظيم**﴾[٣]، وكانوا يقولون إنّ أولاد البنات لا يكونوا ذرية، وشاعرهم يقول:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا
بنوهنّ أبناء الرجال الأباعدِ

فكان انحصار نسب سيد الكونين المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم بابنته فاطمة عليها السلام إيذاناً بإبطال ذلك المفهوم الجاهلي البغيض.

ويستفاد من كلام بعض المفسرين في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿**إنّا أعطيناك الكوثر**﴾[٤] أن المراد بالكوثر ذرية الزهراء عليها السلام فهي الوسيلة لكثرة أولاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبقاء نسله، وهو من أعظم بركاتها.

قال الرازي في القول الثالث من تفسير الآية: الكوثر أولاده صلى الله عليه وآله وسلم، قالوا:

---

١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ٩: ١٧٠ / ١٢. وحلية الأولياء / أبو نعيم ١: ٨٦.

٢) سورة التكوير: ٨١ / ٨ـ٩.

٣) سورة النحل: ١٦ / ٥٨.

٤) سورة الكوثر: ١٠٨ / ١.

لأنّ هذه السورة إنّما نزلت ردّاً علىٰ من عابه صلى الله عليه وآله وسلم بعدم الأولاد، فالمعنىٰ أنه يعطيه نسلاً يبقون علىٰ مرّ الزمان، فانظر كم قُتِل من أهل البيت، ثمّ العالم ممتلئ منهم، ولم يبقىٰ من بني أُمية في الدنيا أحد يُعبا به، ثم اُنظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والرضا والنفس الزكية وأمثالهم[1].

وقال الآلوسي: ﴿**إنّ شانئك**﴾ أي مبغضك.. ﴿**هو الأبتر**﴾ الذي لا عقب له، حيث لا يبقىٰ منه نسل ولا حسن ذكر، وأمّا أنت فتبقىٰ ذريتك، وحسن صيتك، وآثار فضلك إلىٰ يوم القيامة... وفيها دلالة علىٰ أنّ أولاد البنات من الذرية[2].

وقال ابن حجر الهيتمي في الآيات الواردة في أهل البيت عليهم السلام: الآية الثانية عشرة: قوله تعالىٰ: ﴿**وإنّه لعلم للساعة**﴾[3] قال مقاتل بن سليمان ومن تبعه من المفسرين: إنّ هذه الآية نزلت في المهدي. وستأتي الأحاديث المصرّحة بأنّه من أهل البيت النبوي، وحينئذٍ في الآية دلالة علىٰ البركة في نسل فاطمة وعلي عليهما السلام، وأن الله ليخرج منهما طيباً، وأن يجعل نسلهما مفاتيح الحكمة ومعادن الرحمة.

ثم قال معقّباً علىٰ دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام حين زوّجه فاطمة عليها السلام: **«اللهمّ إني أُعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم»** ما نصّه: وقد ظهرت بركة دعائه صلى الله عليه وآله وسلم في نسليهما، فكان منه من مضىٰ ومن يأتي، ولو لم يكن في

---

١) تفسير الرازي ٣٢: ١٢٤.

٢) روح المعاني / الآلوسي ٣٠: ٢٤٧.

٣) سورة الزخرف: ٤٣ / ٦١.

الآتين إلّا الإمام المهدي لكفىٰ [١].

المبحث الثاني: مكارم أخلاقها:

١ ـ العبادة:

كانت فاطمةعليها السلام أعبد نساء زمانها، وقد ضربت المثل الأعلىٰ بعبادتها وإيمانها وطاعتها وانقطاعها إلىٰ الله سبحانه.

عن الإمام الباقرعليه السلام ـ في حديث ـ قال: **«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً ويقيناً إلىٰ مشاشها، ففرغت لطاعة الله»** [٢].

وسأل النبي صلى الله عليه وآله عليّاًعليه السلام: **«كيف وجدت أهلك؟»** فقال عليه السلام: **«نعم العون علىٰ طاعة الله»** [٣].

وعن الطبرسي، قال: سُمّيت فاطمةعليها السلام بالبتول لانقطاعها إلىٰ عبادة الله [٤].

ومن مظاهر عبادتهاعليها السلام طول قيامها في الصلاة وكثرة خشوعها، فقد روي عن الحسن البصري أنه قال: ما كان في هذه الأُمّة أعبد من فاطمة، كانت تقوم حتىٰ تتورّم قدماها [٥].

---

١) الصواعق المحرقة / ابن حجر: ١٦٢ ـ ١٦٣، الفصل الأول، الباب (١١).

٢) دلائل الإمامة / الطبري: ١٣٩ / ٤٧. والمناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٣٧. والثاقب في المناقب / ابن حمزة الطوسي: ٢٩١. وبحار الأنوار ٤٣: ٢٩ عن الخرائج والجرائح للقطب الراوندي.

٣) المناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٥٦.

٤) مجمع البيان / الطبرسي ١٠: ٥٦٨. والمصباح / الكفعمي: ٦٥٩ ـ منشورات اسماعيليان ـ قم.

٥) المناقب / ابن شهر آشوب ٣: ٣٤١. ومقتل الحسينعليه السلام / الخوارزمي ١: ٨٠. وربيع الأبرار / الزمخشري ٢: ١٠٤ وزارة الأوقاف ـ الجمهورية العراقية.

وقال الديلمي وابن فهد: روي أنّ فاطمةعليها السلام كانت تنهج في صلاتها من خيفة الله تعالىٰ [١].

ومن المظاهر البارزة في عبادتهاعليها السلام كثرة الصلوات والأدعية والأذكار التي خصّها بها رسول اللهصلى الله عليه وآله، وكانت تواظب علىٰ أدائها في محرابها رغم أنها كانت تباشر شؤون المنزل وتربية الأولاد بنفسها.

فعن الإمام الصادقعليه السلام: أنّ أُمّه الزهراءعليها السلام كانت تصلي للأمر المخوف العظيم ركعتين، تقرأ في الأولىٰ الحمد و﴿ **قُل هو الله أحد** ﴾ خمسين مرة، وفي الثانية مثل ذلك، فإذا سلّمت، صلّت علىٰ النبيصلى الله عليه وآله، ثمّ ترفع يديها بالدعاء: «**اللهمَّ إنّي أتوجّه بهم إليك، وأتوسّل إليك بحقّهم العظيم الذي لايعلم كنهه سواك، وبحقّ من حقّه عندك عظيم، وبأسمائك الحسنىٰ، وكلماتك التامات التي أمرتني أن أدعوك بها...**» إلىٰ آخر الدعاء [٢].

وعنهعليه السلام: أنّها كانت إذا أصبحت يوم الجمعة تغتسل وتصفّ قدميها وتصلي أربع ركعات مثنىً مثنىً، تقرأ في أول ركعة فاتحة الكتاب و﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ خمسين مرة، وفي الثانية فاتحة الكتاب والعاديات خمسين مرة، وفي الثالثة فاتحة الكتاب و﴿**إذا زلزلت** ﴾ خمسين مرة، وفي الرابعة فاتحة الكتاب وإذا جاء نصر الله خمسين مرة، فإذا فرغت منها قالت: «**إلهي وسيدي، من تهيّأ أو تعبّأ أو أعدّ أو استعدّ لوفادة مخلوق رجاء رفده وفوائده ونائله وفواضله وجوائزه...، فإليك يا إلهي كانت تهيئتي وتعبيتي وإعدادي واستعدادي، رجاء رفدك ومعروفك، ونائلك وجوائزك، فلا تخيبني من ذلك،**

---

١) ارشاد القلوب / الديلمي: ١٠٥ منشورات الرضي ـ قم. وأعلام الدين / الديلمي: ٢٤٧ ـ مؤسسة آل البيتعليهم السلام ـ قم. وعدة الداعي / ابن فهد: ١٥١ ـ دار المرتضىٰ ـ بيروت.

٢) مصباح المتهجد / الطوسي: ٣٠٢ ـ مؤسسة فقه الشيعة ـ بيروت.

يا من لا يخيّب مسألة سائل، ولا تنقصه عطية نائل...» إلىٰ آخر الدعاء، وذلك مما علّمها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم [١].

وعنه عليه السلام: أنّها كانت تصلّي صلاة الأوابين، وهي أربع ركعات، تقرأ في كلٍّ ركعة خمسين مرة **﴿قل هو الله أحد﴾**[٢].

وروي عنه عليه السلام أنّه قال: **«كانت لأُمّي فاطمة عليها السلام ركعتان تصليهما... تقرأ في الأُولىٰ الحمد مرة، و ﴿إنّا أنزلناه في ليلة القدر﴾ مائة مرة، وفي الثانية الحمد مرة، ومائة مرة ﴿قل هو الله أحد﴾، فإذا سلّمت سبّحت تسبيح الزهراء عليها السلام، ثمّ تقول: سبحان ذي العزّ الشامخ المنيف، سبحان ذي الجلال الباذخ العظيم، سبحان ذي الملك الفاخر القديم، سبحان من لبس البهجة والجمال، سبحان من تردّىٰ بالنور والوقار...»** إلىٰ آخر التسبيح[٣].

أمّا الأدعية التي خصّها بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو تلك المروية عنها فهي كثيرة وذات أغراض مختلفة كالتعقيبات عقيب الصلوات والتسبيحات والأحراز، ودعائها عند رؤية هلال شهر رمضان، وعندما تأوي إلىٰ النوم، وأدعيتها في أيام الاسبوع، وغيرها مما تضيق بذكرها أوراق هذا البحث، لذا نكتفي بالاشارة إلىٰ مظانّها[٤].

---

١) مصباح المتهجد / الطوسي: ٣١٨. وجمال الأُسبوع / ابن طاووس: ١٣٢ ـ الرضي ـ قم.

٢) الفقيه / الصدوق ١: ٣٥٦ / ١٥٦٠. وتفسير العياشي ٢: ٢٨٦ / ٤٤.

٣) جمال الأُسبوع / ابن طاووس: ٢٦٣ و ٢٦٦. ومصباح المتهجد / الطوسي: ٣٠١.

٤) المعجم الكبير / الطبراني ٢٣: ٣٣٩ / ٧٨٧. ومستدرك الحاكم ٣: ١٥٧. ومسند أحمد ٦: ٢٩٨. ومجمع الزوائد ١٠: ١٠٨ و١٢٢. وذخائر العقبىٰ: ٥٠. وكنز العمال ١٥: ٥٠١ / ٤١٩٧٥ و ٥٠٩ / ٤١٩٨٦ و ٥١٣ / ٤٢٠٠٠. ومسند فاطمة عليها السلام السيوطي: ٣ / ٤ و ٢٥ / ٣٤ و ٩٧ / ٢٣١ و ١٠٣ / ٢٤٥. وفضائل شهر رمضان / الشيخ الصدوق: ٩٨ / ٨٤. ومصباح المتهجد / الطوسي: ←

وعلّمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أذكاراً تقولها عند النوم وفي دبر كل صلاة، وهي معروفة بتسبيح فاطمة عليها السلام، وكان السبب في تشريعها علىٰ ما أخرجه الشيخ الصدوق وغيره عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال لرجلٍ من بني سعد: **«ألا أُحدّثك عنّي وعن فاطمة عليها السلام، أنّها كانت عندي فاستقت بالقربة حتىٰ أثّرت في صدرها، وطحنت بالرحىٰ حتىٰ مجلت يداها، وكسحت البيت حتىٰ اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتىٰ دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك حرّ ما أنت فيه من هذا العمل، فأتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فوجدت عنده حدّاثاً، فاستحيت فانصرفت، فعلم صلى الله عليه وآله وسلم أنها عليها السلام قد جاءت لحاجة فغدا علينا... فقال: يا فاطمة، ما كانت حاجتك أمسِ عند محمد؟... فقلت: أنا والله أُخبرك يا رسول الله، إنّها استقت بالقربة حتىٰ أثّرت في صدرها، وجرّت بالرحىٰ حتىٰ مجلت يداها، وكسحت البيت حتىٰ اغبرّت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتىٰ دكنت ثيابها، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك حرّ ما أنت فيه من هذا العمل.**

قال صلى الله عليه وآله وسلم: أفلا أُعلّمكما ماهو خير لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما فكبّرا أربعاً وثلاثين تكبيرة، وسبّحا ثلاث وثلاثين تسبيحة، واحمدا ثلاثاً وثلاثين تحميدة، فقالت فاطمة عليها السلام: رضيت عن الله وعن رسوله، رضيت عن الله وعن رسوله»(١).

← ٢٢٠. ودلائل الإمامة / الطبري: ١٧٢ / ١٢ و ١٠٨ / ٣٥. والدعوات / الراوندي: ٩١. وفلاح السائل / ابن طاووس: ١٧٣ و ٢٠٢ و ٢٣٨ و ٢٥٠ ـ دفتر تبليغات ـ قم. ومهج الدعوات / ابن طاووس: ٥ و ٧ و ١٣٩ و ١٤١ و ١٤٢ ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت. والمصباح / الكفعمي: ٧٢ و ١٧٩. والبلد الأمين / الكفعمي: ٥٥. وبحار الأنوار ٨٦: ٦٦ / ٤ و ١٦٥ ـ ١٧٢ / ٤٤، ٩٠: ٣٣٨ ـ ٣٣٩ / ٤٨، ٩٤: ٢٢٥ / ١.

(١) الفقيه / الصدوق ١: ٢١١ / ٩٤٧. وعلل الشرائع ٢: ٣٦٦ / ١. ونحوه في صحيح البخاري ٧: ←

وجاء في رواية أُخرىٰ عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: **«فو الله ما تركتهنّ منذ علّمنيهنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»** فقال له ابن الكوّاء: ولا ليلة صفّين؟ قال عليه السلام: **«نعم، ولا ليلة صفّين»** (١).

وجاء في بعض الروايات أنّه صلى الله عليه وآله وسلم أمرها بعمل تلك التسبيحات عند الرقاد وبعد كلّ صلاة (٢)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«فذلك خير لك من الذي أردت، ومن الدنيا وما فيها»** (٣).

وفي خبر آخر: **«فذلك مائة علىٰ اللسان، وألف في الميزان»** (٤).

أما كيفية تسبيح فاطمة عليها السلام فإنّ المروي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وعليه عمل الإمامية، هو أربع وثلاثون تكبيرة، ثمّ ثلاث وثلاثون تحميدة، ثمّ

←١٢٦ / ١٤ ـ كتاب الدعوات. وصحيح مسلم ٤: ٢٠٩١ / ٢٧٢٧ ـ كتاب الذكر والدعاء. ومسند أحمد ٦: ٢٩٨. والمعجم الكبير / الطبراني ٢٣: ٣٣٩ / ٧٨٧. وحلية الأولياء ١: ٦٩. والسنن الكبرىٰ / البيهقي ٧: ٢٩٣. وكنز العمال ١٥: ٤٩٦ ـ ٥٠٩ بعدّة طرق. وذخائر العقبىٰ: ٤٩ ـ ٥٠. واسعاف الراغبين / الصبّان: ١٨٩ ـ دار الكتب العلمية. والثغور الباسمة / السيوطي: ٢٢، وقال: هذا حديث صحيح مشهور، أخرجه الأئمة الستة وغيرهم من طرق كثيرة بألفاظ مطولة ومختصرة.

١) مستدرك الحاكم ٣: ١٥٢. ومسند أحمد ١: ١٠٦. وتاريخ بغداد ٣: ٢٣ / ٩٤٥ و١٢: ٢٢ / ٦٣٨٦. والطبقات الكبرىٰ / ابن سعد ٨: ٢٥. وصفة الصفوة / ابن الجوزي ٢: ١٠ ـ ١١، دار المعرفة ـ بيروت. وذخائر العقبىٰ: ١٠٥ ـ ١٠٦. وتذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي: ٣١٢. ومجمع الزوائد ١٠: ٣٢٨. وكنز العمال ١٥: ٥٠٤ / ٤١٩٨١ و ٥٠٥ / ٤١٩٨٢.

٢) تذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي: ٣١١. ومسند فاطمة / السيوطي: ٨. ودعائم الإسلام / النعمان ١: ١٦٨.

٣) كنز العمال ١٥: ٥٠٠ / ٤١٩٧٤ و ٥٠٧ / ٤١٩٨٣. ودعائم الإسلام / النعمان ١: ١٦٩.

٤) كنز العمال ١٥: ٥٠٧ / ٤١٩٨٤.

ثلاث وثلاثون تسبيحة بعد الصلوات [١].

وقد استفاضت الأخبار في فضله والحثّ عليه، قال الإمام الباقر عليه السلام: **«ماعُبد الله بشيءٍ من التحميد أفضل من تسبيح فاطمة عليها السلام ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة عليها السلام»** [٢].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: **«تسبيح فاطمة عليها السلام في كل يومٍ دبر كلّ صلاة أحبّ إليَّ من صلاة ألف ركعة في كل يوم»** [٣].

وعن أبي هارون المكفوف، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: **«يا أبا هارون، إنّا نأمر صبياننا بتسبيح فاطمة عليها السلام كما نأمرهم بالصلاة، فالزمه فإنّه لم يلزمه عبد فشقي»** [٤].

٢ ـ العلم:

الزهراء عليها السلام العالمة المعلمة، تلقّت العلم منذ طفولتها عن أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما كانت تأتيه لبعض شؤونها إلّا وأتحفها بشيء من العلم أو الدعاء أو الصلوات والأذكار.

روىٰ الشيخ الكليني بالإسناد عن زرارة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **«جاءت فاطمة عليها السلام تشكو إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعض أمرها، فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كُريسة، وقال: تعلّمي ما فيها، فإذا فيها: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن**

---

١) راجع: الكافي / الكليني ٢: ٥٣٦ / ٦ و٣: ٣٤٢ / ٨ و ٩. والتهذيب / الطوسي ٢: ١٠٥ / ٤٠٠ و١٠٦ / ٤٠١. و٣: ٦٧ / ٢١٨. وجواهر الكلام ١٠: ٣٩٩ دار الكتب الإسلامية.

٢) الكافي / الكليني ٣: ٣٤٣ / ١٤. والتهذيب / الطوسي ٢: ١٠٥ / ٣٩٨.

٣) الكافي / الكليني ٣: ٣٤٣ / ١٥. والتهذيب / الطوسي ٢: ١٠٥ / ٣٩٩.

٤) الكافي / الكليني ٣: ٣٤٣ / ١٣. والتهذيب / الطوسي ٢: ١٠٥ / ٣٩٧.

كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت»[١].

ومما يدلُّ علىٰ كمال فهمها وفطنتها، أنّها كانت تجيب عن بعض المشكلات التي يعجز عن حلّها علماء الصحابة في زمانها.

فقد روي عن علي عليه السلام: «**أنّه كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أيّ شيء خير للمرأة؟ فسكتوا، فلما رجع، قال لفاطمة، أي شيء خير للنساء؟ قالت: لا يراهن الرجال. فذكر ذلك للمصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إنّما فاطمة بضعة مني**».

قال المنّاوي: رواه البزار، وفيه دليل علىٰ فرط ذكائها، وكمال فطنتها، وقوة فهمها، وعجيب إدراكها[٢].

وروىٰ الراوندي في النوادر مسنداً عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «**سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه عن المرأة ماهي؟ قالوا: عورة. قال: فمتىٰ تكون أدنىٰ من ربها؟ فلم يدروا، فلمّا سمعت فاطمة عليها السلام ذلك قالت: أدنىٰ ما تكون من ربها أن تلزم قعر بيتها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه السلام إنّ فاطمة بضعة مني**»[٣].

وكان بيت الزهراء عليها السلام بمثابة المدرسة الأُولىٰ لتعليم النساء في الإسلام حيث كن يقصدنها عليها السلام لينهلن من معارفها، ويقتبسن من أنوارها، ويستلهمن من روحانيتها ومكارمها، وقد أشرنا إلىٰ دورها العلمي في تعليم النساء معالم الدين والعبادة وما يشكل عليهن في أواخر الفصل المتقدم.

وممّا يدلّ علىٰ أنّها عليها السلام كانت محوراً يستقطب حوله نساء المدينة، أنّها

---

١) الكافي ٢: ٦٦٧/ ٦.

٢) إتحاف السائل: ٣٠. ونحوه في المناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٤١ وفيه: «**أن لا ترىٰ رجلاً ولا يراها رجل**». فضمّها إليه وقال: «**ذرية بعضها من بعض**».

٣) بحار الأنوار ٤٣: ٩٢. عن النوادر / الراوندي: ١٤ الطبعة الأُولىٰ.

لما جاءت إلىٰ مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عقيب وفاة أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وخطبت خطبتها المعروفة، أقبلت في لُمّة من حفدتها ونساء قومها، وألقت خطبة أُخرىٰ بليغة بنساء المهاجرين والأنصار حينما جئن لعيادتها وهي في مرض الموت [١].

وللزهراء عليها السلام دور في حفظ السُنّة النبوية، علىٰ الرغم من تقدم وفاتها، حيث ودّعت الدنيا وهي في عمر الورد، فقد روىٰ عنها جمع من الصحابة، منهم أمير المؤمنين عليه السلام، والإمام الحسين عليه السلام، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله ابن عباس، وأنس بن مالك، وعائشة، وأُمّ سلمة، وأسماء بنت عميس، وزينب بنت أبي رافع وغيرهم.

وأخرج الطبراني والحافظ ابن كثير أحاديثهم مسندة عن الزهراء عليها السلام فبلغت تسعة عشر حديثاً [٢]، وأخرج أبو جعفر الطبري الإمامي في أول الدلائل ثمانية عشر حديثاً مسنداً عنها غير الأحاديث المتقدمة [٣].

وجمع الحافظ جلال الدين السيوطي حديث الزهراء عليها السلام المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في (مسند فاطمة الزهراء عليها السلام) فكان فيه ٢٨٢ حديثاً في مجمل أحوالها وتاريخها وما روي عنها، وقد جمعه من كتب العامّة المعتبرة [٤].

وجمع الشيخ عزيز الله العطاردي في (مسند فاطمة الزهراء) ١١٢ حديثاً

---

١) ستأتي الخطبتان في الفصل اللاحق.

٢) راجع: المعجم الكبير / الطبراني ٢٢: ٤١٣ ـ ٤٢٤. وجامع المسانيد والسنن / ابن كثير ١٦: ٣٤ ـ ٥٠، دار الفكر ـ بيروت.

٣) دلائل الإمامة / الطبري: ٦٥ ـ ٧٩.

٤) طبع بتصحيح الحافظ عزيز بيك، مدير لجنة أنوار المعارف بحيدرآباد الهند، في حيدرآباد الهند ـ المطبعة العزيزية سنة ١٤٠٦ هـ، ويقع في ١٢٠ صفحة.

مروياً عنها من مصادر الشيعة وبعض مصادر العامّة، موزعة على ١٦ باباً من أبواب القرآن والفقه والدعاء والعقائد والاحتجاج والحكم والمواعظ وغيرها[١]، وعدّ في آخر المسند تسعة وعشرين صحابياً ممن روى عنهاعليها‌السلام.

وفي آخر عوالم الزهراءعليها‌السلام للشيخ عبدالله البحراني، جمع محققو الكتاب مسند الزهراءعليها‌السلام من كتب الفريقين في أواخر الجزء الثاني منه، تحت عنوان (الأحاديث الغراء من مسند فاطمة الزهراءعليها‌السلام) فبلغ ٢١٩ حديثاً في عناوين مختلفة[٢].

وممّا تقدّم يتبين أن ما قاله السيوطي في (الثغور الباسمة): جميع ما روته فاطمةعليها‌السلام من الحديث لا يبلغ عشرة أحاديث لتقدم وفاتها[٣]، لا يجانب الصواب، بل ويناقضه ما أخرجه السيوطي نفسه في (مسند فاطمة الزهراءعليها‌السلام) من حديثها الذي بلغ أضعاف هذا العدد.

وقال سبط ابن الجوزي: قالوا: وقد روت عن رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ثمانية عشر حديثاً، وقيل: ثمانين حديثاً، وإنّها يسيرة بالنسبة إليها[٤]، ولا ريب في ذلك فهي سيدة العترة النبوية الذين أوصى النبيصلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم الأمّة بالتمسك بهم بعد كتاب الله في حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين.

ومن العلم الذي خصّت به فاطمةعليها‌السلام ما كان مودعاً في مصحفهاعليها‌السلام وتداوله الأئمة الاثني عشر من أبنائهاعليهم‌السلام بعدها، وقد وصفوه صلوات الله

---

١) مسند فاطمةعليها‌السلام / العطاردي: ٤٧١ ـ ٥٨٦، منشورات عطارد.

٢) عوالم الزهراءعليها‌السلام / البحراني ٢: ٨٥٥ ـ ٩٣٤ تحقيق مؤسسة الإمام المهدي (عج) ـ قم.

٣) الثغور الباسمة / السيوطي: ٥١، ونقل عن الحافظ البدخشاني في ص٥٢ أنه قال: كل ما روي عنها ثمانية عشر حديثاً.

٤) تذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي: ٣١٠.

عليهم بأنه مثل القرآن ثلاث مرات، وأنّه مافيه آية من كتاب الله، بل هو كتاب غير القرآن الكريم يتضمّن خبر ما كان وخبر ما يكون إلىٰ يوم القيامة، وأنّه ممّا حدثتها به الملائكة، وهو بخطّ أمير المؤمنين عليه السلام، وفي بعض الأخبار: أنّه إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطّ علي عليه السلام [١].

وكان عندها لوح أو صحيفة فيها أسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام بروايتها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد رآها جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه، وهذا اللوح هو بشارة لها عليها السلام من السماء، وقد روي بطرق عديدة ومعتبرة [٢].

ولقد أُوتيت الزهراء عليها السلام كسائر أهل البيت عليهم السلام حظاً عظيماً من الفصاحة والبلاغة، قال توفيق أبو علم: كلامها متناسب الفقر، متشاكل الأطراف، تملك القلوب بمعانيه، وتجذب النفوس بمحكم أدائه ومبانيه، فهي في البيان من أغزر القوم مادة، وأطولهم باعاً، وأمضاهم سليقة، وأسرعهم خاطراً [٣].

وقد رويت لها خطبتان تعدّان من أهم خطب الصدر الأول، لأنّها ضمّنتهما أخطر التحولات التي شهدها تاريخ الإسلام بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وفضلاً عن ذلك فقد نسبت للزهراء عليها السلام بعض القصائد الشعرية البليغة، ممّا يدل علىٰ تمكّنها من ناصية اللغة ومعرفتها لهذا الفن.

قال ابن رشيق القيرواني: وكانت فاطمة عليها السلام تقول الشعر، ورويت لها

---

١) راجع الكافي / الكليني ١: ٢٣٨ ـ ٢٤٢. وبصائر الدرجات / الصفار: ١٧٣ ـ ١٧٩ الأعلمي ـ طهران. ودلائل الإمامة / الطبري: ١٠٤ / ٣٤.

٢) راجع طرقه في عوالم الزهراء عليها السلام / البحراني ٢: ٨٤٣ ـ ٨٥٢.

٣) أهل البيت: ١٥٧.

أشياء كثيرة [١].

وقد جمع الشعر المنسوب إليها في ديوان، فبلغ (١٨) بين مقطوعة وقصيدة، وأغلبه في رثاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم [٢].

٣ ـ العفّة والحجاب:

لقد أعطىٰ الإسلام للمرأة حقوقها، وشرّع القوانين لحمايتها ورعاية مصالحها، ومنحها الحرية ضمن تعاليمه السامية في طلب العلم والحصول علىٰ الملكية والارث والعمل، ولكن بشرط أن لا تكون علىٰ نمط الحرية الإباحية التي تعرض فيها المرأة نفسها بالمجان، وتكون سبباً في إفساد بنية الأُسرة وانحراف المجتمع، كما هو الحال في المجتمعات الغربية.

ولقد ضربت الزهراء عليها السلام أروع الأمثلة في ما يجب أن تكون عليه المرأة المسلمة من حصانة وعفّة مع أدائها لدورها في داخل المنزل وخارجه علىٰ أتمّ وجه، فهي النموذج الأمثل الذي قدّمه الإسلام للمرأة، فمن الحقّ أن يقتدىٰ بها في كل ما أُثر عنها من مبادئ العفّة والحجاب، فقد روي عنها عليها السلام أنّها قالت: **«خير للمرأة أن لا ترىٰ رجلاً ولا يراها رجل»** [٣].

فمن حيث خمار رأسها فقد وصف أنّه يصل إلىٰ نصف عضدها، كما جاء بالاسناد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: **«فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وما كان خمارها إلّا هكذا»** وأومأ بيده إلىٰ وسط عضده [٤].

ومن عجائب أمرها عليها السلام أنّها كانت تتحرج من رؤية الرجل الأعمىٰ،

---

١) العمدة / ابن رشيق ١: ١٠٣، دار المعرفة، ورویٰ لها قصيدة في رثاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ٢: ٨١٦ من العمدة.

٢) جمع في أول كتاب (فاطمة في ديوان الشعر العربي: ١٥ ـ ٢٤) مؤسسة البعثة ـ بيروت.

٣) المناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٤١.

٤) مكارم الأخلاق / الطبرسي: ٩٣، منشورات الرضي ـ قم.

فكيف بالبصير حينئذ؟!

قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«إنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استأذن عليها أعمىٰ فحجبته، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لِمَ حجبتيه وهو لا يراك، فقالت: يارسول الله إن لم يكن يراني فأنا أراه، وهو يشمّ الريح. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أشهد أنك بضعة مني»**[(١)].

وروىٰ الشيخ الكليني بالاسناد عن أبي جعفر عليه السلام، عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد فاطمة عليها السلام وأنا معه، فلمّا انتهيت إلىٰ الباب وضع يده عليه، ثم قال: **«السلام عليكم»**. فقالت فاطمة عليها السلام: **«عليك السلام يا رسول الله»** قال: **«أدخل؟»** قالت: **«ادخل يا رسول الله»**. قال: **«أدخل أنا ومن معي؟»** فقالت: **«يا رسول الله ليس عليَّ قناع»**. فقال: **«يا فاطمة، خذي فضل ملحفتك، فقنّعي به رأسك»** ففعلت، ثم قال: **«السلام عليكم»**. فقالت فاطمة: **«وعليك السلام يا رسول الله»**، قال: **«أدخل»** قالت: **«نعم يا رسول الله»** قال: **«أنا ومن معي؟»** قالت: **«أنت ومن معك»** الحديث[(٢)].

وروىٰ أبو نعيم بالاسناد عن جابر بن سمرة، قال: جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجلس فقال: **«إنّ فاطمة وجعة»** فقال القوم: لو عدناها. فقام فمشىٰ حتىٰ انتهىٰ إلىٰ الباب، والباب عليها مصفق، قال: فنادىٰ: **«شدّي عليك ثيابك، فإنّ القوم جاءوا يعودونك»** فقالت: **«يا نبي الله، ما عليَّ إلّا عباءة»** قال: فأخذ رداءً فرمىٰ به إليها من وراء الباب، فقال: **«شدّي بهذا رأسك»** فدخل ودخل

---

١) المناقب / ابن المغازلي: ٣٨٠ / ٤٢٨. والنوادر / الراوندي: ١٣. وبحار الأنوار ٤٣: ٩١ـ٩٢ / ١٦.

٢) الكافي ٥: ٥٢٨ / ٥.

القوم، فقعد ساعة فخرجوا، فقال القوم: تالله بنت نبيناﷺ على هذا الحال! قال: فالتفت فقالﷺ: **«أما إنّها سيدة النساء يوم القيامة»** (١).

والتزام الزهراءعليها‌السلام بالحجاب الإسلامي لم يمنعها من أداء دورها الرسالي في الدفاع عن عقائد الإسلام وسُنّة أبيها المصطفىﷺ واسترجاع حقّها السليب، فقد وصفها الرواة حينما جاءت إلىٰ مسجد النبيﷺ بقولهم: لمّا بلغ فاطمةعليها‌السلام إجماع أبي بكر علىٰ منعها فدك، لاثت خمارها علىٰ رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لُمّة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها،... فدخلت عليه وهو في حشدٍ من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها مُلاءة... (٢).

ومن مظاهر العفة والحشمة التي سجلتها الزهراءعليها‌السلام سُنّة تُقتدىٰ إلىٰ اليوم، هي أنّها عندما اشتكت شكوتها التي قبضت فيها، قالت لأسماء بنت عميس: **«ألا تجعلي لي شيئاً يسترني، فإنّي استقبح ما يصنع بالنساء، يطرح علىٰ المرأة الثوب فيصفها»**، فقالت أسماء: إني رأيت شيئاً يصنع بالحبشة، فصنعت لها هيئة النعش، فقالتعليها‌السلام: **«اصنعي لي مثله، استريني سترك الله من النار»**.

فكان نعشها أول نعش أُحدث في الإسلام، واتخذ بعد ذلك سُنّة (٣).

٤ ـ الكرم والسخاء:

وسجّلت الزهراءعليها‌السلام دوراً بارزاً في الانفاق في سبيل الله وعتق الرقاب

---

١) حلية الأولياء / أبو نعيم ٢: ٤٢، دار الكتب العلمية، وروىٰ نحوه ابن شاهين في فضائل فاطمةعليها‌السلام: ٣٤ ـ ٣٥ بالاسناد عن عمران بن حصين.

٢) ستأتي الخطبة مع تخريجها في الفصل الثالث.

٣) راجع: التهذيب / الطوسي ١: ٤٦٩ / ١٥٤٠. وفاء الوفا / السمهودي ٣: ٩٠٣. وتاريخ المدينة / ابن شبّة ١: ١٠٨. وسير أعلام النبلاء / الذهبي ٢: ١٢٨.

وإعانة الضعفاء والمعوزين من أبناء المجتمع الإسلامي علىٰ الرغم من شظف العيش وشدّة الزمان.

ولقد عرضنا في أواخر الفصل المتقدم بعض النماذج الناطقة بتحلّيها بهذا الخلق النبوي الكريم، من ذلك تصدّقها بقوتها ثلاثة أيام علىٰ المسكين واليتيم والأسير في جملة زوجها علي وولديها الحسن والحسين عليهم السلام، فأنزل الله تعالىٰ فيهم قرآناً يتلىٰ وهو سورة الدهر، وتصدّقت بسواريها وقرطيها وقلادتها في سبيل الله [١].

ونضيف هنا ما روي عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿**ويؤثرون علىٰ أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**﴾[٢] قال: نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام[٣].

وعن أبي هريرة: أنّ رجلاً جاء إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فشكا إليه الجوع، فبعث إلىٰ بيوت أزواجه، فقلن: ما عندنا إلّا الماء، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**من لهذه الليلة ؟**» فقال علي عليه السلام: «**أنا يا رسول الله**» فأتىٰ فاطمة عليها السلام فأعلمها، فقالت: «**ما عندنا إلّا قوت الصبية، ولكنّا نؤثر به ضيفنا**». فقال علي عليه السلام: «**نوّمي الصبية، وأنا أُطفىء للضيف السراج**» ففعلت وعشّىٰ الضيف، فلما أصبح أنزل الله عليهم هذه الآية: ﴿**ويؤثرون علىٰ أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**﴾[٤].

ومن نماذج الإيثار والسخاء الأُخرىٰ ما ذكره الصفوري عن ابن الجوزي أنّها عليها السلام أهدت قميصها في ليلة زفافها إلىٰ سائل بالباب[٥].

---

١) أمالي الصدوق: ٣٠٥ / ٣٤٨.

٢) سورة الحشر: ٥٩ / ٩.

٣) شواهد التنزيل / الحسكاني ٢: ٢٤٧ / ٩٧١.

٤) شواهد التنزيل / الحسكاني ٢: ٢٤٦ / ٩٧٠. وأمالي الطوسي: ١٨٥ / ٣٠٩.

٥) إحقاق الحق ١٠: ٤٠١ عن نزهة المجالس / الصفوري ٢: ٢٢٦ ـ طبع القاهرة.

وجاء في (بحار الأنوار) أنهاعليها السلام أهدت عقدها وجلد كبش مدبوغ بالقرظ كان ينام عليه الحسن والحسين عليهما السلام إلىٰ شيخ مسكين من مهاجرة العرب[١].

وليس ذلك ببعيد عن آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين طبعوا علىٰ السخاء والكرم اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد روي عن فاطمةعليها السلام أنها قالت: **«قال لي أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إياك والبخل فإنّه عاهة لا تكون في كريم، إياك والبخل فإنّه شجرة في النار، وأغصانها في الدنيا، فمن تعلّق بغصنٍ من أغصانها أدخله النار، والسخاء شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا، فمن تعلّق بغصنٍ من أغصانها أدخله الجنة»**[٢].

٥ ـ صبرها علىٰ المعاناة:

ونختم هذا الفصل ببيان بعض الصور من معاناة الزهراءعليها السلام وصبرها علىٰ الشدائد بقوة الايمان وعزيمة الاخلاص احتساباً لأجر الآخرة.

لقد تعرّضت الزهراءعليها السلام إلىٰ مزيد من الصعاب والأزمات في جميع مراحل حياتها؛ ذلك لأنّ الحكمة الإلهية اقتضت أن تكون فاطمةعليها السلام رمزاً لفضيلة المرأة وقدوةً لكمالها الإنساني في مجتمع يسوم المرأة أنواع الظلم والكبت والقهر، فالقدوة التي خلقها الله تعالىٰ للآخرة لا للدنيا، لابد أن تكون محطة للمصائب والمحن والمعاناة، وإلّا فكيف تعلّم غيرها درس المقاومة والصبر وتجاوز المصاعب والعقبات؟ ومن هنا نجد أنّ الأنبياء والأوصياء والأئمة المعصومين، كانوا أشدّ الناس محنةً وبلاءً، لا امتحاناً وابتلاءً كما يفهمه البعض، فإنّهم خارج دائرة التجربة والاختبار؛ لأنّ الله

---

١) بحار الأنوار ٤٣: ٥٦ ـ ٥٧.

٢) دلائل الإمامة / الطبري: ٧٠ / ٩.

تعالىٰ اصطفاهم وفضلهم علىٰ العالمين.

ولقد أخبرها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنّها أكثر نساء المسلمين معاناة ورزية حيث روي عن عائشة: أنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة: **«إنّ جبرئيل أخبرني أنّه ليس امرأة من نساء المسلمين أعظم رزية منك، فلا تكوني أدنىٰ امرأة منهن صبراً»** [١].

وعانت الزهراء عليها السلام منذ صباها حيث فقدت أُمّها، وما تلا ذلك من الأحداث القاسية والمصاعب الجمّة التي أشرنا إلىٰ بعضها في الفصل الأول، وكان من أفدح المصائب التي منيت بها حبيبة المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم هي فقدها لأبيها، فهي البنت الوحيدة التي بقيت بعده، وتحملت مرارة فراقه مع صنوف الاضطهاد والبلوىٰ، فواجهت ذلك بعزم لا يلين صابرة محتسبة، ثم كانت أول أهله لحوقاً به.

أمّا علىٰ صعيد حياتها الشخصية، فقد عانت فاطمة عليها السلام صنوف المشاق والأذىٰ وقلّة ذات اليد وجشوبة العيش، علىٰ الرغم من أنّها كانت علىٰ مرأىٰ ومسمع من أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وكان بامكانه أن يجعل لها بيتاً مرموقاً وحياة مرفّهة وعيشاً رغيداً، لكنه صلى الله عليه وآله وسلم أبىٰ إلّا أن يكون القائد الرسالي الذي يفضّل سدّ حاجات أهل الصفّة وفقراء المسلمين علىٰ أن يعطي ابنته الوحيدة جارية تخدمها أو شيئاً من الحطام الزائل، وذلك لكي تكون مثالاً كاملاً لشخصه العظيم في الزهد عن الدنيا وتحمل المشاق ورفض الملاذ، وتكون المرأة النموذج في الإسلام، تعاني ما يعانين من ألم التنور ومشقة الطحن بالرحىٰ وقمّ البيت وتربية الأولاد وغيرها، فضلاً عن قيامها بمسؤولياتها العبادية وأدائها لدورها الرسالي في داخل البيت وخارجه باعتبارها سيدة نساء

---

١) فتح الباري / ابن حجر ٨: ١١١.

العالمين وقدوتهنّ.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«إنّ فاطمة كانت حاملاً، فكانت إذا خبزت أصاب حرف التنور بطنها، فأتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم تسأله خادماً فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا أعطيك وأدع أهل الصفّة تطوىٰ بطونهم من الجوع. وعلّمها التسبيحات»** (١).

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يحتسب لها في ذلك مزيداً من الفضل والزلفىٰ في الآخرة، فهو القائل صلى الله عليه وآله وسلم: **«ما لآل محمد وللدنيا فإنّهم خلقوا للآخرة، وخلقت الدنيا لغيرهم»** (٢). وقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«إنّ هؤلاء أهل بيتي ولا أُحبُّ أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا»** (٣).

ولذلك روي أنّها عليها السلام لما مضت إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذكرت حالها، وسألت الجارية، بكىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: **«يا فاطمة، والذي بعثني بالحق، إنّ في المسجد أربعمائة رجل مالهم طعام ولا ثياب، ولولا خشيتي خصلة لأعطيتك ما سألت.**

يا فاطمة، إنّي لا أُريد أن ينفكّ عنك أجرك إلىٰ الجارية، وإنّي أخاف أن يخصمك علي بن أبي طالب يوم القيامة بين يدي الله إذا طلب حقّه منك» ثم علّمها التسبيح. فقال علي عليه السلام: **«مضيت تريدين من رسول الله الدنيا، فأعطانا الله ثواب الآخرة»** (٤).

وكلّما ازدادت معاناة الزهراء عليها السلام فإنّها تحمد الله علىٰ نعمائه وتقيم الشكر علىٰ آلائه، عن جابر الأنصاري رضي الله عنه أنّه قال: رأىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة

---

١) حلية الأولياء / أبو نعيم ٢: ٤١. ومسند فاطمة عليها السلام / السيوطي: ١٠٥.

٢) المناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٤٣.

٣) مسند أحمد ٥: ٢٧٥. والمناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٤٣. وكشف الغمة / الاربلي ١: ٤٥١. وذخائر العقبىٰ: ٥٢. ومسند فاطمة عليها السلام / السيوطي: ٦.

٤) المناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٤١.

وعليها كساء من أوبار الإبل، وهي تطحن بيدها، وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: **«يا بنتاه، تعجّلي ـ أو تجرّعي ـ مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة»** ـ وفي حديث: **«اصبري علىٰ مرارة الدنيا لنعيم الآخرة غداً»** ـ فقالت: **«يا رسول الله، الحمد لله علىٰ نعمائه، والشكر لله علىٰ آلائه»**، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿**وسوف يعطيك ربك فترضىٰ**﴾ (١).

وعندما تكون الزهراء عليها السلام في موقع الخيار بين الدنيا والآخرة، فإنّها لا تتوانىٰ في اختيار ما عند الله سبحانه علىٰ حطام الدنيا الفانية علىٰ الرغم من الخصاصة وشدة الحاجة، وضيق العيش.

عن سويد بن غفلة، قال: أصابت عليّاً عليه السلام خصاصة، فقال لفاطمة عليها السلام: **«لو أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسألتيه؟ فأتته... فقالت: يا رسول الله، هذه الملائكة طعامها التهليل والتسبيح والتحميد، فما طعامنا؟»** قال صلى الله عليه وآله وسلم: **«والذي بعثني بالحقّ، ما اقتبس في بيت آل محمد نار منذ ثلاثين يوماً، ولقد أتتنا أعنز، فإن شئت أمرنا لك بخمسة أعنز، وإن شئت علمتك خمس كلمات علمنيهن جبرئيل»** فقالت: **«بل علمني الخمس كلمات التي علمكهنّ جبرئيل»**. قال: **«قولي: يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا راحم المساكين، ويا أرحم الراحمين»** فانصرفت فدخلت علىٰ عليّ عليه السلام فقال: **«ما وراءك؟»** فقالت: **«ذهبت من عندك للدنيا، وأتيتك بالآخرة»** فقال: **«خير أيامك»** (٢).

---

١) سورة الضحىٰ: ٥. والحديث في الدر المنثور / السيوطي ٨: ٥٤٣. ومسند فاطمة عليها السلام / السيوطي: ٥٨ عن ابن النجار وابن مردويه والديلمي. ومقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي ١: ٦٤. والمناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٤٢. وكنز العمال ١٢: ٤٢٢ / ٣٥٤٧٥. ومجموعة ورّام ٢: ٢٣٠، مكتبة الفقيه ـ قم.

٢) مسند فاطمة عليها السلام / السيوطي: ٤ و ٢٤. ودعوات الراوندي: ٤٧ / ١١٦.

قال الحرّ العاملي رحمه الله في منظومته:

طــلّقت الدنــيا كـفعل بـعلها   واشــتغلت عـنها بـحسن فـعلها
لا تــعرف اللــذات والتــنعّما   والحـلي واللـبس عُـلاً وكـرما [1]

ولقوة صبر الزهراء عليها السلام المستمدّ من قوة إيمانها وتعلّقها العـجيب بـالله عزّ وجلّ، لم يشكّل بيتها الطاهر بأثـاثه البسـيط جـداً جـزءاً مـن المـعاناة النفسية التي تترك آثارها السيئة في نفوس النساء عادة، بل كانت تفيض حبّاً وحناناً وبشاشةً تغمر فيها عليّاً والسبطين عليهما السلام بما يجعل من فراشهم وهـو جلد كبش أرقّ من الحرير، وأما المعاناة الجسدية فهي معاناة طبيعية كانت تبثها الزهراء عليها السلام إلىٰ أبيها العظيم صلى الله عليه وآله وسلم فيحيلها إلىٰ الصبر زاداً ووقاءً.

عن أنس، قال: جاءت فاطمة عليها السلام إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: **«يا رسول الله، إنّي وابن عمي مالنا فراش إلّا جلد كبش ننام عـليه، ونـعلف عـليه نـاضحنا بالنهار»**. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«يا بنية اصبري، فإنّ موسىٰ بن عمران أقام مع امـرأتـه عشر سنين مالها فراش إلّا عباءة قطوانية»** [2].

وعن علي عليه السلام ـ في حديث ـ قال: **«وعلينا قطيفة إذا لبسناها طولاً خرجت منها جنوبنا، وإذا لبسناها عرضاً خرجت رؤوسنا وأقدامنا»** [3].

وفي حديث آخر عنه عليه السلام: **«أنّـهما كـانا يـتغطيان فـي قـطيفة، إذا غـطيا رؤوسهما انكشفت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما انكشفت رؤوسهما»** [4].

وجاء في كتاب (زهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم) لابن بابويه أنّ سلمان رضي الله عنه بكىٰ حينما

---

١) تراجم أعلام النساء / الأعلمي ٢: ٣١٣ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.
٢) إحقاق الحقّ ١٠: ٤٠٠ عن السيرة النبوية / دحلان ٢: ١٠ ـ القاهرة.
٣) مسند فاطمة عليها السلام / السيوطي: ١٠٢.
٤) مسند فاطمة عليها السلام / السيوطي: ١٠٨.

رأىٰ فاطمة عليها السلام قد خرجت إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشملة لها خلقة، قد خيطت في عدّة مواضع، فلما دخلت علىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت: **«يا رسول الله، إنّ سلمان تعجب من لباسي، فو الذي بعثك بالحق مالي ولعليّ منذ خمس سنين إلّا مسك كبش نعلف عليه بالنهار بعيرنا، فإذا كان الليل افترشناه، وإن مرفقتنا لمن أدم حشوها ليف»**. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **«يا سلمان، إنّ ابنتي لفي الخيل السوابق»**[1].

وصبرت الزهراء عليها السلام علىٰ الجوع الذي نال منها حتىٰ غارت عيناها وغلبت الصفرة علىٰ وجهها، ولصق بطنها بظهرها، فحظيت بعناية الله سبحانه حيث كثّر الطعام في بيتها، وأنزل عليها رزقاً من السماء كما قدّمنا، وحظيت بعناية أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث دعا لها بإذهاب الجوع عنها.

عن عمران بن حصين، قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالساً إذ أقبلت فاطمة عليها السلام فوقفت بين يديه، فنظر إليها وقد غلبت الصفرة علىٰ وجهها، وذهب الدم من شدة الجوع، فقال: **«ادني يا فاطمة»** فدنت، ثم قال: **«ادني يا فاطمة»** فدنت حتىٰ وقفت بين يديه، فوضع يده علىٰ صدرها في موضع القلادة، وفرّج بين أصابعه، ثم قال: **«اللهمّ مشبع الجاعة ورافع الوضعة، لاتجع فاطمة بنت محمد»** فغلب الدم علىٰ وجهها، وذهبت تلك الصفرة[2].

وجاء في (تذكرة الخواص) لسبط ابن الجوزي أنّه حينما تصدّقت عليها السلام علىٰ المسكين واليتيم والأسير، دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي قائمة في محرابها، ولقد لصق بطنها بظهرها، وغارت عيناها من شدة الجوع. فقال

---

١) الدروع الواقية / ابن طاووس: ٢٧٥. وبحار الأنوار ٤٣: ٨٨ / ٩.

٢) نظم درر السمطين / الزرندي: ١٩١ مطبعة القضاء ـ النجف. وأخرج الشيخ الكليني عن جابر بن عبدالله الأنصاري نحوه في الكافي ٥: ٥٢٨ ـ ٥٢٩ / ٥.

النبي ﷺ: «**واغوثاه بالله، آل محمد يموتون جوعاً!**» فهبط جبرئيل عليه السلام وهو يقرأ ﴿**يوفون بالنذر**﴾ الآية[1].

وعن عمران بن حصين، قال: إنّ النبي ﷺ عاد فاطمة عليها السلام وهي مريضة، فقال: «**كيف تجدينك يا بنية؟**» قالت: «**إنّي لوجعة، وإنّه ليزيدني وجعاً، أنه ليس لي طعام آكله**» فقال ﷺ: «**يا بنية، أما ترضين أنك سيدة نساء العالمين؟**»[2].

ولم تجزع الزهراء عليها السلام يوماً قطّ مما تعانيه من أُمور الدنيا، ولم تتذمّر يوماً قط بوجه أمير المؤمنين علي عليه السلام، ولم تكلّفه فوق طاقته حياءً من الله سبحانه، بل كانت تؤثره علىٰ نفسها وعلىٰ ابنيها، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يبادلها المثل، وربما أرسلها ـ رأفةً بحالها ـ إلىٰ رسول الله ﷺ تستطعمه.

عن أبي سعيد، قال: أصبح علي عليه السلام ذات يوم فقال: «**يا فاطمة، هل عندك شيء تغدّينيه؟**» قالت: «**لا والذي أكرم أبي بالنبوة ما عندي شيء أغدّيكم، ولا كان لنا بعدك شيء منذ يومين نطعمه، إلّا شيء أُوثرك به علىٰ بطني وعلىٰ ابني هذين**».

قال: «**يا فاطمة، ألا أعلمتني حتىٰ أبغيك شيئاً!**» قالت: «**إنّي استحي من الله أن أُكلفك ما لا تقدر عليه**» فخرج من عندها واثقاً بالله وحسن الظنّ به واستقرض ديناراً... الحديث[3]، وفيه تكثير الطعام لأهل البيت عليهم السلام في بيت الزهراء عليها السلام بفضل من الله تعالىٰ ورحمته.

---

١) تذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي: ٣١٥.

٢) الاستيعاب / ابن عبدالبر ٤: ٣٧٥. والمناقب / ابن المغازلي: ٣٩٨ / ٤٥٢. وحلية الأولياء ٢: ٤٢. ونظم درر السمطين / الزرندي: ١٧٩. وإتحاف السائل / المناوي: ٧٧.

٣) فضائل فاطمة عليها السلام / ابن شاهين: ٣٦. وتفسير فرات الكوفي: ٨٣ ـ طهران. وكشف الغمة ١: ٤٦٩. وأمالي الطوسي: ٦١٥ / ١٢٧٢. وذخائر العقبىٰ: ٤٥ ـ ٤٦. وكفاية الطالب: ٣٦٧.

وعن محمد بن كعب القرظي، عن أمير المؤمنين عليه السلام ـ في خطبةٍ له بأهل العراق ـ قال: **«قد رأيتني مكثت ثلاثة أيام من الدهر ما أجد شيئاً آكله حتىٰ خشيت أن يقتلني الجوع، فأرسلت فاطمة إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تستطعمه لي. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا بنية، والله ما في البيت طعام يأكله ذو كبد إلّا ما ترين ـ لشيء قليل بين يديه ـ ولكن ارجعي فسيرزقكم الله، فلمّا جاءتني فأخبرتني انفلتّ وذهبت حتىٰ آتي بني قريظة، فإذا يهودي علىٰ شفّة بئر، فقال: يا عربي هل لك أن تستقي لي نخلي كلّ دلو بتمرة، فجعلت أنزع، فكلّما نزعت دلواً أعطاني تمرةً، حتىٰ إذا امتلأت يدي من التمر قعدت فأكلت وشربت من الماء، ثم قلت: يالك بطناً، لقد لقيت اليوم ضراً! ثمّ نزعت مثله لابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ انفلتّ راجعاً...»** [1] الحديث.

وعن أسماء بنت عميس، عن فاطمة عليها السلام: **«أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاها يوماً فقال: أين ابناي** ـ يعني حسناً وحسيناً ـ. قالت: **أصبحنا وليس في بيتنا شيء يذوقه ذائق، فقال علي عليه السلام: أذهب بهما، فإني أتخوف أن يبكيا عليك، وليس عندك شيء»** [2].

---

١) مسند فاطمة عليها السلام / السيوطي: ٩٦.

٢) المعجم الكبير / الطبراني ٢٢: ٤٢٢ / ١٠٤٠. وذخائر العقبىٰ: ٤٩ / ٥١٠٤.

الفصل الثالث

الزهراء عليها السلام بعد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم

إنّ ما تعرّضت له وحيدة المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم وحبيبته وأعزّ الناس عليه بعد رحيله إلىٰ رضوان ربه ورحمته، يعتبر الحلقة الأُولىٰ من مسلسل التآمر علىٰ عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم المتمثل في اغتصاب حقّهم ـ الذي سطّرته السماء لهم، باعتبارهم ورثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوصياءه وولاة الأمر من بعده ـ والاستغناء عنهم في المشورة، مع شدّة الوطأة عليهم في أمر البيعة، واهتضام حقوقهم سواءً كانت نحلةً أو إرثاً أو فيئاً أو خمساً، وسوقهم مع سائر الرعايا بعصا واحدة، هذا والجرح لمّا يندمل والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لمّا يجفّ تراب رمسه الشريف المطهّر.

ولم تنته تلك المؤامرة بقتل الحسن والحسين عليهما السلام سيدي شباب أهل الجنة، وقتل أولادهم وسبي ذراريهم، وتتبّع شيعتهم ومحبيهم وأتباعهم تحت كل حجر ومدر، بل لازالت متواصلة الفصول تفعل فعلتها في استهداف الخطّ الرسالي الأصيل وعزله عن أداء دوره في بناء الإنسان والمجتمع.

ولقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحصول كلّ هذا من بعده فقال: **«إن أهل بيتي**

سيلقون من بعدي من أُمّتي قتلاً وتشريداً» [١]، وقال صلى الله عليه وآله: **«إنّكم المقهورون والمستضعفون من بعدي»** [٢]، وقال صلى الله عليه وآله لابنته الزهراء عليها السلام وهو في مرض الموت: **«إنّ جبرئيل أخبرني أنّه ليس امرأة من نساء المسلمين أعظم رزية منك»** [٣].

فليته يرىٰ بضعته الصديقة الطاهرة وسيدة عترته، كيف تعرضت لموت بطيء وهي مكلومة الفؤاد قريحة العين منهدّة القوىٰ، قد أغار أصحابه علىٰ منزلها يحشّون الحطب ويذكون النار في بابها، وهي تبكي وتستغيث: **«يا أبتِ يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة»** [٤].

ولم يقف الأمر إلىٰ هذا الحدّ، بل إنّهم سلبوها نحلتها ومنعوها إرثها وإرث عميد بيتها أمير المؤمنين عليه السلام وارث رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه وولي المؤمنين من بعده، حتىٰ ودّعت الحياة وهي غضبىٰ علىٰ أُمّة تكالبت علىٰ تراث محمد صلى الله عليه وآله وهو في المحتضر، متجاهلة كلّ نصّ ووصية، متنكرةً لتعاليم السماء ووحيها ووصايا نبيها. وهكذا انقلبت علىٰ عقبيها كما يرشدنا إلىٰ ذلك قول الله العظيم: ﴿**وما محمد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل أنقلبتم علىٰ أعقابكم ومن ينقلب علىٰ عقبيه فلن يضر الله شيئاً**﴾ [٥].

ولاريب أنّ موت النبي صلى الله عليه وآله ليس موتاً لمبادئه ووصاياه، فمن ينقلب

---

١) كنز العمال ١١: ١٦٩ / ٣١٠٧٤ عن أبي سعيد الخدري.

٢) الطبقات الكبرىٰ / ابن سعد ٨: ٢٧٨. ومسند أحمد ٦: ٣٣٩.

٣) فتح الباري / ابن حجر ٨: ١١١. ومجمع الزوائد / الهيثمي ٩: ٢٣.

٤) الإمامة والسياسة: ١٣. وأعلام النساء / كحالة ٤: ١١٥.

٥) سورة آل عمران: ٣ / ١٤٤.

علىٰ تلك المبادىء والوصايا بمجرد موته، فهو بمثابة من أنكر نبوته وكذّب وحيه.

ولقد سجّل بعض الصحابة أرقاماً فاقت حدّ التصور في الإحداث والانقلاب بعد الرسول صلى الله عليه وآله فكانوا مصاديق لقوله صلى الله عليه وآله : **«ليردنّ عليّ الحوض رجالٌ ممّن صحبني ورآني، حتىٰ إذا رفعوا إليّ ورأيتهم اختلجوا دوني، فلأقولنّ: ربّ أصحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، انهم ارتدوا علىٰ أعقابهم القهقري»**، وفي لفظ آخر: **«فيقال: إنّ هؤلاء لم يزالوا مرتدين علىٰ أعقابهم منذ فارقتهم»** [1].

ويؤكد انقلابهم علىٰ أعقابهم ما أخرجه الواقدي ومالك من حديثه صلى الله عليه وآله حين صلّىٰ علىٰ شهداء أُحد فقال: **«أنا علىٰ هؤلاء شهيد»**. فقال أبو بكر: ألسنا يا رسول الله بإخوانهم، أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟ فقال صلى الله عليه وآله : **«بلىٰ، ولكن لا أدري ما تُحدِثون بعدي»** [2].

وهكذا كان عميد البيت النبوي وسيدته سيدة نساء العالمين عليهما السلام الضحية الأُولىٰ لأُولئك المُحدِثين والمنقلبين، لأنّهما القطب الذي تدور عليه المعارضة والوجه الذي يحاكي رسول الله صلى الله عليه وآله خُلقاً وأخلاقاً ومنطقاً وهدياً، ويذكّر الأُمّة بسنته وكتاب ربّه، فضلاً عن أنّ الزهراء عليها السلام تمثل أحد الجناحين اللذين يطير بهما وصي النبي صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام وأحد

---

١) مسند أحمد ٣: ١٤٠ و ٢٨١ و٥: ٤٨ و ٥٠ و ٣٣٣ و ٣٨٨ و ٤٠٠. وراجع صحيح البخاري ٦: ١٠٨ / ١٤٧ و ١٧٩ / ٢٦١ ـ كتاب التفسير و٨: ١٩٦ / ١١٣ و ٢١٤ / ١٥٧ و ٢١٦ / ١٦٣ ـ ١٦٦ ـ كتاب الرقاق و ٩: ٨٣ / ٢ ـ كتاب الفتن. وصحيح مسلم ٤: ١٧٩٤ / ٢٨ و ١٧٩٥ / ٢٩ و١٧٩٦ / ٣٢ و ١٨٠٠ / ٤٠ ـ كتاب الفضائل.

٢) المغازي / الواقدي ١: ٣١٠. والموطأ / مالك ٢: ٤٦٢ / ٣٢ ـ كتاب الجهاد.

الركنين اللذين يستند إليهما، فركن رسول الله صلى الله عليه وآله وركن فاطمة الصديقة الطاهرة عليها السلام.

عن جابر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام قبل موته بثلاث: **«سلام الله عليك يا أبا الريحانتين، أوصيك بريحانتي من الدنيا خيراً، فعن قليل ينهدّ ركناك، والله خليفتي عليك»**.

قال: فلمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله قال علي عليه السلام: **«هذا أحد ركني الذي قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله»** فلمّا ماتت فاطمة عليها السلام قال علي عليه السلام: **«هذا الركن الثاني الذي قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله»** (١).

ومن هنا نجد في الروايات أنّه ما بايع أمير المؤمنين عليه السلام حتىٰ ماتت فاطمة عليها السلام، وكان له وجه في الناس طيلة حياتها، روىٰ الزهري عن عائشة، أنها قالت: كان لعلي عليه السلام من الناس وجه في حياة فاطمة عليها السلام، فلمّا توفيت فاطمة عليها السلام انصرفت وجوه الناس عنه عند ذلك.

وقيل للزهري: فلم يبايعه عليّ حتىٰ ماتت فاطمة عليها السلام؟ قال: ولا أحد من بني هاشم حتىٰ بايعه علي عليه السلام (٢).

ولقد شاءت الارادة الالهية أن تكون مظلومية الزهراء عليها السلام مصداقاً حيّاً وناطقاً إلىٰ الأبد لذلك الانقلاب الخطير الذي تغشّىٰ الأُمّة بعد وفاة

---

١) فضائل الصحابة / أحمد بن حنبل ٢: ٦٢٣ / ١٠٦٧. وحلية الأولياء / أبو نعيم ٣: ٢٠١. والمناقب / الخوارزمي: ٨٥. ومقتل الحسين / الخوارزمي ١: ٦٣. وذخائر العقبىٰ: ٥٦. وكنز العمال ١١: ٦٢٥ / ٣٣٠٤٤.

٢) سنن البيهقي ٦: ٣٠٠. وشرح ابن أبي الحديد ٦: ٤٦. وراجع صحيح البخاري ٥: ٢٨٨ / ٢٥٦ ـ كتاب المغازي ـ باب غزوة خيبر. وصحيح مسلم ٣: ١٣٨٠ / ٥٢ ـ كتاب الجهاد والسير.

نبيها صلى الله عليه وآله وسلم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيي عن بينة، فكلّما قرأت الأجيال المتعاقبة عن المصائب التي جرت علىٰ بضعة المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم وأحبّ الناس إليه بعين الانصاف تتجلّىٰ لها كثير من الحقائق المؤلمة التي تعتصر لها القلوب أسىً وحزناً، وتفيض لها العيون دماً!!

قالت عليها السلام وهي تندب أباها صلى الله عليه وآله وسلم :

قل للمغيب تحت أطباق الثرىٰ　　إن كنت تسمع صرختي وندائيا
صُبّت عليّ مصائب لو أنّها　　صُبّت علىٰ الأيام صِرن لياليا
قد كنت ذات حمىً بظلّ محمدٍ　　لا أختشي ضيماً وكان جماليا
فاليوم أخشع للذليل وأتقي　　ضيمي وأدفع ظالمي بردائيا
فلأجعلنّ الحزن بعدك مؤنسي　　ولأجعلنّ الدمع فيك وشاحيا[1]

وفي ما يلي ثلاثة مباحث تعكس لنا صوراً من حياة الزهراء عليها السلام ومواقفها منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتىٰ وفاتها سلام الله عليها:

المبحث الأول: انقلاب الأُمّة ومنع حقوق الزهراء عليها السلام.

المبحث الثاني: مواقف الزهراء عليها السلام بعد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم.

المبحث الثالث: وفاتها عليها السلام ومدّة بقائها بعد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم.

---

١) المناقب / ابن شهر آشوب ١: ٢٤٢. ومقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي ١: ٨٠. ونور الأبصار / الشبلنجي: ٥٣. والسيرة النبوية / دحلان ٣: ٣٦٥. واتحاف السائل: ١٠٣. وأعيان الشيعة ١: ٣٢٣. والغدير ٥: ١٤٧ و ٦: ١٦٥. وأعلام النساء / كحالة ٤: ١١٣.

المبحث الأول: انقلاب الأمّة ومنع حقوق الزهراء عليها السلام:

أول بوادر الانقلاب:

لقد سجّل بعض الصحابة أول بادرة للانقلاب في حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وكان يوم الخميس، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم مسجّىً قد اشتدّ به الوجع، فكانت الرزية، قال ابن عباس رضي الله عنه: لمّا اشتد بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم مرضه الذي مات فيه قال صلى الله عليه وآله وسلم: **«ائتوني بدواةٍ وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي»**. فقال عمر: إنّ رسول الله قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله ـ وفي لفظ آخر: ما شأنه أهجر، استفهموه! ـ فاختلف القوم واختصموا، فمنهم من يقول: القول ما قال رسول الله، ومنهم من يقول: القول ما قال عمر، فلمّا أكثروا اللغط والاختلاف عنده صلى الله عليه وآله وسلم غضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لهم: **«قوموا عني، لا ينبغي عندي التنازع»**.

قال ابن عباس: الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، من اختلافهم ولغطهم[1].

فقدموا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال تعالىٰ: **﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾**[2] وأكثروا اللغط في حضرته وقد قال

---

١) صحيح مسلم ٣: ١٢٥٧/١٦٣٧ و١٢٥٩/ ٢٢ ـ كتاب الوصية. وصحيح البخاري ١: ٦٥/ ٥٥ ـ كتاب العلم، و٦: ٢٩/ ٤٢٢ و٤٢٣ ـ كتاب المغازي، و٧: ٢١٩/ ٣٠ ـ كتاب المرض، و٩: ٢٠٠/ ١٣٤ ـ كتاب التوحيد. ومسند أحمد ١: ٢٢٢ و ٣٢٤ و ٣: ٣٤٦. ومسند أبي يعلىٰ ٤: ٢٩٨/ ٢٤٠٩. والبداية والنهاية ٥: ٢٠٠. وتاريخ الطبري ٣: ١٩٣. وتاريخ ابن خلدون ٢: ٤٨٥. والملل والنحل/ الشهرستاني ١: ١٤ ـ المقدمة الرابعة. وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٥ و٦: ٥١، وقال: اتفق المحدثون كافة علىٰ روايته.

٢) سورة الحجرات: ٤٩/ ١.

تعالىٰ: ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم**﴾[١].

وعصوا الله تعالىٰ ورسوله صلى الله عليه وآله جهرة، والله تعالىٰ يقول: ﴿**ومن يعصِ الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبينا**﴾[٢].

وهكذا انشغلت الأُمّة عن نبيها صلى الله عليه وآله بمجرد إحساسها بفقده، لتدخل في صراعات كان بامكانهم تجنبها لو استمعوا لما يكتب لهم الرسول صلى الله عليه وآله وهو في المحتضر، وكان ذلك الانقلاب يمثل حجر الزاوية لكلٍّ مظلمة حدثت علىٰ طول التاريخ.

الابتسامة الأخيرة:

في محتضر النبي صلى الله عليه وآله حيث أحنت الزهراء عليها السلام علىٰ أبيها صلى الله عليه وآله، ارتسمت علىٰ شفتيها ابتسامة عقيب بكاءٍ هزّ كيانها، ممّا أثار الدهشة والتساؤل عند البعض حتىٰ فسّرت لهم سرّ ذلك بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله.

روي عن ابن عباس وعائشة أنّ النبي صلى الله عليه وآله دعا فاطمة عليها السلام في شكواه التي قُبض فيها، فسارّها بشيءٍ فبكت، ثمّ دعاها فسارّها فضحكت، فسئلت عن ذلك، فقالت بعد وفاته صلى الله عليه وآله: «**سارّني النبي صلى الله عليه وآله فأخبرني أنّه يُقبض في وجعه الذي تُوفّي فيه فبكيت، ثم سارّني فأخبرني أنّي أول من يتبعه من أهل بيته فضحكت**»[٣].

---

١) سورة الحجرات: ٤٩ / ٢.

٢) سورة الاحزاب: ٣٣ / ٣٦.

٣) صحيح البخاري ٥: ٩٢ ـ كتاب المناقب. وصحيح مسلم ٤: ١٩٠٤ / ٩٧ ـ كتاب فضائل

←

إذن كانت تلك الابتسامة تعبّر عن فرحة سرعة اللحاق بالنبي صلى الله عليه وآله في الدار الآخرة **﴿في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر﴾**[1] وكانت الأخيرة في حياة سيدة النساء عليها السلام إذ أعقبها الألم والحزن والبكاء، فهي عليها السلام بعد فقد الرسول صلى الله عليه وآله لم تهدأ لها حسرة ولم ترقأ لها عبرة.

قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: **«مكثت فاطمة عليها السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله ثلاثة أشهر، وما رؤيت ضاحكة بعده»**[2].

وكانت عليها السلام تعبّر بتلك الدموع عن مرارة الألم لفراق أبيها صلى الله عليه وآله وشدة الحزن لفقده، وتحكي مظلوميتها واغتصاب حقّ الوصيّ وحقّها، وما يعتلج بصدرها من معاناة لم تجد إلىٰ بثّها سبيلاً إلّا بالدموع.

قال أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن نفض يديه من تراب قبرها عليها السلام وهو يناجي رسول الله صلى الله عليه وآله: **«وستنبئك ابنتك بتضافر أُمّتك علىٰ هضمها، فأحفِها السؤال، واستخبرها الحال، فكم من غليلٍ معتلج بصدرها لم تجد إلىٰ بثّه سبيلاً»**[3].

الهجوم علىٰ دار الزهراء عليها السلام وما ترتب عليه:

مضىٰ أبو بكر وعمر وأبو عبيدة إلىٰ سقيفة بني ساعدة، ولم يبق حول

← الصحابة. وحلية الأولياء ٢: ٤٠. ومسند أحمد ٦: ٧٧، ٢٤٠، ٢٨٢. والمعجم الكبير / الطبراني ٢٢: ٤١٥ / ١٠٢٧ و ٤١٩ ـ ٤٢١ / ١٠٣٤ ـ ١٠٣٧. ومسند فاطمة عليها السلام / السيوطي: ٨٠ و ١٢٠. وفضائل فاطمة / ابن شاهين: ٢٨ ـ ٣٢.

١) سورة القمر: ٥٤ / ٥٥.

٢) المعجم الكبير / الطبراني ٢٢: ٣٩٩ / ٩٩٥.

٣) الكافي ١: ٤٥٩ / ٣.

جثمان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلّا أقاربه ومواليه، وهم الذين تولوا غسله وتكفينه وإدخاله قبره ومواراته، وهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وعمه العباس رضي الله عنه وابناه الفضل وقثم، وأُسامة بن زيد مولاه، وقيل: شقران، أو صالح مولاه صلى الله عليه وآله وسلم (١).

فارتفعت الأصوات في السقيفة وكثر اللغط بين المهاجرين والأنصار، ثم إن عمر بن الخطاب ضرب علىٰ يد أبي بكر فبايعه الناس، ثم أتوا به المسجد يبايعونه، فسمع العباس وعلي عليه السلام التكبير في المسجد ولم يفرغوا من غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٢).

وكان عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكّون أن عليّاً عليه السلام هو صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٣)، فتخلّف قوم من المهاجرين والأنصار وجمهور الهاشميين عن بيعة أبي بكر، وكان منهم: العباس بن عبدالمطلب، والفضل بن العباس، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، والبرّاء بن عازب، وأُبي بن كعب، وعتبة بن أبي لهب، وغيرهم (٤)، وروي أنّهم اجتمعوا علىٰ أن يبايعوا عليّاً عليه السلام (٥).

---

١) الطبقات الكبرىٰ / ابن سعد ٢: ٢٧٧ ـ ٢٧٨. والعقد الفريد / ابن عبد ربه ٣: ٢٩٦، المكتبة التجارية ـ مصر. وتاريخ الإسلام / الذهبي ١: ٥٧٥ ـ ٥٧٦. وتاريخ الطبري ٣: ٢١٣.

٢) العقد الفريد / ابن عبد ربه ٥: ١٠ ـ ١١.

٣) الموفقيات / الزبير بن بكار: ٥٨٠ / ٣٨٠ عن محمد بن اسحاق. وتاريخ اليعقوبي ٢: ١٢٤. وشرح ابن أبي الحديد ٦: ٢١.

٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٢٤. وتاريخ أبي الفداء ٢: ٦٣. وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٩.

٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٦.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد اعتزل الناس بعد أن فرغ من جهاز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعكف على جمع القرآن الكريم بعهدٍ من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وروي أنّه عليه السلام قال: **«لا أرتدي حتىٰ أجمعه»**، وقالوا: إنّه لم يرتدِ إلّا للصلاة حتىٰ جمعه [١].

وفي تلك الاثناء بلغ أبو بكر أن جماعة منهم العباس قد اجتمعوا مع علي ابن أبي طالب عليه السلام في منزل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبعث إليهم عمر بن الخطاب، وخالد بن الوليد في رجالٍ من الأنصار ونفرٍ من المهاجرين أرسلهم أبو بكر رِدءاً لهما، كزياد بن لبيد الأنصاري، وعبد الرحمن بن عوف، وأُسيد بن حُضير، ومسلمة بن سلامة بن وقش، ومحمد بن مسلمة، وثابت بن قيس بن شماس الخزرجي، وسلمة بن أسلم [٢]، والمغيرة بن شعبة، وسالم مولىٰ أبي حذيفة [٣].

فجاء عمر بن الخطاب فناداهم وهم في دار علي عليه السلام: لتخرجنّ إلىٰ البيعة أو لأُحرقنّها علىٰ من فيها! فقيل له: يا أبا حفص؟ إنّ فيها فاطمة! فقال: وإن [٤]!!.

فلمّا سمعت فاطمة عليها السلام أصواتهم نادت بأعلىٰ صوتها: **«يا أبتِ يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة؟!»** فلمّا سمع القوم

---

١) أُنظر: الاتقان / السيوطي ١: ٢٠٤. والطبقات الكبرىٰ / ابن سعد ٢: ٣٣٨. ومناهل العرفان ١: ٢٤٧. وكنز العمال ٢: ٥٨٨ / ٤٧٩٢. وشرح ابن أبي الحديد ١: ٢٧ و ٢: ٥٦.

٢) راجع: مستدرك الحاكم ٣: ٦٦. وسنن البيهقي ٨: ١٥٢. وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٠ و ٥١ و ٥٦ و ٥٧، و ٦: ١١ و ٤٧ و ٤٨.

٣) الجمل / الشيخ المفيد: ١١٧.

٤) الإمامة والسياسة / ابن قتيبة ١: ١٢.

صوتها وبكائها انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم[١]، فاقتحموا الدار، فصاحت فاطمة عليها السلام وناشدتهم الله[٢]، وجعلت تبكي وتصيح[٣].

وخرج إليهم الزبير مصلتاً سيفه، فاعتنقه زياد بن لبيد الأنصاري ورجل آخر، فندر السيف من يده، فضرب به عمر الحجر فكسره[٤]، ثم أخرجهم بتلابيبهم يساقون سوقاً عنيفاً[٥].

وروي أنّهم قالوا: ليس عندنا معصية ولا خلاف.. وإنما اجتمعنا لنؤلف القرآن في مصحف واحد، ثم بايعوا أبا بكر[٦].

واجتمع الناس ينظرون، وامتلأت شوارع المدينة بالرجال، ورأت فاطمة عليها السلام ما صنع عمر، فصرخت وولولت، واجتمع معها نساء كثيرة من الهاشميات وغيرهنّ، فخرجت إلىٰ بابها، وقالت: «**يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرتم علىٰ أهل بيت رسول الله! والله لا أُكلّم عمر حتىٰ ألقىٰ الله**»[٧].

---

١) الإمامة والسياسة / ابن قتيبة ١: ١٣. وأعلام النساء / كحالة ٤: ١١٤ ـ ١١٥.
٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٠، و ٦: ٤٧.
٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٦.
٤) وفي رواية الطبري ٣: ٢٠٢ أنّ الزبير عثر فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه. وروي أنّ الذي أخذ سيف الزبير وكسره هو محمد بن مسلمة. راجع مستدرك الحاكم ٣: ٦٦. وسنن البيهقي ٨: ١٥٢. وكنز العمال ٥: ٥٩٧. وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٥١، و ٦: ٤٨. وفي ج٦ ص١١ منه أنّه سلمة بن أسلم.
٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٦، و ٦: ٤٨.
٦) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٦.
٧) السقيفة وفدك / الجوهري: ٧٣. وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٧، و ٦: ٤٩.

وقالت عليها السلام: **«لا عهد لي بقومٍ حضروا أسوأ محضرٍ منكم، تركتم رسول الله جنازةً بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا ولم تروا[(١)] لنا حقاً[(٢)]، كأنكم لم تعلموا ما قال يوم غدير خمّ، والله لقد عقد له يومئذ الولاء، ليقطع منكم بذلك منها الرجاء، ولكنكم قطعتم الأسباب بينكم وبين نبيكم، والله حسيب بيننا وبينكم في الدنيا والآخرة»**[(٣)].

وأخرجوا علياً عليه السلام ومضوا به إلىٰ أبي بكر، فقال له عمر: بايع. فقال عليه السلام: **«إن أنا لم أفعل فمه؟»** قال عمر: إذن والله الذي لا إله إلّا هو نضرب عنقك!

فقال: **«إذن تقتلون عبد الله وأخو رسوله»**. قال عمر: أما عبدالله فنعم، وأما أخو رسوله فلا[(٤)]، وأبو بكر ساكت. فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أُكرهه علىٰ شيءٍ ما كانت فاطمة إلىٰ جنبه[(٥)].

ولم يبايع عليٌّ أبا بكر حتىٰ ماتت فاطمة عليها السلام بعد ستة أشهر، فلمّا ماتت عليها السلام ضرع إلىٰ صلح أبي بكر[(٦)].

---

١) في الإمامة والسياسة: ولم تردّوا.

٢) الإمامة والسياسة ١: ١٣. والأمالي / الشيخ المفيد: ٩/٤٩. والاحتجاج / الطبرسي: ٨٠.

٣) الاحتجاج / الطبرسي: ٨٠.

٤) وهو ردّ علىٰ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقد صحّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال لعلي عليه السلام: « **أنت أخي في الدنيا والآخرة** »، راجع: سنن الترمذي ٥: ٦٣٦ / ٣٧٢٠. ومسند أحمد ١: ٢٣٠. ومستدرك الحاكم ٣: ١٤. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « **أنت أخي وأنا أخوك، فان ذاكرك أحد فقل: أنا عبدالله وأخو رسوله، لايدّعيها بعدك إلّا كاذب** »، راجع: فضائل الصحابة / أحمد بن حنبل ٢: ٦١٧ / ١٠٥٥. وتذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي: ٢٢.

٥) الإمامة والسياسة / ابن قتيبة ١: ١٣. والآية من سورة الأعراف: ٧ / ١٥٠.

٦) أنساب الأشراف / البلاذري ٢: ٢٦٨، دار الفكر ـ بيروت.

آثار الهجوم وما ترتب عليه:

اندفع القوم إلىٰ بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يرعوا لها حرمة، ولا لأبيها المصطفىٰ صلى الله عليه وآله ذمّة، وقد رافق الهجوم علىٰ الدار بعض الأحداث المخالفة للشرع والدين والضمير والوجدان والأعراف والسجايا الانسانية، وكلّها مصاديق تحكي قصة الانقلاب علىٰ الأعقاب والإحداث بعد غياب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ومن تلك الأحداث:

١ ـ إحراق البيت:

ثبت إحراق البيت المقدس من طريق الفريقين، فقد روي أنّهم جمعوا الحطب الجزل حول بيت الزهراء عليها السلام، وأضرموا النار في بابه، حتىٰ أخذت النار في خشب الباب [١].

وروىٰ الثقفي بالاسناد عن حمران بن أعين، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: **«والله ما بايع علي حتىٰ رأىٰ الدخان قد دخل بيته»** [٢].

وقال المسعودي: فأقام أمير المؤمنين عليه السلام ومن معه من شيعته في منزله بما عهد إليه رسول الله صلى الله عليه وآله، فوجّهوا إلىٰ منزله، فهجموا عليه وأحرقوا بابه، واستخرجوه منه كُرهاً [٣].

وقد بلغ من اشتهار هذا الأمر أن سجّله كثير من الشعراء منذ القرون الأولىٰ وإلىٰ اليوم، ومنهم عبدالله بن عمار البرقي ت ٢٤٥ هـ حيث قال:

---

١) الهداية الكبرىٰ / الخصيبي: ٤٠٧. وبحار الأنوار ٤٣: ١٩٧ / ٢٩، و ٥٣: ١٨.

٢) تلخيص الشافي / الطوسي ٣: ٧٦. وبحار الأنوار ٢٨: ٣٩٠.

٣) إثبات الوصية / المسعودي: ١٢٤، المطبعة الحيدرية ـ النجف. وبحار الأنوار ٢٨: ٣٠٨ / ٥٠.

وكلّلا النار من نبتٍ ومن حطبٍ والمضرمان لمن فيه يسبّانِ
وليس في البيت إلّا كلّ طاهرةٍ من النساء وصدّيق وسبطانِ (١)

وقال علاء الدين الحلي المقتول سنة ٧٨٦ هـ:

وأجمعوا الأمر فيما بينهم غوت لهم أمانيهم والجهل والأملُ
أن يحرقوا منزل الزهراء فاطمة فياله حادث مستصعب جَلَلُ
بيت به خمسة جبريل سادسهم من غير ما سبب بالنار يشتعلُ (٢)

ووردت الأخبار بهذا المضمون من طرق العامة أيضاً، فقد ذكر السيد المرتضىٰ رحمه الله أن خبر الإحراق قد رواه غير الشيعة ممن لا يتهم علىٰ القوم (٣)، وفي ما يلي بعض رواياتهم:

روىٰ البلاذري عن سليمان التيمي وعبدالله بن عون أنهما قالا: إنّ أبا بكر أرسل إلىٰ علي عليه السلام يريد البيعة، فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة، فتلقّته فاطمة عليها السلام علىٰ الباب. فقالت فاطمة عليها السلام: يابن الخطاب، أتراك محرقاً عليّ بابي؟ قال: نعم، وذلك أقوىٰ فيما جاء به أبوك (٤).

وذكر ابن عبدربه الذين تخلفوا عن البيعة لأبي بكر: علي عليه السلام والعباس، والزبير، وسعد بن عبادة، قال: فأمّا علي عليه السلام والعباس والزبير، فقعدوا في

---

١) الصراط المستقيم / البياضي ٣: ١٣.
٢) الغدير ٦: ٣٩١.
٣) الشافي / السيد المرتضىٰ ٤: ١١٩.
٤) أنساب الأشراف ٢: ٢٦٨، دار الفكر ـ بيروت. والشافي / السيد المرتضىٰ ٣: ٢٤١. وتلخيص الشافي / الطوسي ٣: ٦٧.

بيت فاطمة حتىٰ بعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجوا من بيت فاطمة عليها السلام، وقال له: إن أبوا فقاتلهم. فأقبل بقبسٍ من نار علىٰ أن يضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمة عليها السلام فقالت: يابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأُمّة [1].

وقد سجّل شاعر النيل حافظ إبراهيم هذه المكرمة لعمر بن الخطاب حيث قال:

وقولةٍ لعلي قالها عمرُ
أكرم بسامعها أعظم بملقيها

حرقتُ دارك لا أبقي عليك بها
إن لم تبايع وبنت المصطفىٰ فيها

ما كان غير أبي حفص يفوه بها
أمام فارس عدنان وحاميها [2]

وليته لم يَفُه بها، فإنّها كانت سُبّة له وموبقة عظيمة لا تفارقه أبداً، حتّىٰ يلقىٰ الله تعالىٰ وبنت المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم غضبىٰ عليه، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم حرب عليه، لأنّه صلى الله عليه وآله وسلم حربٌ لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم [3].

وظنّ شاعر النيل أنّ ذلك كان من شجاعة عمر، وفات عنه أنّه لم تثبت لعمر قدم في المقامات المشهورة كما لم ترَ له صولة ولم تعرف عنه جولة،

---

١) العقد الفريد / ابن عبدربه ٥: ١٢. والمختصر في أخبار البشر / أبو الفداء ٢: ٦٤.

٢) الديوان ١: ٧٥، دار الكتب المصرية ـ القاهرة.

٣) سنن الترمذي ٥: ٦٩٩ / ٣٨٧٠. ومستدرك الحاكم ٣: ١٤٩. ومسند أحمد ٢: ٤٤٢. ومسند فاطمة عليها السلام / السيوطي: ٤٤.

فهو الذي عاد في خيبر يُجبّن أصحابه ويجبّنونه [1]، فما كانت الراية والفتح وقتل صناديد الكفر لتليق إلّا بمن يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، الكرار غير الفرار، علي أمير المؤمنين عليه السلام [2].

كما فات عنه أنّ صبر أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ القوم ما كان إلّا بعهدٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له بالصبر عند خذلان الأُمّة [3]، وأنّه عليه السلام كان يقول واصفاً حاله بعد البيعة: **«فنظرتُ فإذا ليس لي معين إلّا أهل بيتي، فضننتُ بهم عن الموت، وأغضيتُ علىٰ القذىٰ، وشربت علىٰ الشجا، وصبرت علىٰ أخذ الكظم وعلىٰ أمرّ من طعم العلقم»** [4].

وقال عليه السلام: **«وطفقت أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذّاء، أو أصبر علىٰ طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتىٰ يلقىٰ ربه، فرأيت أنّ الصبر علىٰ هاتا أحجىٰ، فصبرتُ وفي العين قذىً، وفي الحلق شجىً، أرىٰ تراثي نهباً...»** [5].

وخلاصة القول إنّه عليه السلام آثر بقاء الإسلام الذي نذر حياته وخاض الغمرات لأجله، فنراه في أحرج المواقف التي واجهته بعد البيعة كان يقول:

---

١) مستدرك الحاكم ٣: ٣٧. وتاريخ الطبري ٣: ١٢.

٢) صحيح البخاري ٥: ٨٧ / ١٩٧ و ١٩٨ ـ كتاب الفضائل، و ٥: ٢٧٩ / ٢٣١ ـ كتاب المغازي. وصحيح مسلم ٤: ١٨٧١ / ٣٢ ـ ٣٤ ـ كتاب الفضائل. ومسند أحمد ١: ١٨٥، و ٥: ٣٥٨. ومستدرك الحاكم ٣: ١٠٩.

٣) راجع: الاحتجاج / الطبرسي: ٧٥.

٤) نهج البلاغة / صبحي الصالح: ٦٨ الخطبة ٢٦.

٥) نهج البلاغة / صبحي الصالح: ٤٨ الخطبة ٣.

«سلامة الدين أحبُّ إلينا من غيره»[١].

الاحراق ذريعة للظلم:

إنّ إحضار الحطب حول بيت القدس والطهارة من قبل رجال الخلافة وإذكاء النار في بابه لانتزاع البيعة من أمير المؤمنين عليه السلام قد صار ذريعة للظالمين وسُنّة لطواغيت الأُمّة علىٰ طول التاريخ، فقد روىٰ المؤرخون أنّ عروة بن الزبير كان يعذر أخاه عبدالله في حصر بني هاشم في الشعب، وجمعه الحطب ليحرقهم، وكان يقول: إنّما أراد بذلك ألّا تنتشر الكلمة، ولا يختلف المسلمون، وأن يدخلوا في الطاعة، فتكون الكلمة واحدة، كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لمّا تأخروا عن بيعة أبي بكر، فانّه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار[٢].

٢ ـ إيذاء الزهراء عليها السلام بالضرب والاسقاط:

وكان من امتدادات ذلك الهجوم أن تعرّض القوم لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله بالضرب ممّا أدىٰ إلىٰ إسقاط جنينها، فشكت من أثر ذلك الضرب حتىٰ التحقت بربها شهيدة مظلومة، وقد استفاضت الروايات بذلك وثبت عند أعلام الطائفة.

قال الشيخ الطوسي رحمه الله: وقد روي أنّهم ضربوها بالسياط، والمشهور الذي لا خلاف فيه بين الشيعة أن عمر ضرب علىٰ بطنها حتىٰ أسقطت،

---

١) الموفقيات / الزبير بن بكار: ٥٨١ عن محمد بن إسحاق. وشرح ابن أبي الحديد ٦: ٢١.

٢) مروج الذهب / المسعودي ٣: ٧٧. وشرح ابن أبي الحديد ٢٠: ١٤٧. ومقاتل الطالبيين / أبو الفرج: ٣١٥.

فسمّي السقط محسناً [١]، والرواية بذلك مشهورة عـندهم [٢]، وقـد نـقلها عنهم المخالفون أيضاً [٣].

ونقل الشيخ ابن شهرآشوب عن (المعارف) لابـن قـتيبة أنّ المـحسن سقط من زخم [٤] قنفذ العدوي [٥] الذي أمره عمر بضرب الزهراء عليها السلام.

وكان من آثار ذلك الضرب أن مرضت الزهراء عليها السلام ولازمت فراشها حتىٰ التحقت بربها، كما أخبر بذلك أولاد الزهراء عليهم السلام [٦]، وقد أطبقت كـلمتهم

---

١) وهو الابن الثالث لأمير المؤمنين عليه السلام من الزهراء عليها السلام، وقـد جـاء فـي الروايـات والأخـبار أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أمر بتسميته محسناً وهو حمل في بطن أُمّه. راجع: الكـافي / الكـليني ٦: ١٨ / ٢. والخصال / الصدوق: ٦٣٤. والإرشاد ١: ٣٥٥.

وذكره العامّة أيضاً وقالوا: انّه مات صغيراً. راجع: تاريخ الطبري ٥: ١٥٣. والكامل / ابن الأثير ٣: ٣٩٧. وأنساب الأشراف / البلاذري ٢: ٤١١. والإصابة ٣: ٤٧١. وميزان الاعتدال / الذهبي ١: ١٣٩. ولسان الميزان / ابن حجر ١: ٢٦٨.

٢) تلخيص الشافي ٣: ١٥٦. وراجع أيضاً الاختصاص: ٨٥. وكتاب سليم: ٣٧. والهداية الكبرىٰ / الخصيبي: ١٧٩. وبحار الأنوار ٣٠: ٢٣٩ ـ ٢٤٠، و٤٣: ١٩٧ / ٢٩.

٣) البدء والتاريخ / المقدسي ٥: ٢٠. وشرح ابن أبي الحديد الحنفي المعتزلي ٢: ٦٠.

٤) الزخم: الدفع الشديد.

٥) المناقب ٣: ٣٥٨. وقنفذ هو ابن عمير التيمي، ذكره ابن الأثير وابن حجر وقالا: له صحبة، وولاه عمر مكّة ثمّ صرفه. راجع: أُسد الغابة ٤: ٢٠٨. والإصابة ٣: ٢٤١. والذي في المعارف المطبوع في دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٩ هـ ص ٢١١: وأما محسن بن علي فهلك وهو صغير، وقد جاء في كثير من الروايات أنّه تعرّض للزهراء عليها السلام بالضرب عندما أحـالت بـين القـوم وبـين أمـير المؤمنين عليه السلام. راجع: الاحتجاج / الطبرسي: ٨٣. وكتاب سُليم: ٣٨ و ٤٠. ودلائل الإمـامة / الطبري: ١٣٤. وبحار الأنوار ٤٣: ١٧٠ و ١٩٨ / ٢٩.

٦) راجع: الاحتجاج / الطبرسي: ٨٣. ودلائل الإمامة / الطبري: ١٣٤. وكتاب سُليم: ٤٠. ودعائم الإسلام ١: ٢٣٢. وبحار الأنوار ٤٣: ١٧٠ / ١١ و ١٩٨ / ٢٩.

علىٰ أنّها ماتت شهيدةً مظلومة، فعن علي بن جعفر عن أخيه أبي الحسن عليه السلام قال: «**إنّ فاطمة صدّيقة شهيدة**»[1]، وجاء في زيارتها عليها السلام: السلام عليكِ أيتها البتول الشهيدة الطاهرة[2]. والسلام عليكِ أيتها الصديقة الشهيدة[3].

ومما يدلّ علىٰ شيوع هذا الأمر وشهرته هو أن تناوله الشعراء مندّدين به مزرين علىٰ فاعله، وذلك منذ القرون الأُولىٰ وإلىٰ اليوم، قال السيد الحميري المتوفىٰ ١٧٣ هـ:

ضربت واهتضمت من حقّها
وأُذيقت بعده طعم السَّلع[4]

قطع الله يدي ضاربها
ويد الراضي بذاك المتّبع[5]

وقال القاضي النعمان المتوفىٰ سنة ٣٦٣ هـ في أرجوزته المختارة:

حتىٰ أتوا باب البتول فاطمةْ
وهي لهم قالية مصارمةْ

فوقفت من دونه تعذلهم   فكسر الباب لهم أوّلهم

فاقتحموا حجابها فأعولتْ   فضربوها بينهم فأسقطتْ

---

١) الكافي ١: ٤٥٨ / ٢.

٢) المزار / المفيد: ١٥٦. والمقنعة / المفيد: ٤٥٩. وبحار الأنوار ١٠٠: ١٩٧ / ١٤، و١٩٨ / ١٦.

٣) التهذيب / الطوسي ٦: ١٠ / ١٢. والبلد الأمين / الكفعمي: ١٧٨.

٤) السَّلع: شجر مرّ، ويقال: أمرّ من السَّلع.

٥) الصراط المستقيم ٣: ١٣.

إلىٰ أن قال:

وقـــــتلهم فـــاطمة الزهـــراءِ   أضـــرم حـــرّ النـــار فـــي أحشـائي
لأنّ فــي المشــهور عــند النــاسِ   بأنّـــها مـــاتت مـــن النــفاسِ (١)

وقال الأمير علي بن مقرب الاحسائي المتوفّىٰ سنة ٦٢٩ هـ:

يــاليت شـعري فـمن أنـوح مـنهم   ومـــن له يــنهلّ فــيض أدمــعي
أللـــوصي حـــين فـــي مـــحرابـه   عـــمّم بـــالسيف ولمّـــا يـــركعِ
أم للـــبتول فـــاطم إذ مـــنعت   عـــن إرثــها الحــق بأمــر مـجمعِ

إلىٰ أن قال:

ولم تـــزل مـــهضومة مـظلومة   بــردّ دعــواهــا ورضّ الأضـلعِ (٢)

ونقل ذلك من غير طرق الشيعة، فعن محمد بن أحمد بن حماد الكوفي الحافظ، في ترجمة أحمد بن محمد السري بن يحيىٰ بن السري ابـن أبـي دارم، قال: كان مستقيم الأمر عامة دهره، ثمّ في آخر أيامه كان أكثر مـا يـقرأ عليه المثالب، حضرته ورجل يـقرأ عـليه أنّ عـمر رفس فـاطمة عليها السلام حـتىٰ أسقطت محسناً (٣).

وعن إبراهيم بن سيار النظام، قال: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة

---

١) الارجوزة المختارة: ٨٨ / ٩٢ ـ طبع سنة ١٩٧٠ م ـ معهد الدراسات الإسلامية ـ كندا.

٢) إثبات الهداة / الحر العاملي ٤: ١٤١٢. وأدب الطف ٤: ٣٢.

٣) سير أعلام النـبلاء / الذهـبي ١٥: ٥٧٨. ومـيزان الاعـتدال / الذهـبي ١: ١٣٩ / ٥٥٢. ولسـان الميزان / ابن حجر ١: ٢٦٨ / ٨٢٤.

حتىٰ ألقت الجنين من بطنها [١]، وكان يصيح: احرقوا دارها بمن فيها، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام [٢].

ونقل البغدادي والمقريزي عن النظام أنه قال: إنّ عمر ضرب فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله ومنع ميراث العترة [٣].

ولا ندري كيف يجعل مرتكب مثل هذه الأُمور الفضيعة نفسه إماماً للأُمّة، وفي موقع رسول الله صلى الله عليه وآله، ويؤتمن علىٰ الدين والإنسان والأخلاق وأموال الناس وأعراضهم، ويوفّر لهم الكرامة والعزّة، ويربّي الناس علىٰ الفضيلة والدين والأخلاق؟!

ثم إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يحبّ من يبغض فاطمة، ولو بكلمة واحدة، فلماذا يُلام محبّو فاطمة عليها السلام علىٰ بغض قاتلها؟

اعتراف أبي بكر بالهجوم:

إنّ التجاوز علىٰ حرمة بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وإدخال الرجال فيه، وهتك حرمته المقدسة، قد صرّح به أبو بكر في لحظاته الأخيرة، وفي ذلك دلالة قاطعة علىٰ حدوث هذا الهجوم وما رافقه من أحداث أليمة، وعلىٰ خطأ أبي بكر في الايعاز إلىٰ جنده بقيادة ابن الخطاب للقيام بذلك العمل المنافي لأبسط حقوق الزهراء، والمؤدي إلىٰ غضب الله تعالىٰ ورسوله الكريم وصالح المؤمنين.

---

١) الوافي بالوفيات / الصفدي ٦: ١٧.

٢) الملل والنحل / الشهرستاني ١: ٥٧.

٣) الفرق بين الفرق / البغدادي: ١٤٨، دار المعرفة. والخطط / المقريزي ٢: ٣٤٦ ـ دار صادر.

عن عبدالرحمن بن عوف: أنّه سمع أبا بكر يقول في مرضه الذي توفي فيه: وددت أني لم أكن فتّشت بيت فاطمة وأدخلته الرجال، ولو كان أُغلق علىٰ حرب. وفي رواية: ليتني لم أكن كشفت بيت فاطمة عن شيءٍ، وتركته ولو أُغلق علىٰ حرب [١].

البيعة تأصيل للغدر وذريعة للظلم:

إنّ البيعة التي لأجلها كان الهجوم علىٰ دار الزهراء عليها السلام مغرس الإسلام ومهبط الوحي، هي مصداق للانقلاب والإحداث في الإسلام وتجسيد لنزعة الغدر والعدوان في هذه الأُمّة، وهذا ما أعلم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصيَّه أمير المؤمنين عليه السلام، فقد روىٰ الجوهري بالاسناد عن حبيب بن ثعلبة، قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: **«أما وربّ السماء والأرض ـ ثلاثاً ـ إنّه لعهد النبي الأُمي صلى الله عليه وآله وسلم إليّ: لتغدرنّ بك الأُمّة من بعدي»** [٢].

فالبيعة لا تمتلك أدنىٰ المقومات الشرعية، ولم تتحصّن بأيّ سبب معقول أو منقول، بل كانت كما وصفها أبو بكر [٣] وعمر [٤]: فلتةً وقىٰ الله شرّها، والحقّ أنّ شرها كان مستطيراً، فهي حجر الزاوية لكلّ مظلمة حدثت

---

١) المعجم الكبير / الطبراني ١: ٦٢ / ٤٣. وتاريخ الطبري ٣: ٤٣٠ حوادث سنة (١٣ هـ). ومروج الذهب / المسعودي ٢: ٣٠١. وتاريخ اليعقوبي ٢: ١٣٧. والعقد الفريد ٥: ١٩. وكنز العمال ٥: ٦٣٢ / ١٤١١٣. وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٦ ـ ٤٧، و ٦: ٥١. ومجمع الزوائد ٥: ٢٠٣. وميزان الاعتدال / الذهبي ٣: ١٠٩ / ٥٧٦٣. ولسان الميزان ٤: ١٨٩ / ٥٠٢. ومسند فاطمة عليها السلام السيوطي: ١٧، ٣٤، ٣٥.

٢) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٤٥.

٣) أنساب الأشراف / البلاذري ٢: ٢٦٤.

٤) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٤٧.

في التاريخ، والذريعة لكلٍّ من ظلم أهل البيت عليهم السلام من طواغيت الأُمّة وجبابرتها، ويتضح ذلك جلياً في كتاب معاوية إلىٰ محمد بن أبي بكر قبل حرب صفين حيث جاء فيه: فقد كنّا وأبوك نعرف فضل ابن أبي طالب وحقّه لازماً لنا مبروراً علينا[1]، فلما اختار الله لنبيه صلى الله عليه وآله ما عنده، وأتمّ وعده، وأظهر دعوته، وأفلج حجّته، وقبضه الله إليه، كان أبوك والفاروق أول من ابتزّه حقّه، وخالفه علىٰ أمره، علىٰ ذلك اتّفقا واتّسقا، ثم إنّهما دعواه إلىٰ بيعتهما، فأبطأ عنهما وتلكّأ عليهما، فهمّا به الهموم، وأرادا به العظيم... فان يكن ما نحن فيه صواباً، فأبوك أوله، وإن يكن جوراً، فأبوك أُسّه، ونحن شركاؤه، فبهديه أخذنا، وبفعله اقتدينا، ولولا ما سبقنا إليه أبوك ما خالفنا ابن أبي طالب وأسلمنا له، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك، فاحتذينا بمثاله، واقتدينا بفعاله[2].

فالبيعة إذن كانت اتفاقاً سرياً، فعلىٰ الرغم من أنهم كانوا يعرفون فضل أمير المؤمنين عليه السلام وحقه لازماً عليهم، لكنهم اتفقوا واتسقوا علىٰ أن يبتزّوه حقه ويخالفوه علىٰ أمره.

روىٰ الجوهري عن ابن عباس أن عمر قال له ليلة الجابية: إنّ أول من ريّثكم عن هذا الأمر أبو بكر، إنّ قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة. قال: قلت: لمَ ذاك يا أمير المؤمنين؟ ألم نُنِلهُم خيراً؟! قال: بلىٰ،

---

١) وكان عمر بن الخطاب يعلم أيضاً يقيناً بمقام علي عليه السلام، فقد روىٰ الجوهري عن ابن عباس، قال: إنّ عمر يشهد أن علياً عليه السلام أولىٰ الناس بالأمر بعد رسول الله. شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٧ و٦: ٥٠.

٢) وقعة صفين / نصر بن مزاحم: ١٢٠. وشرح ابن أبي الحديد ٣: ١٩٠. ومروج الذهب ٣: ١٢.

ولكنّهم لو فعلوا لكنتم عليهم جَحْفاً جَحْفاً[١].

وذلك الاتفاق يهدف إلىٰ إقصاء عترة النبي صلى الله عليه وآله عن أداء دورهم الرسالي، وهضم حقوقهم، والاستيلاء علىٰ الملك، مهما كانت الوسائل، وحتىٰ لو انتهت بقتل أمير المؤمنين عليه السلام (وأرادا به العظيم)[٢] كما قتلوا سعد ابن عبادة، الذي ذهب إلىٰ الشام مهاجراً ومغاضباً لأصحاب السقيفة بعد أن هتف عمر أمام المهاجرين والأنصار: اقتلوه قتله الله، فإنّه صاحب فتنة[٣]، ثم بعث رجلاً إلىٰ الشام، فرماه بسهم فقتله[٤].

وما كان اهتمام عمر بانتزاع البيعة بشتىٰ الوسائل، وإن أدىٰ إلىٰ القتل والتحريق، إلّا إمضاءً لذلك الاتفاق وحرصاً علىٰ تحقيق كامل أهدافه.

عن ابن عباس، قال: بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلىٰ علي عليه السلام حين قعد في بيته، وقال: ائتني به بأعنف العنف، فلمّا أتاه جرىٰ بينهما كلام، فقال علي عليه السلام: احلب حلباً لك شطره، والله ما حرصك علىٰ إمارته اليوم إلّا ليؤمّرك غداً[٥]. وفي رواية: أشدد له اليوم أمره ليردّ عليك غداً[٦].

ولهذا كشفت الزهراء عليها السلام عن موقفها من سلطة السقيفة أمام الملأ حينما

---

١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٨. وقوله: جحفاً جحفاً: أي فخراً وشرفاً.

٢) وقد مرّ بك قول عمر له عليه السلام: إذن والله نقتلك، وقول أبي بكر لعمر: إن أبوا فقاتلهم وكذا في شورىٰ عثمان، هدّده عبدالرحمن بن عوف بالقتل إن لم يبايع.

٣) تاريخ الطبري ٣: ٢٠٦. وأنساب الأشراف ٢: ٢٦٣.

٤) العقد الفريد ٥: ١٣.

٥) أنساب الأشراف ٢: ٢٦٩.

٦) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١١.

توفّرت لها فرصة المطالبة بحقوقها المالية المترتبة لها من الموروث النبوي، وسنأتي علىٰ بيانه في المبحث الثاني.

منع الحقوق المالية للزهراء عليها السلام

أولاً: اغتصاب نحلة الزهراء عليها السلام:

ثم كان بعد انتهاك حرمة بيت الزهراء عليها السلام وإيذائها، والاعتداء علىٰ وصيّ المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين عليه السلام، أن وضعت السلطة يدها علىٰ نحلة الزهراء في فدك، لتصبح من مصادر بيت المال وموارد ثروة الدولة، أو طعمةً لمن ولي الأمر بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وفدك قرية بناحية الحجاز، بينها وبين المدينة يومان، فيها عين فوّارة ونخل كثير، قد غرس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعضه بيده، وهي أرض كانت لليهود، فأفاءها الله علىٰ رسوله صلى الله عليه وآله وسلم صلحاً سنة ٧ هـ، وذلك لمّا فرغ صلى الله عليه وآله وسلم من فتح خيبر، قذف الله تعالىٰ الرعب في قلوب أهل فدك، فبعثوا إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصالحوه علىٰ النصف، وروي أنّهم صالحوه عليها كلها، فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنّه لم يوجف عليها المسلمون بخيلٍ ولا ركاب[1].

أدلّة النحلة:

١ ـ ثبت من طرق الشيعة والعامّة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد منح فدك إلىٰ ابنته الزهراء عليها السلام في حياته صلى الله عليه وآله وسلم، فقد روي عن علي أمير المؤمنين عليه السلام وابن

---

١) راجع: تاريخ الطبري ٣: ١٥. والكامل في التاريخ / ابن الأثير ٢: ٢٢١. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٠. وسنن أبي داود ٣: ١٤٣ / ٢٩٧١ ـ باب في صفايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأموال. وفتوح البلدان / البلاذري: ٤٣. ومعجم البلدان / ياقوت ـ فدك ـ ٤: ٢٧١.

عباس وأبي سعيد الخدري في تفسير قوله تعالىٰ: **﴿وآت ذا القربىٰ حقّه﴾** [1] أنهم قالوا: لمّا نزلت هذه الآية، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فأعطاها فدك [2].

وروي ذلك عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين والباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام [3].

٢ ـ وممّا يدلُّ علىٰ أنّ فدك كانت بأيدي أهل البيت عليهم السلام ما جاء في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ عثمان بن حنيف، وكان عامله علىٰ البصرة، قال عليه السلام: **«بلىٰ كانت في أيدينا فدك، من كلّ ما أظلّته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله، وما أصنع بفدك وغير فدك،**

---

١) سورة الإسراء: ١٧ / ٢٦.

٢) الدر المنثور / السيوطي ٥: ٢٧٢. وشواهد التنزيل / الحسكاني ١: ٣٣٨ / ٤٦٧ ـ ٤٧٣. ومجمع الزوائد / الهيثمي ٧: ٤٩ ـ عن الطبراني. وكنز العمال ٣: ٧٦٧ / ٨٦٩٦. وميزان الاعتدال ٣: ١٣٥ / ٥٨٧٢. ومقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي ١: ٧١. ولسان العرب / ابن منظور ـ فدك ـ ١٠: ٤٧٣ عن علي عليه السلام دون ذكر الآية. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٦٨ و ٢٧٥. وكشف الغمة / الاربلي: ٤٧٦. ومجمع البيان / الطبرسي ٦: ٦٣٤. وتفسير فرات الكوفي: ٣٢٢/ ٤٣٧. وتفسير العياشي ٢: ٢٨٧ / ٥٠. والشافي / المرتضىٰ ٤: ٩٠ و ٩٨. وتلخيص الشافي / الطوسي ٣: ١٢١.

٣) الكافي / الكليني ١: ٥٤٣ / ٥. وعيون أُخبار الرضا عليه السلام / الصدوق ١: ٢٣٢ / ١. وتفسير فرات الكوفي: ٢٣٩ / ٣٢٢ و ٣٢٣ / ٤٣٩ و ٤٤٠. وتفسير العياشي ٢: ٢٨٧ / ٤٦ ـ ٤٩. وتفسير القمي ٢: ١٨. والاحتجاج / الطبرسي ١: ٩٠ ـ ٩١. والاختصاص / المفيد: ١٨٤. والمناقب / ابن شهر آشوب ١: ١٤٢. وسعد السعود / ابن طاووس: ١٠١ ـ ١٠٢. والخرائج والجرائح / القطب الراوندي ١: ١١٢ / ١٨٧. وكشف الغمة / الاربلي ١: ٤٧٦. والتبيان / الطوسي ٦: ٤٦٨ و ٨: ٢٥٣. ومجمع البيان / الطبرسي ٨: ٤٧٨ عند سورة الروم آية (٣٨). وإعلام الورىٰ / الطبرسي ١: ٢٠٩.

والنفس مظانّها في غدٍ جدث، تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها...»(١).

٣ ـ وممّا يدلّ علىٰ ذلك قول الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام بأن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أعطاها فدك مع شهادة أمير المؤمنين عليه السلام وأُمّ أيمن لها عليها السلام، وذلك بعد أن وضعت السلطة يدها علىٰ الأرض، وأخرجت وكيلها منها، ومطالبة الزهراء عليها السلام بالنحلة وشهادة أمير المؤمنين عليه السلام لها، أمرٌ متواتر يعرفه الخاص والعام، سنأتي علىٰ بيانه لاحقاً.

٤ ـ ومما يدلّ علىٰ أنّ ذلك كان أمراً معروفاً شائعاً، هو موقف عمر بن عبدالعزيز والمأمون في ردّهما فدك علىٰ ولد الزهراء عليها السلام لمّا تبيّن لهما أنّ الحقّ كان معها عليها السلام وأنّها عليها السلام كانت صادقة في دعواها.

أمّا عمر بن عبدالعزيز، فقد كتب إلىٰ عامله علىٰ المدينة أبي بكر بن عمرو بن حزم: إذا ورد عليك كتابي هذا، فاقسمها في ولد علي من فاطمة عليها السلام والسلام. فنقمت بنو أُمية علىٰ عمر بن عبدالعزيز عمله هذا وعاتبوه فيه، فقال لهم: انكم جهلتم وعلمتُ، ونسيتم وذكرتُ، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **«فاطمة بضعة مني، يسخطني ما أسخطها، ويرضيني ما أرضاها»** قالوا: فان أبيت إلّا هذا فأمسك الأصل، وأقسم الغلّة، ففعل(٢).

وفي رواية الجوهري أنّه قال لهم: قد صحّ عندي وعندكم أنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أدعت فدك، وكانت في يدها، وما كانت لتكذب علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله مع شهادة علي عليه السلام وأُمّ أيمن وأُمّ سلمة، وفاطمة عندي صادقة فيما تدّعي وإن لم تقم البيّنة، وهي سيدة نساء أهل الجنة، فأنا اليوم

---

١) نهج البلاغة / صبحي الصالح: ٤١٧ / الكتاب ٤٥. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٠٨.
٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٧٨. وتلخيص الشافي / الطوسي ٣: ١٢٨.

أردّها علىٰ ورثتها... ولو كنت بدل أبي بكر وادّعت فاطمة كنت أصدّقها علىٰ دعواتها. فسلّمها إلىٰ محمد بن علي الباقر عليه السلام وعبد الله بن الحسن [١].

أما المأمون فقد جلس مجلساً مشهوراً ونصب فيه وكيلاً لفاطمة عليها السلام وآخر لأبي بكر، وجلس هو لسماع المناظرة والقضاء، وحكم بردّ فدك إلىٰ أولاد فاطمة عليها السلام بعد قيام الحجة ووضوح الأمر [٢].

وكتب كتاباً في الثاني من ذي القعدة سنة ٢١٠ هـ إلىٰ عامله علىٰ المدينة قثم بن جعفر أمره فيه بتسليمها إلىٰ محمد بن يحيىٰ بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، ومحمد بن عبدالله بن الحسين بن علي بن الحسين عليه السلام، ومما جاء في الكتاب: قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطىٰ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدك وتصدّق بها عليها، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لا اختلاف فيه بين آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ... فرأىٰ أمير المؤمنين أن يردّها إلىٰ ورثتها ويسلّمها إليهم، تقرباً إلىٰ الله تعالىٰ بإقامة حقّه، وإلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتنفيذ أمره وصدقته [٣].

مطالبة الزهراء عليها السلام بالنحلة وموقف السلطة:

لما انتزعت السلطة حقّ الزهراء عليها السلام في فدك ظلماً وأخرجت وكيلها

---

١) السقيفة وفدك / الجوهري: ١٤٦. وكشف الغمة / الاربلي ١: ٤٩٥.

٢) الشافي / المرتضىٰ ٤: ١٠٢. وتلخيص الشافي / الطوسي ٣: ١٢٧. والسقيفة وفدك / الجوهري: ١٠٤. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٧. والطرائف / ابن طاووس: ٢٤٨.

٣) فتوح البلدان / البلاذري: ٤٦. ومعجم البلدان / ياقوت ـ فدك ـ ٤: ٢٧٢. والشافي / المرتضىٰ ٤: ١٠٢.

منها قهراً[١]، اندفعت مَن يغضب الله لغضبها ويرضىٰ لرضاها، للمطالبة بحقها، وقد ذكر كثير من المؤرخين أنّ فاطمة عليها السلام صرّحت بوجه أبي بكر بأنّ فدكَ ملك لها، فردّ أبو بكر قولها، وطلب منها البينة!!، فأتت بأمير المؤمنين علي عليه السلام وأُمّ أيمن فشهدا لها، واعتبر شهادتهما غير كافية فقال: قد علمت أنّه لا يجوز إلّا شهادة رجلين أو رجل وامرأتين[٢].

وعن هشام بن محمد الكلبي، عن أبيه، أنّ أبا بكر قال لفاطمة عليها السلام: إنّ هذا المال لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنّما كان مالاً من أموال المسلمين، يحمل به الرجال، وينفقه في سبيل الله[٣]، فأنكر كون فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما قدمناه.

وروي من عدّة طرق أنّ أبا بكر أذعن أولاً لحقّ الزهراء عليها السلام في فدك بعد سماعه الشهود، وقال لفاطمة عليها السلام: ما كنت لتقولين علىٰ أبيك إلّا الحقّ، فكتب لها فيها، فخرجت فلقيت عمر، فأخذ الكتاب وجاء إلىٰ أبي بكر فقال: أعطيت فاطمة فدك وكتبت لها؟! قال: نعم. قال عمر: علي يجرُّ إلىٰ نفسه، وأُمّ أيمن امرأة، فمزّق عمر الكتاب بعد أن بصق فيه ومحاه. فدعت

---

١) راجع: الكافي / الكليني ١: ٥٤٣ / ٥. وعلل الشرائع / الصدوق: ١٩١ / ١ ـ باب (١٥١). والاختصاص: ١٨٣.

٢) راجع: السيرة الحلبية ٣: ٣٦٢. ومعجم البلدان / ياقوت ـ فدك ـ ٤: ٢٧٢. والصواعق المحرقة / الهيتمي: ٣٧ ـ الشبهة السابعة. وسنن النسائي ٢: ١٧٩. وفتوح البلدان / البلاذري: ٤٤. وفاء الوفا / السمهودي ٣: ٩٩٩. والملل والنحل / الشهرستاني ١: ١٧ ـ المقدمة الرابعة. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٢٠. وكشف الغمة ١: ٤٧٨.

٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٤ و ٢٢٥.

فاطمة عليها السلام وقالت: **«بقر الله بطنك كما بقرت صحيفتي»**[١].

وفي رواية سبط ابن الجوزي: أن عمر قال لأبي بكر: ممّاذا تنفق علىٰ المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترىٰ[٢]؟

ولا تعارض بين هذه الرواية وبين ما تقدم من أنّ أبا بكر منع الزهراء عليها السلام وطلب منها إكمال البيّنة، ذلك لأنّه كتب لفاطمة عليها السلام بفدك وعمر غير حاضر، فلمّا حضر عمر وطعن بالشهود، طالبها أبو بكر بالشاهد الآخر.

كما أنّ هذه الرواية لا تعارض خبر أبي بكر في أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يورث، لأنّه كتب لفاطمة عليها السلام بفدك عندما طالبت بالنحلة لا بالميراث، فلمّا طالبت بالميراث روىٰ الخبر القاضي بمنع الميراث علىٰ ما سيأتي بيانه.

ولم يكتفِ عمر بالطعن في شهادة أمير المؤمنين عليه السلام وأُمّ أيمن في ردّه لدعوىٰ الزهراء عليها السلام، بل إنّه زعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقسمها، فقد روىٰ الثقفي باسناده عن ابن عائشة، قال: حدثني أبي، عن عمّه، قال: قالت فاطمة عليها السلام لأبي بكر: إنّ فدك وهبها لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: فمن يشهد بذلك؟ فجاء علي بن أبي طالب عليه السلام فشهد، وجاءت أُمّ أيمن فشهدت أيضاً، فجاء عمر بن الخطاب وعبدالرحمن بن عوف، فشهدا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقسمها.

---

١) راجع: شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٣٤ و ٢٧٤. وتفسير القمي ٢: ١٥٥ و ٣٢٦. وتفسير العياشي ٢: ٢٨٧ / ٤٩. والكافي / الكليني ١: ٥٤٣ / ٥. والشافي / المرتضىٰ ٤: ٩٧. وتلخيص الشافي ٣: ١٢٤ ـ ١٢٥. والاحتجاج / الطبرسي: ٩١. والاختصاص / المفيد: ١٨٥. وأعلام النساء / كحالة ٤: ١١٨. والتتمة في تواريخ الأئمة عليهم السلام / تاج الدين العاملي: ٤٣.

٢) السيرة الحلبية ٣: ٣٦٢، المكتبة الإسلامية ـ بيروت.

فقال أبو بكر: صدقت يا بنة رسول الله، وصدق علي، وصدقت أمّ أيمن، وصدق عمر، وصدق عبدالرحمن بن عوف! وذلك أنّ مالك لأبيك، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ من فدك قوتكم، ويقسم الباقي، ويحمل منه في سبيل الله، فما تصنعين بها؟ قالت: **«أصنع بها كما يصنع بها أبي»**. قال: فلك عليَّ أن أصنع فيها كما يصنع فيها أبوك. قالت: **«الله لتفعلنّ؟»**. قال: الله لأفعلنّ. قالت: **«اللهمَّ اشهد»** [1].

وهكذا صدّق جميع الشهود مع تباين الشهادتين، وهو شيء عجيب!!، في محاولة لاتخلو من المناورة السياسية، ورجّح جانب عمر بن الخطاب، ذلك لأنّه لم يفِ للزهراء عليها السلام بشيءٍ ممّا قاله، ولو كان فعل لما سخطت عليه حتىٰ أنّها أوصت أن لا يحضر جنازتها ولا يصلي عليها، وقد ارتحلت عليها السلام إلىٰ جوار ربّها العزيز وهي غاضبة عليه وعلىٰ صاحبه.

نحلة الزهراء عليها السلام في الميزان:

هناك عدة شواهد تدلُّ علىٰ مظلومية الزهراء عليها السلام في هذه المسألة وجور الحاكم وتماديه في ظلمها واغتصاب حقها، وقد كان اللازم علىٰ سائر المسلمين أن يقفوا بوجه الظلم، ولا يدعو ابنة نبيّهم تضطر للخروج أمام الصحابة للمطالبة بحقّها، مما جرّ هذا الاغتصاب وظلم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلىٰ متابعة هضم حقوقهم من لدن السياسات المتعاقبة في الإسلام.

وسوف نقتصر علىٰ جملة من الشواهد الدالة علىٰ مظلومية الزهراء عليها السلام في شأن فدك:

---

١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٦.

١ ـ بالرغم من أن فَدَكَ كانت في حيازة الزهراء عليها السلام وهي صاحبة اليد عليها، فقد استولت السلطة عليها وأخرجت وكيلها وعمّالها منها ظلماً[١].

٢ ـ لقد شهد الله تعالىٰ للزهراء عليها السلام بإذهاب الرجس عنها، والطهارة من الدنس، وقامت الدلالة علىٰ أنّها كانت صدّيقة ومعصومة من الغلط، ومأموناً منها فعل القبيح، ومن كانت هذه صفته لا يحتاج إلىٰ بيّنة فيما يدعيه.

هذا مع أنّ أبا بكر كان يعلم أنّ لسانها يتجافىٰ عن قول الباطل، فقد شهد لها بالصدق[٢]، وأنّها لا تقول علىٰ أبيها صلى الله عليه وآله وسلم إلّا الحقّ[٣] والمسلمون جميعاً يشهدون بذلك، لكن أبا بكر بقي مصرّاً علىٰ مطالبة الزهراء عليها السلام بالشهود حتىٰ بعد أن احتجّ عليه أمير المؤمنين عليه السلام بمحضر المهاجرين والأنصار وأكّد له أنّ الله تعالىٰ شهد لفاطمة عليها السلام بالطهارة، وأن ردّ شهادتها ردّ علىٰ الله[٤]، ولا يخلو ذلك من العنت والعدول عن جادة الصواب.

٣ ـ لقد ثبت أنّ أبا بكر كان قد أعطىٰ بعض الصحابة بمجرد الدعوىٰ بالدَّين أو العِدَة، دون أن يطلب منهم البيّنة، ومن ذلك ما رواه البخاري في كتاب الشهادات، بالإسناد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه، قال: لمّا مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاء أبا بكر مالٌ من قبل العلاء بن الحضرمي، فقال أبو بكر: من كان له علىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم دَين، أو كانت له قبله عِدَةٌ فليأتنا.

---

١) راجع: الكافي / الكليني ١: ٥٤٣ / ٥. وعلل الشرائع: ١٩١ / ١ ـ باب (١٥١). والاختصاص: ١٨٣.

٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٦.

٣)) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٧٤. وتلخيص الشافي ٣: ١٢٤.

٤) علل الشرائع: ١٩١ / ١ ـ باب (١٥١). وتفسير القمي ٣: ١٥٦. وكتاب سُليم: ١٠٠. والاحتجاج / الطبرسي: ٩٢.

قال جابر: فقلت: وعدني رسول الله صلى الله عليه وآله أن يعطيني هكذا وهكذا وهكذا، فبسط يديه ثلاث مرات. قال جابر: فعدّ في يدي خمسمائة، ثمّ خمسمائة، ثمّ خمسمائة [١].

وروىٰ ابن سعد في (الطبقات) عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت منادي أبي بكر ينادي بالمدينة حين قدم عليه مال البحرين: من كانت له عِدة عند رسول الله صلى الله عليه وآله فليأتِ، فيأتيه رجال فيعطيهم، فجاء أبو بشير المازني، فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا أبا بشير، إذا جاءنا شيءٌ فأتنا، فأعطاه أبو بكر حفنتين أو ثلاثاً، فوجدها ألفاً وأربعمائة درهم [٢].

فلماذا إذن يطلب البينة من ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله سيدة نساء أهل الجنة، بل ويردّ دعواها مع قيام البيّنة علىٰ أنّ أباها صلى الله عليه وآله قد أعطاها فدك خلال حياته، وليس هي من قبيل العِدَة التي لا يلزم أداؤها؟ ولماذا يصدّق جابر بن عبدالله وأبا بشير المازني في دعواهما دون أن يقدّما شاهداً واحداً يثبت صحة مدّعاهما؟ وهل إنّ جابراً وأبا بشير أتقىٰ وأبرّ وأصدق في دعواهما من الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام أم هي السياسة التي تجعل الحقّ باطلاً والباطل حقاً.

٤ ـ لو سلّمنا أنّ الزهراء عليها السلام تحتاج كسائر المؤمنات الصالحات إلىٰ بينة في إثبات دعواها، فقد شهد لها أمير المؤمنين عليه السلام وحسبها أخو النبي صلى الله عليه وآله ووصيّه وصدّيق الأُمّة الأكبر [٣] وصالح المؤمنين [٤] ومن قال فيه رسول

---

١) صحيح البخاري ٤: ١٤ / ٤٦ ـ باب من أقام البينة بعد اليمين. وسنن البيهقي ٦: ٣٠٢.

٢) الطبقات الكبرىٰ ٢: ٣١٨. وكنز العمال ٥: ٦٢٦ / ١٤١٠٢.

٣) راجع: سنن ابن ماجة ١: ٤٤. والاستيعاب ٤: ١٧٠. وأُسد الغابة ٥: ٢٨٧. وفضائل الصحابة /

الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«عليٌّ مع الحقّ والحقُّ مع علي، يدور معه حيثما دار»**[(٥)].

فكيف تردّ شهادته مع قيام البينة علىٰ عصمته عن الذنب وطهارته من الرجس؟

وشهدت لها مع أمير المؤمنين عليه السلام أُمّ أيمن، وهي حاضنة رسول الله ومولاته، وقد شهد لها بالجنة[(٦)]، وقال فيها: **«أُمّ أيمن أُمّي بعد أُمّي»**[(٧)] وردّ شهادتها أيضاً، فإذا كان مثل هؤلاء يجوز ردّ شهادتهم فعلىٰ الإسلام السلام.

٥ ـ لو سلّمنا أنّ شهادة علي عليه السلام كشهادة رجلٍ واحدٍ من عدول المؤمنين، وأنّ أبا بكر وجد نقصاً في البينة، فلم يتيقّن له الحقّ، فهلا استحلف فاطمة عليها السلام ليكمل النصاب باليمين مع الشاهد، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مثل هذه المسائل[(٨)]، بدلاً من أن يردّ دعواها ملغياً شهادة علي عليه السلام وأمُ أيمن.

وخلاصة القول: لقد أُخذت فدك من أهل البيت قسراً وعنوة وظلماً وجوراً، ودليل ذلك فضلاً عما قدمناه، ما جاء في شرح كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ عثمان بن حنيف الذي ذكرناه آنفاً، قال عليه السلام: **«فشحّت عليها نفوس قومٍ، وسخت عنها نفوس آخرين»**.

قال ابن أبي الحديد في شرحه: فشحّت، أي بخلت، وسخت: أي

← ابن حنبل ٢: ٥٨٦ / ٩٩٣. والرياض النضرة ٣: ١٠٦ و ١١٠. وخصائص النسائي: ٦ / ٦٣.

٤) راجع: الدر المنثور / السيوطي ٨: ٢٢٤. وتفسير القرطبي ١٨: ١٨٩.

٥) سنن الترمذي ٥: ٦٣٣ / ٣٧١٤. ومستدرك الحاكم ٣: ١٢٤. وتاريخ بغداد ١٤: ٣٢١.

٦) كنز العمال ١٢: ١٤٦ / ٣٤٤١٦.

٧) كنز العمال ١٢: ١٤٦ / ٣٤٤١٧.

٨) راجع: مجمع الزوائد ٤: ٢٠٢. وكنز العمال ٥: ح١٤٤٩٨، و ٧: ح١٧٧٥٣.

سامحت وأغضت، وليس يعني هاهنا بالسخاء إلّا هذا، لا السخاء الحقيقي، لأنّه عليه السلام وأهله لم يسمحوا بفدك إلّا غصباً وقسراً، ثم قال عليه السلام: **«ونعم الحكم الله»** الحكم: الحاكم، وهذا الكلام كلام شاكٍ متظلّم [١].

ويدلّ علىٰ ذلك أيضاً كلامه عليه السلام وهو ينفض غبار قبرها عليها السلام كالمناجي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«وستنبئك ابنتك بتضافر أُمّتك علىٰ هضمها، فأحفها السؤال، واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد، ولم يخلُ منك الذكر»** [٢].

ولو كان أبو بكر قد استولىٰ علىٰ فدك عن حسن نية أو علىٰ اشتباه عرض له، لكانت فاطمة عليها السلام قد أقنعته بالحجة والدليل، ولما غضبت عليه وقاطعته حتىٰ لقيت ربها، وأوصت أن لا يحضر جنازتها ولا يصلي عليها، وفي هذا دليل واضح علىٰ اعتقاد بضعة المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم واعتقاد عليّ المرتضىٰ عليه السلام بأنّهم لم يشتبهوا بفدك قطّ، وإنّما سوّلت لهم أنفسهم أمراً، والله المستعان علىٰ ما يصفون.

أخيراً إنّ فاطمة عليها السلام لو أتت بقسامة من الشهود لردّ دعواها وعارضها بعشرات الشهود، كما عارض شهادة علي عليه السلام وأُمّ أيمن بشهادة عمر وعبدالرحمن بن عوف، وعارض دعواها بالارث بحديث (لا نورث) وأشهد عليه عمر بن الخطاب وأوس بن الحدثان وعائشة وحفصة [٣]، ذلك لأنّ السلطة كانت مصرّة علىٰ انتزاع كامل حقوق عترة المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم

---

١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٠٨.

٢) نهج البلاغة / صبحي الصالح ـ الخطبة (٢٠٢). والكافي / الكليني ١: ٤٥٩. وشرح ابن أبي الحديد ١٠: ٢٦٥.

٣) قرب الاسناد / الحميري: ٩٩٠ / ٣٣٥. وتفسير القمي ٢: ١٥٦. والاختصاص / المفيد: ١٨٣. وبحار الأنوار ٢٩: ١٥٦ / ٣١.

لأهداف تبتغيها سنأتي علىٰ بيانها لاحقاً.

أخرج الهيثمي عن الطبراني في (الأوسط)، عن عمر بن الخطاب، قال: لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جئت أنا وأبو بكر إلىٰ علي عليه السلام فقلنا: ما تقول فيما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: **«نحن أحقّ الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»**. قال: فقلت: والذي بخيبر؟ قال: **«والذي بخيبر»**. قلت: والذي بفدك؟ قال: **«والذي بفدك»**. فقلت: أما والله حتىٰ تحزّوا رقابنا بالمناشير فلا[1].

وهذا في الواقع من جملة الأسباب التي أدّت بالحزب السياسي القرشي إلىٰ تخوّفه من وصول الوصيّ إلىٰ الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فحاولوا إبعاده وإضعافه بكلٍّ وسيلة ومنها فدك.

ثانياً: حرمان الزهراء عليها السلام من الإرث:

لما دفعت الزهراء عليها السلام عن نيل حقّها في أرضها بفدك، طالبت بها عن طريق الإرث، فكان ميراث النبي صلى الله عليه وآله وسلم من موارد النزاع بينها وبين أبي بكر، فقد ذكرت كتب التاريخ والسيرة أنّ فاطمة عليها السلام أتت أبا بكر تطالبه بحقها من ميراث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فاعتذر إليها زاعماً بأنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» وأبىٰ أن يدفع لها شيئاً.

روىٰ البخاري ومسلم وغيرهما بالاسناد عن عروة بن الزبير، عن عائشة، أنها أخبرته: أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرسلت إلىٰ أبي بكر، تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك، وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **«لا نورث ما تركنا**

---

١) مجمع الزوائد ٩: ٣٩.

صدقة، **إنّما يأكل آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم في هذا المال**». وإنّي والله لا أُغيِّرُ شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن حالها التي كانت عليها، في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولأعملنَّ فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فأبىٰ أبو بكر أن يدفع إلىٰ فاطمة شيئاً. فوجدت فاطمة علىٰ أبي بكر في ذلك.

قال: فهجرته فلم تكلمه حتىٰ توفيت، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ستة أشهر، فلمّا توفيت دفنها زوجها عليٌّ بن أبي طالب ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّىٰ عليها علي [١].

فسمّىٰ تركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم صدقةً، وإذا كانت فدك وخيبر وفيء المدينة صدقة منذ زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فليس ثمة محلّ لروايته أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يورث، إذ لا ميراث حتىٰ يحتاج إلىٰ رواية مثل هذا الخبر.

أما قوله: (لأعملنّ فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) فيريد به أنه سيجعلها لشؤونه الشخصيّة وحوائجه الخاصة، يدلّ علىٰ ذلك حديث عائشة المروي في الصحاح، قالت: أمّا صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة، فدفعها عمر إلىٰ علي والعباس، وأمّا خيبر وفدك، فأمسكهما عمر وقال: هما صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانتا لحقوقه التي تعروه ونوائبه، وأمرهما إلىٰ من ولي الأمر بعده، فهما علىٰ ذلك إلىٰ اليوم» [٢].

---

١) صحيح البخاري ٥: ٢٨٨ / ٢٥٦ ـ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر. وصحيح مسلم ٣: ١٣٨٠ / ١٧٥٩ ـ كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا نورث». وسنن أبي داود ٣: ١٤٢ / ٢٩٦٨ ـ باب صفايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٢) صحيح البخاري ٦: ١٧٨ / ٢ ـ كتاب الخمس. وصحيح مسلم ٣: ١٣٨٢ / ٥٤ ـ كتاب الجهاد والسير. وسنن أبي داود ٣: ١٤٣ / ٢٩٧٠ ـ باب في صفايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأموال. وسنن البيهقي ٦: ٣٠١. ومسند أحمد ١: ٦.

ويدلّ عليه ما رواه أبو داود عن أبي الطفيل، قال: جاءت فاطمةعليها السلام إلىٰ أبي بكر تطلب ميراثها من النبيصلى الله عليه وآله وسلم فقال أبو بكر: سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنّ الله عزَّ وجلَّ إذا أطعم نبياً طعمة ثم قبضه، فهي للـذي يـقوم مـن بعده[1].

وفي حديث أُمّ هانيء: أنّ أبـا بكـر قـال لفـاطمةعليها السلام: سـمعت رسـول اللهصلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنّما هي طعمة أطـعمنيها الله حـياتي، فـإذا متُّ فـهي بـين المسلمين[2].

بقي أنّ حديث البخاري المتقدم يذكر أنّ الزهراءعليها السلام قـد ودّعت الدنـيا وهي ساخطة علىٰ أبي بكر، ومعلوم أنّ فعل الزهراءعليها السلام وقولها لا يـتجافىٰ عن الحقّ، لأنّ الله تعالىٰ يغضب لغـضبها ويـرضىٰ لرضـاها، ولم تـغضب فاطمةعليها السلام علىٰ أبي بكر بمجرد سماعها حديثه، بل سخطت عليه بعد نزاع واحتجاج طويلين[3]، حيث عـارضت حـديثه بـالآيات العـامة المشـرّعة للتوارث بين المسلمين بما فيهم النبيصلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ ذكرت الآيات الدالة علىٰ توريث الأنبياء، كعيسىٰ وداود وزكـرياعليهم السلام، وسـيأتي ذلك فـي المـبحث الثاني عند ذكر خطبتهاعليها السلام.

---

١) سنن أبي داود ٣: ١٤٤ / ٢٩٧٣ ـ باب في صـفايا رسـول اللهصلى الله عليه وآله وسلم مـن الأمـوال. والريـاض النضرة / المحب الطبري ١: ١٩١. وسنن البيهقي ٦: ٣٠٣. ومسند فاطمةعليها السلام / السيوطي: ١٥. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٩.

٢) فتوح البلدان / البلاذري: ٤٥. ومسند فاطمةعليها السلام / السيوطي: ١٣. ونحوه في شـرح ابـن أبـي الحديد ١٦: ٢٣٢. والسقيفة وفدك / الجوهري: ١١٧ عن مولىٰ أُمّ هانيء.

٣) راجع طرفاً من احتجاجاتها ومطالبتهاعليها السلام بالارث في كشف الغمة / الأربـلي ١: ٤٧٨. وشـرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٩. وفتوح البلدان / البلاذري: ٤٤.

حجيّة حديث لا نورث:

الملاحظ أنّ حديث عدم توريث الأنبياء الذي زعمه أبو بكر لا حجيّة له وأنّه مردود من عدة وجوه:

الأول: الحديث مخالف لصريح القرآن الكريم، الذي نصّ علىٰ توريث الأنبياء عليهم السلام لعموم قوله تعالىٰ: ﴿**للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قلَّ منه أو كثر نصيباً مفروضاً**﴾[١] وغيرها من آيات المواريث المطلقة[٢] التي تشمل رسول الله صلى الله عليه وآله فمن دونه من سائر البشر.

ونصّ القرآن الكريم علىٰ خصوص توريث الأنبياء بقوله تعالىٰ حكاية عن زكريا عليه السلام: ﴿**فهب لي من لدنك ولياً * يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربّ رضيّاً**﴾[٣] ولا ريب أنّ الميراث في الاستخدام اللغوي يطلق علىٰ ما يصحّ أن ينتقل من الموروث إلىٰ الوارث علىٰ الحقيقة كالأموال وما يجري مجراها، ولا يستعمل في غيرها إلّا مجازاً وتوسعاً، وليس لنا أن نعدل عن ظاهر الكلام بغير قرينة قطعية ودلالة واضحة.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿**وورث سليمان داود**﴾[٤] وهي ظاهرة في الدلالة علىٰ المراد، إذ إنّ اطلاق لفظ الميراث يقتضي أن يراد منه الأموال ومافي معناها.

---

١) سورة النساء: ٤ / ٧.

٢) راجع: سورة النساء: ٤ / ١١. وسورة الأنفال: ٧ / ٧٥.

٣) سورة مريم: ١٩ / ٥ ـ ٦.

٤) سورة النمل: ٢٧ / ١٦.

وسيأتي في خطبة الزهراء عليها السلام أنّها احتجت علىٰ أبي بكر بـهذه الآيـات التي لا تردّ ولا تكابر، وكذلك احتجّ بها أمير المؤمنين عليه السلام لكن أبا بكر أبىٰ إلّا اللجاج والعناد والمكابرة وعدم الانصات لصوت الحقّ والعدل.

أخرج السيوطي عن ابن سعد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **«جاءت فاطمة عليها السلام إلىٰ أبي بكر تطلب ميراثها وجاء العباس بن عبدالمطلب يطلب ميراثه، وجاء معهما علي عليه السلام، فقال أبو بكر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا نورث ما تركنا صدقة» وما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعول فعليّ. فقال علي عليه السلام: ﴿وورث سليمان داود﴾**[1] **وقال زكريا: ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾**[2] **فقال أبو بكر: هو هكذا، وأنت والله تعلم مثل ما أعلم. فقال علي عليه السلام: «هذا كتاب الله ينطق!» فسكتوا وانصرفوا»** [3].

الثاني: أنّه علىٰ تقدير صحته وعدم اختلاقه، فهو من أخبار الآحاد، فلا يجوز الأخذ بعموم ظاهره لمخالفته للكتاب الكريم، وحاشا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول بما يخالف كلام الله عزَّ وجلّ.

هذا زيادة علىٰ رفض باب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيدة نساء العالمين عليها السلام لما زعمه أبو بكر، ولو كان صادقاً بزعمه، لكانا عليهما السلام أولىٰ الخلق بحقيقة ذلك الحديث، مما يكشف عن اختلاقه ووضعه.

ولكن أنصاره حاولوا الكذب علىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنسبوه إلىٰ آخرين أيضاً، مع أنّ الثابت هو اختصاص أبي بكر به وتفرّده بنقله.

---

١) سورة النمل: ٢٧ / ١٦.

٢) سورة مريم: ١٩ / ٦.

٣) مسند فاطمة عليها السلام / السيوطي: ١٧.

قالت عائشة: إنّ الناس اختلفوا في ميراث رسول الله، فما وجدوا عند أحدٍ من ذلك علماً، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنّا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة (١).

قال ابن أبي الحديد: إنّ أكثر الروايات أنّه لم يروِ هذا الخبر إلّا أبو بكر وحده، ذكر ذلك معظم المحدثين، حتىٰ إنّ الفقهاء في اصول الفقه أطبقوا علىٰ ذلك في احتجاجهم في الخبر برواية الصحابي الواحد. وقال شيخنا أبو علي: لا تقبل في الرواية إلّا رواية اثنين كالشهادة (٢).

وقال السيد المرتضىٰ رحمه الله: إنّ الخبر علىٰ كلّ حال لا يخرج من أن يكون غير موجب للعلم، وهو في حكم أخبار الآحاد، وليس يجوز أن يرجع عن ظاهر القرآن بما يجري هذا المجرىٰ، لأنّ المعلوم لا يُخَصّ إلّا بمعلوم، وإذا كانت دلالة الظاهر معلومة لم يجز أن يرجع عنها بأمر مظنون (٣).

وقال الشيخ الطوسي رحمه الله: إنّ هذا الخبر خبر واحد، لم يروه إلّا أبو بكر، وخبر الواحد لا يجوز قبوله عندنا في موضع من المواضع، ولو قبلناه لما قبلناه في تخصيص القرآن وترك عمومه (٤).

ولا ندري كيف تُقبل رواية الخصم متفرداً بحديث يناقض كتاب الله ويعارض النقل، ولا تقبل شهادة فاطمة عليها السلام التي توافق الكتاب الكريم ولا تعارض النقل، وهي الصديقة المطهّرة من الرجس ؟! إلّا أن يكون الخصم هو الحاكم، وللحاكم أن يحكم بما يشاء، والحقّ معه علىٰ أيّ حال.

الثالث: والذي يدلّ علىٰ ما تقدّم في الوجه الثاني أيضاً، وهو يفضي إلىٰ

---

١) الصواعق المحرقة: ٣٤، كنز العمال ٧: ٢٢٦ و٢٣٥ و٢٣٦ و٢٣٧، ١١: ٤٧٥ و٤٧٩، ١٢: ٤٨٨، منتخب كنز العمال ٤: ٣٦٤.

٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٢٧.

٣) الشافي / المرتضىٰ ٤: ٦٦.

٤) تلخيص الشافي ٣: ١٣٧ ـ ١٣٨.

نتيجة واحدة هي بطلان الحديث، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام والعباس عمّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأُمّهات المؤمنين لم يسمعوا بهذا الحديث، حيث طالبوا بالارث حتىٰ بعد وفاة أبي بكر ووفاة الزهراء عليها السلام.

فقد روي أنّ العباس رضي الله عنه وعليّاً عليه السلام جاءا عمر بن الخطاب يطلبان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [1]، وأنّ أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرسلن عثمان بن عفان إلىٰ أبي بكر يسألن ميراثهن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وردّتهن عائشة [2].

وعن الإمام الباقر عليه السلام، قال: **«جاءت عائشة إلىٰ عثمان فقالت: أعطني ميراثي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقال لها: أولم تجيئي ومالك بن أوس النصري، فشهدتما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يورث، حتىٰ منعتما فاطمة ميراثها، وأبطلتما حقّها، فكيف تطلبين اليوم ميراثاً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟!**

فتركته وأنصرفت، وكان عثمان إذا خرج إلىٰ الصلاة، أخذت عائشة قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ قالت: إنّ عثمان قد خالف صاحب هذا القميص وترك سنّته» [3].

فهل يصح مع ذلك ماروي من أن عمر بن الخطاب ناشد عليّاً عليه السلام والعباس رضي الله عنه: هل تعلمان ذلك ؟ ـ أي حديث منع الارث ـ فقالا: قد قال

---

١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٢٩.

٢) صحيح البخاري ٧: ٢٦٨ / ٧ كتاب الفرائض ـ باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا نورث». وسنن أبي داود ٣: ٤٥ / ٢٩٧٦ ـ كتاب الخراج والامارة والفيء. وسنن البيهقي ٦: ٣٠١. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٢٣.

٣) الأمالي / المفيد: ١٢٥ / ٣. وكشف الغمة ١: ٤٧٩.

ذلك [١] فإذا كانا يعلمانه، فكيف جاء العباس وفاطمة عليها السلام إلىٰ أبي بكر يطلبان الميراث [٢]؟ وكيف جاء علي عليه السلام والعباس إلىٰ عمر بن الخطاب يطلبان الميراث؟

فهل يصح أن يقال: إنّهما كانا يعلمان الحديث، ثمّ جاءا يطلبان الارث الذي لا يستحقانه؟ أو أن عليّاً عليه السلام كان يعلم ذلك ثمّ يمكّن فاطمة عليها السلام أن تخالف قول الرسول صلى الله عليه وآله وتطلب مالا تستحقه، وأن تخرج من دارها وتنازع أبا بكر، وتكلمه بماكلمته دفاعاً عن حقها؟ مع ما لعلي عليه السلام من الزهد والعصمة والطهارة والذوبان في ذات الله والحبّ الشديد لاجراء أحكامه وسُنّة نبيه صلى الله عليه وآله، إنّ أهل البيت عليهم السلام أورع وأبرّ وأتقىٰ من أن يطلبوا دنيا فانية أو عرضاً زائلاً، خصوصاً وأن أمير المؤمنين قد ضرب أروع أمثلة الزهد في هذه الدنيا التي طلّقها ثلاثاً لا رجعة له فيها.

فهل يتصور عاقل بأنّه عليه السلام جاء ينازع المسلمين حقّهم وهو الذي عرف عنه تصلّبه في الحق إلىٰ الدرجات القصوىٰ حتىٰ أن الحق لم يترك له صديقاً !!

وفي حديث مسلم عن مالك بن أوس بن الحدثان: أنّ عمر قال للعباس وعلي عليه السلام حينما جاءا يطلبان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وآله: فرأيتماه ـ أي أبا بكر ـ كاذباً آثماً غادراً خائناً، ثمّ قال لمّا ذكر نفسه: فرأيتماني كاذباً آثماً

---

١) صحيح البخاري ٧: ٢٦٧ / ٥، كتاب الفرائض ـ باب قول النبي صلى الله عليه وآله: «لا نورث». وسنن البيهقي ٦: ٢٩٩. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٢٢.

٢) صحيح البخاري ٧: ٢٦٦ / ٣كتاب الفرائض ـ باب قول النبي صلى الله عليه وآله: «لا نورث». وسنن البيهقي ٦: ٣٠٠. ومسند أحمد ١: ١٠. وتاريخ الطبري ٣: ٢٠٨. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٤٦ و ١٦: ٢١٨. ومسند فاطمة عليها السلام / السيوطي: ١٧.

غادراً خائناً[١]. ورواه ابن أبي الحديد عن الجوهري بألفاظ أخرىٰ[٢].

فكيف يران هذا الرأي، ويحكمان هذا الحكم علىٰ أبي بكر وعمر في عملهما بأمر فدك وسائر إرث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهما يعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا نورث» ؟! وعليه فلا تستقيم مطالبة الزهراء عليها السلام وأمير المؤمنين عليه السلام بإرث النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلّا لعلمهما بكذب الخبر المانع للإرث.

الرابع: لو صحّ صدور الحديث لوجب علىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يبين لورثته أن تركته صدقة لكلّ المسلمين، وليس لهم حقّ المطالبة بالإرث بعده، لئلا يتعرضوا لمواضع التهمة في المطالبة بما لا يستحقونه، وليقطع دابر الفرقة والاختلاف.

وكيف يمكن أن نتصور أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشرّع حكماً يخالف نصوص القرآن الكريم ويخفيه عن جميع المسلمين حتىٰ عن ألصق الناس به من ورثته الذين يتعلق بهم الحكم، ولا يبلغه إلّا لأبي بكر وهو غير وارث ؟ بل كيف يمكن أن نتصور أنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام وباب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يجهل هذا الحكم، وهو أقضىٰ الأُمّة وأعلمها بالكتاب والسُنّة ؟!

فهل يمكن أن يقال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يعلم أن ورثته سيقسمون تركته من بعده وفقاً لأحكام الشريعة ؟ أو إنّه كان يعلم ذلك ولكن قصّر في تبليغ الأحكام والعياذ بالله ؟! وتلك علامات استفهام جوابها أنّ الحديث موضوع

---

١) صحيح مسلم ٣: ١٣٧٩ / ٤٩، ورواه البخاري في الصحيح ٧: ٢٦٧ / ٥ وأبو داود في السنن ٣: ١٣٩، والبيهقي في السنن ٦: ٢٩٩ بدون ذكر الألفاظ.

٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٢٢ و ٢٢٧ و ٢٢٩.

علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الخامس: ولو صحّ حديث أبي بكر، لكان عليه أن يحرم جميع الورثة من أموال الرسول الخاصة به، لكنّه ترك أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجرهن من غير بينة ولا شهادة تدلّ علىٰ الهبة أو التمليك، ولم يُدخِل بيوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأثاثها في الأموال العامة، فهل الحكم بعدم التوريث مختصاً بالزهراء عليها السلام؟ أم هناك آية خصّت عائشة وحفصة وغيرهما وأخرجت بنت المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم من الإرث؟ وليس ثمة آية إلّا السياسة التي تجعل الحقّ باطلاً والباطل حقاً.

ولقد أوصىٰ أبو بكر حينما حضرته الوفاة أن يُدفَن إلىٰ جنب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي حجرته، واستأذن لذلك من عائشة، فلو كانت أمواله صدقه، فإنّ حجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الأموال العامّة، وينبغي لأبي بكر أن يستأذن من جميع المسلمين في ذلك، فكأنه لم يصدق روايته.

وكان من استئثار عائشة ببيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير دفن أبي بكر وعمر في حجرته صلى الله عليه وآله وسلم، أنّها منعت الإمام الحسين عليه السلام أن يدفن أخاه الحسن عليه السلام إلىٰ جانب جدّه وركبت بغلة، وخرجت تنادي: لا تدفنوا في بيتي من لا أُحبّ، واصطفّ بنو هاشم وبنو أُميّة للحرب، ولكن الإمام الحسين عليه السلام قال لها: **«إنّه سيطوف بأخيه عليه السلام علىٰ قبر جده صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ يدفنه في البقيع، ذلك لأنّ الإمام الحسن عليه السلام أوصاه أن لا يهرق من أجله ولو محجمةً من دم»**.

فقال ابن عباس رضي الله عنه: واسوأتاه يوماً علىٰ بغل، ويوماً علىٰ جمل؟ وفي رواية: **يوماً تجمّلت، ويوماً تبغّلت، وإن عشت تفيّلت**.

فأخذه من الشعراء ابن الحجاج البغدادي مشيراً إلىٰ استئثار عائشة بكل

بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون باقي نسائه، فقال:

لكِ التسع من الثمن وبالكلِّ تملكتِ

تجمّلتِ تبغّلتِ وإن شئت تفيّلتِ[1]

وقال الصقر البصري:

ويوم الحسن الهادي علىٰ بغلك أسرعتِ

ومايست ومانعتِ وخاصمتِ وقاتلتِ

وفي بيت رسول الله بالظلم تحكّمتِ

هل الزوجة أولىٰ بالـ مواريث من البنتِ

لك التسع من الثمن فبالكلِّ تحكّمتِ

تجمّلتِ تبغّلتِ ولو عشت تفيّلتِ[2]

السادس: لو صحّ الحديث لانصرفت الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام عن مطالبتها راضية مخبتة، لكن المحقّق أنّ الزهراء عليها السلام غضبت علىٰ أبي بكر وعمر وهجرتهما بعد سماعها الحديث المفترىٰ علىٰ أبيها العظيم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وماتت وهي ساخطة عليهما[3]، وأوصت أن تدفن ليلاً، وأن

---

١) الخرائج والجرائح / القطب الراوندي ١: ٢٤٣.

٢) المناقب / ابن شهرآشوب ٤: ٤٥.

٣) صحيح البخاري ٥: ٢٨٨ / ٢٥٦ ـ كتاب المغازي. وصحيح مسلم ٣: ١٣٨٠ / ١٧٥٩ ـ كتاب الجهاد والسير. وسنن أبي داود ٣: ١٤٢ / ٢٩٦٨ ـ باب صفايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ومسند أحمد ١: ٦ و ٩. ومشكل الآثار / الطحاوي ١: ٤٨. وسنن البيهقي ٦: ٣٠٠ ـ ٣٠١. والبداية والنهاية ←

لا يحضرا جنازتها، ولا يصليا عليها، وأن يعفىٰ موضع قبرها، فدفنها علي عليه السلام ليلاً، وغيّب قبرها، ولم يعلم بها أحداً منهما[١].

وروي أن علياً عليه السلام سوّىٰ حول قبرها سبعة قبور مزوّرة، ورشّ أربعين قبراً كي لا يهتدوا إلىٰ قبرها[٢]. وذلك تعبير واضح كالشمس عن مظلوميتها عليها السلام وأنّها مدفوعة عن حقّها مسلوبة نحلتها ظلماً وعدواناً.

ومثل هذا لا تفعله الزهراء عليها السلام بمن هو مصيب في قوله وفعله لأنّها عليها السلام لا تغضب لغير الحقّ، وأن الله يغضب لغضبها ويرضىٰ لرضاها، فلا يصحّ أن يقال إنّ الزهراء عليها السلام غضبت لحكم صدع به من لا ينطق عن الهوىٰ أبوها المصطفىٰ صلى الله عليه وآله، فليس ثمّة أمرٌ أوجب موقفها ذلك ووصيتها إلّا اتهام الراوي للخبر، إذ لو كان مصيباً وصادقاً في دعواه، لزم أن يكون غضبها لغير الحقّ والعياذ بالله.

السابع: لو صحّ صدور الخبر لما ناقض عمر بن الخطاب عمل صاحبه، فقسم ميراث النبي صلى الله عليه وآله علىٰ أزواجه ودفع صدقته بالمدينة إلىٰ علي عليه السلام والعباس.

روىٰ البخاري في كتاب المزارعة عن نافع، قال: إنّ عبدالله بن عمر قال:

← ٥: ٢٤٩. وتاريخ الطبري ٣: ٢٠٢. وجامع الأُصول ٤: ٤٨٢. وتاريخ المدينة / ابن شبّة ١: ١١٠.

١) راجع: مستدرك الحاكم ٣: ١٦٢. والعمدة / ابن البطريق: ٣٩٠ ـ ٣٩١. وروضة الواعظين / الفتال: ١٥١. وعلل الشرائع / الصدوق: ١٨٥ و ١٨٨ و ١٨٩. وكشف الغمة / الاربلي ١: ٤٩٤. والكافي / الكليني ١: ٤٥٨. ومعاني الأخبار: ٣٥٦.

٢) المناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٦٣. والشافي / المرتضىٰ ٤: ١١٥. وتلخيص الشافي / الطوسي ٣: ١٣٠. ودلائل الإمامة / الطبري: ١٣٦.

قسّم عمر خيبر، فخيّر أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يُقطَع لهنّ من الماء والأرض، أو يُمضىٰ لهنّ، فمنهنّ من اختار الأرض، ومنهنّ من اختار الوسق، وكانت عائشة اختارت الأرض[١].

فهذه خيبر التي طالبت الزهراء عليها السلام بنصيبها منها كميراثٍ لها من أبيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وردّها أبو بكر، جاء عمر فقسّمها في أيام خلافته علىٰ أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ! فإذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يورث، فلماذا ترث الأزواج ولا ترث البنت ؟

وعن عائشة، قالت: أمّا صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة، فدفعها عمر إلىٰ علي والعباس[٢]، فلو صحّ أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يورث، وأنّ ما تركه صدقة للمسلمين، فكيف يدفع عمر ذلك إلىٰ علي عليه السلام والعباس ؟ ولماذا لم يدفع رجال السلطة هذه الأموال في حياة الزهراء عليها السلام، إنّها السياسة التي تطلبت أن يمنعوا حيث توجب المصالح تثبيت ركائز الدولة وتدعيم أركانها، وأن يعطوا في وقت الرخاء والاستقرار وبسطة الفتوح.

الثامن: رويت بعض الأخبار التي تعارض حديث منع الإرث، منها ما جاء في (السيرة الحلبية) عن سبط ابن الجوزي، قال: إنّ أبا بكر كتب لفاطمة عليها السلام بفدك، ودخل عليه عمر، فقال: ما هذا ؟ فقال: كتاب كتبته لفاطمة بميراثها من أبيها. فقال: ممّاذا تنفق علىٰ المسلمين وقد حاربتك

---

١) صحيح البخاري ٣: ٢١١ ـ باب المزارعة ـ بالشطر ونحوه.

٢) صحيح البخاري ٦: ١٧٨ / ٢ ـ كتاب الخمس. وصحيح مسلم ٣: ١٣٨٢ / ٥٤ ـ كتاب الجهاد والسير. وسنن أبي داود ٣: ١٤٣ / ٢٩٧٠ ـ باب في صفايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأموال. وسنن البيهقي ٦: ٣٠١. ومسند أحمد ١: ٦.

العرب كما ترىٰ؟ ثم أخذ عمر الكتاب فشقّه [١].

وواضح من الخبر أنّه كتب بفدك لفاطمة عليها السلام علىٰ أنها إرث من أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخالف رواية أبي بكر المانعة لتوريث الأنبياء.

ومنها ما رواه أبو الطفيل قال: أرسلت فاطمة عليها السلام إلىٰ أبي بكر: أنت ورثت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم أهله؟ قال: لا، بل أهله [٢]، إلىٰ آخر الحديث وسيأتي.

قال ابن أبي الحديد: في هذا الحديث عجب، لأنّها قالت له: أنت ورثت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم أهله؟ قال: بل أهله، وهذا تصريح بأنّه صلى الله عليه وآله وسلم موروث يرثه أهله، وهو خلاف قوله: (لا نورث) [٣].

التاسع: لو صحّ الخبر لما قال أمير المؤمنين عليه السلام متظلّماً: **«اللهمَّ إنّي استعديك علىٰ قريش، فإنّهم ظلموني حقّي، وغصبوني إرثي»** [٤].

ولما قالت الزهراء عليها السلام في قصيدتها المشهورة:

تجهّمتنا رجالٌ واستخفّ بنا   لمّا فُقِدت وكلُّ الإرث مغتصبُ [٥]

أخيراً فإنّ أرض فدك هي حقّ خالص لفاطمة عليها السلام لا يمكن المماراة فيه

---

١) السيرة الحلبية ٣: ٣٦٢.

٢) الرياض النضرة / المحب الطبري ١: ١٩١. وسنن البيهقي ٦: ٣٠٣. ومسند أحمد ١: ٤. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٩. ومسند فاطمة عليها السلام / السيوطي: ١٥ عن مسلم وأحمد وأبي داود وابن جرير.

٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٩.

٤) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٢٨٦.

٥) سيأتي تخريجها في المبحث الثاني من هذا الفصل.

سواء كان نحلة أو ميراثاً، وأن الخبر الذي تفرّد به أبو بكر قد جرّ علىٰ الأُمّة ولا يزال مزيداً من المحن والإحن، وفتح عليها باب العداء علىٰ مصراعيه، وأجّج البغضاء والشحناء، وشقّ عصا المسلمين إلىٰ اليوم.

ثالثاً: اسقاط سهم ذوي القربىٰ:

لقد نصّ الكتاب الكريم علىٰ سهم ذوي القربىٰ في قوله تعالىٰ: **﴿ واعلموا إنّما غنمتم من شيء فأنّ لله خُمُسه وللرسول ولذي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل﴾**[1] وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يختص بسهم من الخمس، ويخصّ أقاربه بسهم آخر منه، فلمّا ولي أبو بكر تأوّل الآية، فأسقط سهم النبي صلى الله عليه وآله وسهم ذوي القربىٰ، ومنع بني هاشم من الخمس، وجعلهم كسائر يتامىٰ المسلمين ومساكينهم وأبناء السبيل منهم[2].

عن سعيد بن المسيب، قال أخبرني جبير بن مطعم أنّه جاء هو وعثمان ابن عفان يكلمان رسول الله صلى الله عليه وآله فيما قسم من الخمس بين بني هاشم وبني المطلب، فقلت: يا رسول الله، قسمت لإخواننا بني المطلب، ولم تعطنا شيئاً، وقرابتنا وقرابتهم منك واحدة؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: **«إنّما بنو هاشمٍ وبنو المُطَّلب شيءٌ واحد»**.

قال جبير: ولم يقسم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل من ذلك الخمس، كما قسّم لبني هاشم وبني المطلب، قال: وكان أبو بكر يقسّم الخمس نحو

---

١) سورة الأنفال: ٨ / ٤١.

٢) راجع: الكشاف ٢: ٢٢١. وفتح القدير / الشوكاني ٢: ٣١٠ ـ ٣١٢. وتفسير القرطبي ٨: ٩ ـ ١٥. وتفسير الطبري ١٠: ٤ و ٥ و ٧.

قسم رسول الله صلى الله عليه وآله غير أنّه لم يكن يُعطي قربىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان النبي صلى الله عليه وآله يعطيهم، قال: وكان عمر بن الخطاب يعطيهم منه[١].

ولم يقبل بنو هاشم ما عرضه عمر عليهم لأنّه دون حقّهم، فقد رووا عن علي عليه السلام أنّه قال: **«إنّ عمر قال: لكم حقّ ولا يبلغ علمي إذا كثر أن يكون لكم كلّه، فان شئتم أعطيتكم منه بقدر ما أرىٰ لكم، فأبينا عليه إلّا كلّه، فأبىٰ أن يعطينا»**[٢].

وعن يزيد بن هرمز: أن نجدة الحروري حين حجَّ في فتنة ابن الزبير، أرسل إلىٰ ابن عباس يسأله عن سهم ذوي القربىٰ، ويقول: لمن تراه؟ قال ابن عباس: لقربىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله قسّمه لهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد كان عمر عرض علينا من ذلك عرضاً رأيناه دون حقّنا، فرددناه عليه، وأبينا أن نقبله[٣].

وقد نازعت الزهراء عليها السلام أبا بكر في سهم ذوي القربىٰ، كما نازعته في النحلة والإرث، لكنها لم تجد أُذناً صاغية منه، حيث تمادىٰ في إصراره علىٰ سلب هذا الحقّ الذي فرضه الله تعالىٰ في كتابه وعمل به رسوله صلى الله عليه وآله.

روىٰ الجوهري بالاسناد عن عروة بن الزبير، قال: أرادت فاطمة عليها السلام أبا

---

١) سنن أبي داود ٣: ٤٥ / ٢٩٧٨ ـ باب في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذي القربىٰ. ومسند أحمد ٤: ٨٣. ومجمع الزوائد / الهيثمي ٥: ٣٤١.

٢) سنن البيهقي ٦: ٣٤٤. ومسند الشافعي: ١٨٧.

٣) سنن أبي داود ٣: ١٤٥ / ٢٩٨٢ ـ باب في بيان مواضع قسم الخمس. ومسند أحمد ١: ٣٢٠ و ٣٢٤. وسنن البيهقي ٦: ٣٤٤ ـ ٣٤٥. وفتح القدير / الشوكاني ٢: ٣١٢.

بكر على فدك وسهم ذوي القربى، فأبى عليها، وجعلهما في مال الله [١].

وعن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: إنّ أبا بكر منع فاطمة عليها السلام وبني هاشم سهم ذوي القربى، وجعله في سبيل الله، في السلاح والكراع [٢].

وعن أنس بن مالك، قال: إنّ فاطمة عليها السلام أتت أبا بكر، فقالت: لقد علمت الذي ظلمتنا عنه أهل البيت من الصدقات، وما أفاء الله علينا من الغنائم في القرآن من سهم ذوي القربى! ثمّ قرأت عليه قوله تعالى: ﴿ **واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه** ﴾ الآية.

فقال لها أبو بكر: بأبي أنت وأُمّي ووالد ولدك! السمع والطاعة لكتاب الله ولحقّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحقّ قرابته، وأنا أقرأ من كتاب الله الذي تقرأين منه، ولم يبلغ علمي منه أنّ هذا السهم من الخمس يسلّم إليكم كاملاً.

قالت عليها السلام: « **أفلك هو ولأقربائك؟** » قال: لا، بل أُنفق عليكم منه، وأصرف الباقي في مصالح المسلمين. قالت عليها السلام: «**ليس هذا حكم الله تعالى**». قال: هذا حكم الله!! إلى أن قال: وهذا عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فاسأليهما عن ذلك، وانظري هو يوافقك على ما طلبت أحدٌ منهما، فانصرفت إلى عمر، فقالت له مثل ما قالت لأبي بكر، فقال لها مثل ما قال أبو بكر، فعجبت فاطمة عليها السلام من ذلك، وتظنّت أنهما كانا قد تذاكرا ذلك واجتمعا عليه [٣].

---

١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٣١.

٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٣١.

٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٣١.

أقول: ليس هو ظنّاً، وإنّما اليقين، إذ كيف يتّفق فعل أولئك علىٰ خلاف كتاب الله عزّ وجلّ، لو لم يكن ثمة اتفاق من قبل؟!

وعن أُمّ هانيء، قالت: دخلت فاطمة عليها السلام علىٰ أبي بكر بعدما استخلف، فسألته ميراثها من أبيها فمنعها، فقالت له: **«لئن متّ اليوم من يرثك؟»** قال: ولدي وأهلي. قالت: **«فلِمَ ورثت أنت رسول الله صلى الله عليه وآله دون ولده وأهله؟»** قال: فما فعلت يا بنت رسول الله؟ قالت عليها السلام: **«بلىٰ، إنّك عمدت إلىٰ فدك، وكانت صافية لرسول الله فأخذتها، وعمدت إلىٰ ما أنزل الله من السماء فرفعته عنّا»**[1].

وفي رواية أُخرىٰ عن أُمّ هانيء: قال أبو بكر لفاطمة عليها السلام: يا بنة رسول الله، ما ورث أبوك داراً ولا مالاً ولا ذهباً ولا فضة. قالت عليها السلام: **«بلىٰ سهم الله الذي جعله لنا، وصافيتنا التي بيدك؟»** فقال: انّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ النبي صلى الله عليه وآله يطعم أهله ما دام حيّاً، فإذا مات رفع ذلك عنهم. وفي لفظ آخر: سمعته يقول: إنّما هي طعمة أطعمنيها الله حياتي، فإذا متّ كانت بين المسلمين[2].

وعن أبي الطفيل، قال: قالت فاطمة عليها السلام لأبي بكر: **«أنت ورثت رسول الله صلى الله عليه وآله أم أهله؟** قال: لا، بل أهله. قالت: **فما بال الخمس؟»** فقال: إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إذا أطعم الله نبيّاً طعمة ثمّ قبضه، كانت للذي

---

١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٣٢. والسقيفة وفدك / الجوهري: ١١٦.

٢) فتوح البلدان / البلاذري: ٤٤ ـ ٤٥. والسقيفة وفدك. الجوهري: ١١٧. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٣٢. ومسند فاطمة عليها السلام السيوطي: ١٣.

يليه بعده، فلمّا وليت رأيت أن أردّه على المسلمين [١].

التكرم وشرع الإحسان:

لقد ثبت ممّا تقدّم أنّ الزهراءعليها السلام طالبت أبا بكر بالنحلة والإرث وسهم ذي القربىٰ، وأنه لم يعطها شيئاً مما طلبت، فلو فرضنا أن النبيصلى الله عليه وآله وسلم لا يورث، وأن جميع متروكاته بما فيها فدك وسهم ذي القربىٰ هي طعمة لولي الأمر بعده، وليتصرف بها حيثما يشاء، أو أنها من الأموال العامّة ومن حقّ الحاكم أن يتصرف بها وفقاً لمقتضيات المصلحة الإسلامية العامة.

إذن أليس من الحكمة والتدبير وشرع التكرم والاحسان أن يعطي فاطمةعليها السلام شيئاً مما طلبت ولا يردّها خائبة؟! وهي ابنة الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله وسلم التي لم يخلف بينهم غيرها، تطييباً لخاطرها، وحفظاً لرسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم فيها، وقد قالصلى الله عليه وآله وسلم: **«المرءُ يحفظ في ولده»**، وقطعاً لدابر الفرقة والاختلاف التي حكمت حياة المسلمين سنين متمادية.

ولو فعل ذلك لم يكن بدعاً منه، فقد أقطع رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم بعض أراضي بني النضير لأبي بكر وعبدالرحمن بن عوف وأبي دجانة [٢]، وأقطع أرضاً من أرض بني النضير ذات نخلٍ للزبير بن العوّام [٣].

---

١) سنن البيهقي ٦: ٣٠٣. والرياض النضرة / المحب الطبري ١: ١٩١. ومسند أحمد ١: ٤. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٩. ومسند فاطمةعليها السلام / السيوطي: ١٥ عن مسلم وأحمد وأبي داود وابن جرير.

٢) فتوح البلدان / البلاذري: ٣١.

٣) فتوح البلدان / البلاذري: ٣٤.

وتنبّه كثير من المحقّقين القدامىٰ والمحدثين لهذه المسألة، فقد نقل عن القاضي عبدالجبار المعتزلي أنّه قال: قد كان الأجمل أن يمنعهم التكرم مما ارتكبا منها، فضلاً عن الدين.

قال ابن أبي الحديد معلقاً: وهذا الكلام لا جواب عنه، ولقد كان التكرم ورعاية حقّ رسول الله صلى الله عليه وآله وحفظ عهده يقتضي أن تعوّض ابنته بشيء يرضيها، وإن لم يستنزل المسلمون عن فدك، وتسلّم إليها تطييباً لقلبها، وقد يسوغ للإمام أن يفعل ذلك من غير مشاورة المسلمين إذا رأىٰ المصلحة فيه (١).

وقال الأُستاذ محمود أبو رية: بقي أمر لابدّ أن نقول فيه كلمة صريحة، ذلك هو موقف أبي بكر من فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وما فعل معها في ميراث أبيها، لأنّا إذا سلّمنا بأن خبر الآحاد الظنّي يخصّص الكتاب القطعي، وأنه قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله قد قال: إنّه لا يورث، وأنه لا تخصيص في عموم هذا الخبر، فان أبا بكر كان يسعه أن يعطي فاطمة عليها السلام بعض تركة أبيها صلى الله عليه وآله، كأنّ يخصّها بفدك، وهذا من حقّه الذي لا يعارضه فيه أحد، إذ يجوز للخليفة أن يخصّ من يشاء بما يشاء، وقد خصّ هو نفسه الزبير بن العوّام ومحمد بن مسلمة وغيرهما ببعض متروكات النبي صلى الله عليه وآله، علىٰ أنّ فدك هذه التي منعها أبو بكر لم تلبث أن أقطعها الخليفة عثمان لمروان (٢).

إذن فالزهراء عليها السلام تستحق بمقتضىٰ التكرم والاحسان أن تأخذ شيئاً مما

---

١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٨٦.

٢) مجلة الرسالة المصرية، العدد (٥١٨) السنة (١١) الصفحة (٤٥٧)، ونحوه في شيخ المضيرة أبو هريرة: ١٦٩، الطبعة الثالثة. والنص والاجتهاد / شرف الدين: ٧٠.

ترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لكنّ أبا بكر منعها وسدّ جميع السبل المؤدية إلىٰ استحقاقها، حتىٰ ولو كان إحساناً وتكرماً، فلماذا إذن اتخذ هذا الموقف من بضعة المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم ؟

هذا السؤال الذي توقّف ابن أبي الحديد عن الإجابة عليه آنفاً، يحمل أكثر من إجابة تتضح في بيان أهداف السلطة من الاستيلاء علىٰ الإرث النبوي.

أهداف السلطة:

أقدمت السلطة علىٰ إلغاء امتياز البيت الهاشمي بالموروث النبوي، وذلك لتقوية مركزها السياسي، والاستعانة به في دعم الكيان السياسي للسلطة، ولذا قال عمر لأبي بكر لمّا كتب بفدك لفاطمة عليها السلام: ممّاذا تنفق علىٰ المسلمين وقد حاربتك العرب[١]؟ ولسلب القدرة الاقتصادية من أهل البيت عليهم السلام التي قد تمكّنهم من استعادة سلطانهم المسلوب، وذلك بقطع الشريان الاقتصادي الذي يغذّي الخلافة الشرعية للرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمعارضة المتوقعة من بيت الزهراء عليها السلام، والاطمئنان من أي حركة تستهدف الحكم.

ولو أغضينا عن تركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خيبر وبني النضير والمدينة وسهم ذي القربىٰ، فإنّ فدك وحدها كان دخلها أربعة وعشرين ألف دينار في كلّ سنة، في رواية الشيخ عبدالله بن حماد الأنصاري، وفي رواية غيره: سبعين ألف دينار[٢]، وإنّها كانت تغلّ في أيام عمر بن عبدالعزيز عشرة آلاف

---

١) السيرة الحلبية ٣: ٣٦٢.

٢) كشف المحجة / ابن طاووس: ١٨٢.

دينار[١]. وقيل: أربعون ألف دينار[٢].

ونقل ابن أبي الحديد عن علي بن تقي من بلدة النيل[٣] أنه قال: كانت فدك جليلة جداً، وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل، وما قصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة عليها السلام عنها إلّا ألّا يتقوىٰ علي بحاصلها وغلّتها علىٰ المنازعة في الخلافة، ولهذا أتبَعَا ذلك بمنع فاطمة عليها السلام وسائر بني هاشم وبني المطلب حقّهم في الخمس، فانّ الفقير الذي لا مال له تضعف همّته ويتصاغر عند نفسه، ويكون مشغولاً بالاحتراف والاكتساب عن طلب الملك والرياسة[٤].

وكانت السلطة تدرك البعد السياسي لمطالبة الزهراء عليها السلام بالحقوق المالية لأهل البيت عليهم السلام وعامة بني هاشم، وأنّها عليها السلام اتخذت من تلك المطالبة عنواناً لثورتها علىٰ السلطة التي لا تستمد بقاءها بغير منطق القوة والسطوة، والزهراء عليها السلام إنّما طالبت كي تبيّن الحق وتعرّي السلطة، وتلقي الحجة علىٰ الأُمّة التي انقلبت علىٰ تعاليم السماء، وتنكرت لنهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووصاياه.

ولهذا اجتمع رأي رجال السلطة علىٰ منع الزهراء عليها السلام من جميع حقوقها المترتبة لها بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حتىٰ ولو كان إحساناً أو تكرماً، وبقي أبو بكر لا يحير جواباً أمام منطق الزهراء عليها السلام القائم علىٰ الكتاب المبين وسُنّة

---

١) صبح الأعشىٰ ٤: ٢٩١.

٢) سنن أبي داود ٣: ١٤٤ / ٢٩٧٢ ـ باب في صفايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٣) بلدة تقع في سواد الكوفة قرب الحلّة.

٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

النبي الأمين صلى الله عليه وآله غير أن يقول لفاطمة عليها السلام : ما كان لك أن تسأليني ، وما كان لي أن أعطيك (١).

فلو تنازلت السلطة أمام مطالب الزهراء عليها السلام وأذعنت لحجّتها البالغة ودليلها الساطع ، كان ذلك بمثابة اعتراف لما بعد فدك من الموروث النبوي الذي منه الخلافة لأمير المؤمنين عليه السلام وعترة النبي المعصومين عليهم السلام ، وهذا ما صرّحت به الزهراء عليها السلام في خطبتها المشهورة، وإزاء هذا كان علىٰ السلطة أن تبيّن لعامة المسلمين أنّ فاطمة عليها السلام تدّعي ماليس لها بنحلة ، وتطالب ماليس لها بميراث ، وتريد لعلي عليه السلام الملك وليس له بحقّ !

قال ابن أبي الحديد : سألت علي بن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد ، فقلت له : أكانت فاطمة صادقة ؟ قال : نعم . قلت : فلِمَ لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة ؟ فتبسّم ثمّ قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمته وقلّة دعابته : لو أعطاها اليوم فدك بمجرد دعواها ، لجاءت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة ، وزحزحته عن مقامه ، ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشيءٍ ، لأنّه يكون قد سجّل علىٰ نفسه أنّها صادقة فيما تدّعي كائناً ما كان من غير حاجة إلىٰ بينة ولا شهود ، وهذا كلام صحيح ، وإن كان أخرجه مخرج الدعابة والهزل (٢).

ولهذا استباح أبو بكر ردّ دعوىٰ الزهراء عليها السلام في النحلة ، ورفض شهادة أمير المؤمنين عليه السلام لها ، وادّعىٰ حديث منع الإرث ، ومنع سهم ذي القربىٰ عن

---

١) فتوح البلدان / البلاذري : ٤٥ . ومعجم البلدان / ياقوت ـ فدك ـ ٤ : ٢٧٣ . والعقد الفريد / ابن عبد ربه ٦ : ١٧١ .

٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ٢٨٤ .

مستحقيه.

ومن هنا فقد اكتسبت نحلة الزهراء عليها السلام بعداً سياسياً ومعنىً رمزياً، وهو الخلافة المغتصبة، وتجاوزت كونها أرضاً وادعة في أطراف الحجاز قدّمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هدية لابنته الزهراء عليها السلام بأمرٍ إلهي، لتصبح غاية سياسية تستهدف استرداد حق مسلوبٍ، وفضح سلطان متجبر غاشم، وتنبيه أُمّة رجعت على أعقابها القهقهرىٰ، فوردت غير مشربها، وسقطت في الفتنة تاركة الكتاب والعترة النبوية وأضواء السُنّة المحمدية.

ويتضح المعنىٰ الرمزي لنحلة الزهراء عليها السلام في حديث الإمام الكاظم عليه السلام مع هارون الرشيد الذي نقله الزمخشري في (ربيع الأبرار) قال: كان الرشيد يقول لموسىٰ الكاظم بن جعفر عليه السلام: يا أبا الحسن، حدُّ فَدَكَ حتىٰ أردّها عليك، فيأبىٰ حتىٰ ألحّ عليه، فقال: «**لا آخذها إلّا بحدودها**، قال: وما حدودها؟ قال: **يا أمير المؤمنين، إن حددتها لم تردّها**. قال: بحقّ جدّك إلّا فعلت. قال: **أما الحدّ الأول: فعدن**، فتغير وجه الرشيد، وقال: هيه! قال: **والحدّ الثاني: سمرقند**، فاربدّ وجهه، قال: **والحدّ الثالث: أفريقية**، فاسودّ وجهه، وقال: هيه! قال: **والرابع سِيف البحر ممّا يلي الخزر وأرمينية**.

قال الرشيد: فلم يبقَ لنا شيء، فتحوّل في مجلسي. قال موسىٰ عليه السلام: **قد أعلمتك أنّي إن حددتها لم تردّها**»[1]. فهي إذن رمز لحقّ مغتصب وخلافة مسلوبة.

ويتضح الهدف السياسي جليّاً في اختلاف وجهة النظر السياسية فيها

---

١) ربيع الأبرار / الزمخشري ١: ٣١٦. والمناقب / ابن شهرآشوب ٤: ٣٢٠. وبحار الأنوار ٤٨: ١٤٤ / ٢٠.

علىٰ مسار التاريخ: **«فشحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين»** فتاريخها لا يستقيم علىٰ نحو واحد، وإنّما كان يجري علىٰ وفق أهواء السلطات السياسية، ومطامع الحكام الشخصية، ومواقفهم من أهل البيت عليهم السلام.

فقد أقطعها عثمان بن عفان لمروان بن الحكم[١]، ولا ندري ما وجه تخصيص مروان بفدك، فان كانت ميراثاً ففاطمة عليها السلام وأولادها أحقّ بها، وإن كانت فيئاً، فما وجه تخصيص مروان بها وهو طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن طريده ؟! هذا مع ما عرف عنه من مكرٍ وخداعٍ وانحرافٍ وعداءٍ لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم !!

وروىٰ الجوهري بالاسناد عن ابن عائشة، قال: حدثني أبي، عن عمّه، قال: لما ولي الأمر معاوية بن أبي سفيان أقطع مروان بن الحكم ثلث فدك، وأقطع عمرو بن عثمان بن عفان ثلثها، وأقطع يزيد بن معاوية، ثلثها، وذلك بعد موت الحسن بن علي عليه السلام، فلم يزالوا يتداولونها حتىٰ خلصت كلّها لمروان بن الحكم أيام خلافته، فوهبها لعبد العزيز ابنه، فوهبها عبدالعزيز لابنه عمر بن عبدالعزيز، فلمّا ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة، كانت أول ظلامة ردّها، دعا الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وقيل: بل دعا علي بن الحسين عليه السلام فردّها عليه.

وكانت بيد أولاد فاطمة عليها السلام مدّة ولاية عمر بن عبدالعزيز، فلمّا ولي يزيد بن عاتكة قبضها منهم. فصارت في أيدي بني مروان، كما كانت يتداولونها، حتىٰ انتقلت الخلافة عنهم، فلما ولي أبو العباس السفاح ردّها

---

١) السيرة الحلبية ٣: ٥٠، شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٦، العقد الفريد ٥: ٣٣. وتاريخ أبي الفداء ٢: ٧٩. والسنن الكبرىٰ / البيهقي ٦: ٣٠١.

علىٰ عبدالله بن الحسن بن الحسن، ثمّ قبضها أبو جعفر لما حدث من بني حسن ما حدث، ثمّ ردها المهدي ابنه علىٰ ولد فاطمة عليها السلام، ثمّ قبضها موسىٰ ابن المهدي وهارون أخوه، فلم تزل في أيديهم حتىٰ ولي المأمون، فردّها علىٰ الفاطميين، وأنشد دعبل الأبيات التي أولها:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا   بردّ مأمونِ هاشمٍ فَدَكا

فلم تزل في أيديهم حتىٰ كان في أيام المتوكل، فأقطعها عبدالله بن عمر البازيار، وكان فيها إحدىٰ عشرة نخلة غرسها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده، فكان بنو فاطمة عليها السلام يأخذون تمرها، فإذا قدم الحجاج أهدوا لهم من ذلك التمر فيصلونهم، فيصير إليهم من ذلك مال جزيل جليل، فصرم عبدالله بن عمر البازيار ذلك التمر، ووجّه رجلاً يقال له بشران بن أبي أُميّة الثقفي إلىٰ المدينة فصرمه، ثمّ عاد إلىٰ البصرة ففلج [1].

وجميع هذه التقلّبات التي مرّ بها تاريخ فدك، تحكي لنا البعد السياسي لمسألة فدك في التاريخ، وتلقي الأضواء الكاشفة علىٰ قيمة الحديث الذي جاء به أبو بكر مضاداً لكتاب الله تعالىٰ وسُنّة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم. هذا فضلاً عمّا اثبتته الزهراء عليها السلام من استحواذ السلطة علىٰ ميراثها ولو بالكذب علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

المبحث الثاني: حال الزهراء عليها السلام ومواقفها بعد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم:

كان الحزن هو المظهر البارز في حياة الزهراء عليها السلام بعد فقدها أباها صلى الله عليه وآله وسلم،

---

١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٦ ـ ٢١٧. والسقيفة وفدك / الجوهري: ١٠٣. وراجع: فتوح البلدان / البلاذري: ٤٥ ـ ٤٦. ومعجم البلدان / ياقوت ٤: ٢٧٢ ـ ٢٧٣. والطرائف / ابن طاووس: ٢٥٢ ـ ٢٥٣. والكامل في التاريخ ٣: ٣٤٨ و٤٥٧ و٤٩٧، و٥: ٦٣، و٧: ١١٦.

فهي ابنته الوحيدة التي أُصيبت به، فكانت أشدّ الناس تأثراً بهذا الخطب الجلل، وتتّضح لنا سحابة الوجد والحزن التي جلّلت حياة الزهراء عليها السلام من ندبتها لأبيها صلى الله عليه وآله وسلم حيث تقول:

اغبرّ آفاق السماء وكوّرت ... شمس النهار وأظلم العصرانِ

فالأرض من بعد النبي كئيبةٌ ... أسفاً عليه كثيرة الرجفانِ

فليبكه شرق البلاد وغربها ... ولتبكه مضرٌ وكلّ يمانِ[1]

قال الامام الصادق عليه السلام: **«عاشت فاطمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمس وسبعين يوماً لم تر كاشرة ولا ضاحكة، تأتي قبور الشهداء في كلّ جمعة مرتين: الاثنين والخميس، فتقول: هاهنا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهاهنا كان المشركون»**.

وفي رواية عنه عليه السلام: **«أنّها كانت تصلّي هناك وتدعو حتىٰ ماتت»**[2].

وروي أن عليّاً عليه السلام بنىٰ لها بيتاً في البقيع نازحاً عن المدينة، يسمىٰ بيت الأحزان، أو بيت الحزن، وهو باقٍ الىٰ هذا الزمان، وهو الموضع المعروف بمسجد فاطمة عليها السلام في جهة قبة مشهد الحسن عليه السلام والعباس رضي الله عنه، وإليه أشار الرحّالة ابن جبير بقوله: ويلي القبة العباسية بيت يُنسب لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويعرف ببيت الحزن، يقال: إنه هو الذي آوت إليه والتزمت فيه الحزن علىٰ موت أبيها المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم، وذكره الغزالي وغيره في زيارة

---

١) العمدة / ابن رشيق ٢: ٨١٦، إتحاف السائل / المناوي: ١٠٢، الثغور الباسمة / السيوطي: ٥٤، أعيان الشيعة ١: ٢٢٣، أعلام النساء / كحّالة ٤: ١١٣.

٢) الكافي / الكليني ٤: ٥٦١ / ٤ و٣: ٢٢٨ / ٣، وبحار الانوار ٤٣: ١٩٥ / ٢٤.

البقيع، وقال: ويصلّىٰ في مسجد فاطمة عليها السلام (١).

وقد اتخذت الزهراء عليها السلام من هذا المسجد محراباً للعبادة والدعاء كما تقدم، وموضعاً للحزن والبكاء علىٰ الرسول صلى الله عليه وآله، قال الامام الصادق عليه السلام: **«أما فاطمة عليها السلام فبكت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله حتىٰ تأذىٰ بها أهل المدينة، فكانت تخرج الىٰ مقابر الشهداء فتبكي حتىٰ تقضي حاجتها ثمّ تنصرف»** (٢).

إن دموع الزهراء عليها السلام تجسّد عمق المأساة التي حلّت بالاسلام بعد موت النبي صلى الله عليه وآله، فلاريب أن موته صلى الله عليه وآله خطب جليل، انقطع به وحي السماء، وذهب به معلّم الخير والرحمة، وتكون المصيبة أعظم اذا انقلبت اُمّته علىٰ تعاليم السماء ووحيها ووصايا نبيّها، وكان المتصدّون لمقامه علىٰ غير هدىً من نهجه ورسالته، فذلك هو الموت الأخطر والمرارة الكبرىٰ التي ما انفكّت ترافق حياة الزهراء عليها السلام بعد أبيها صلى الله عليه وآله فقوّضت بقايا قوّتها، وهدّت أركانها، وجعلتها تذوب حتىٰ الممات.

عن أم سلمة: أنها سألت فاطمة عليها السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله: كيف أصبحت يابنت رسول الله؟ قالت: **«أصبحت بين كمد وكرب: فقد النبي، وظلم الوصيّ»** (٣).

عاشت الزهراء عليها السلام في سبيل الاسلام قبل أن تعيش لنفسها منذ عهد طفولتها حيث كانت تذبّ عن النبي صلى الله عليه وآله أمام طغام قريش وطغاتها،

---

١) راجع رحلةابن جبير: ١٧٤، وفاء الوفا / السمهودي ٣: ٩٠٧ و٩١٨، أهل البيت / توفيق أبو علم: ١٦٧، بحار الانوار ٤٣: ١٧٧.

٢) الخصال / الصدوق: ٢٧٢ / ١٥. وكشف الغمة / الاربلي ١: ٤٩٨. وبحار الانوار ٤٣: ١٥٥ / ١.

٣) المناقب / ابن شهر آشوب ٢: ٢٠٥، بحار الانوار ٤٣: ١٥٦ / ٥.

وتجشّمت في هذا السبيل صنوف المصاعب والمعاناة، وكان رائدها الصبر والتحمل في أحلك الظروف وأشدها قسوة، وكان لها بعد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم مواقف سجلت فيها مواقع الريادة والقدوة في بيان الحق، والدفاع عن المبادئ الاسلامية العليا، والدعوة إلىٰ التمسك بالمسار الصحيح لامتداد النبوة المتمثل في خط الامامة الأصيل الذي خصّه الله تعالىٰ بعترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتنبيه الأمة علىٰ شبح الانحراف الذي تنبأت بوقوعه في خطبتها عليها السلام، هذا فضلاً عن بيان مظلوميتها وسخطها علىٰ من ظلمها، وفيما يلي نذكر بعض هذه المواقف ونذكر في آخرها خطبتي الزهراء عليها السلام :

١ ـ المطالبة بحقوقها وبيان مظلوميتها :

انبرت الزهراء عليها السلام للمطالبة بالحقوق المالية المترتبة لها بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطالبت أيضاً بحقوق بني هاشم عامة، وذلك حق طبيعي لكل مظلوم أن يدافع عن حقوقه المغتصبة، وقد ذكرنا جملةً من هذه المطالبات في المبحث الاول.

والذي نودّ الإشارة إليه هنا، هو هدف الزهراء عليها السلام من هذه المطالبات التي أدّت الىٰ مقاطعة رجال السلطة حتىٰ الممات وبعد الممات حسب وصيتها عليها السلام، فهل كانت عليها السلام بحاجة ماسة الىٰ الأموال التي تجبىٰ من فدك، أو هل اندفعت من أجل هدف مادي رخيص وحطام زائل، وهي أول الناس لحاقاً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم علىٰ ما أخبرها؟!

هذا فضلاً عن أن الزهراء عليها السلام كان لديها من الأموال ما يغنيها عن المنازعة في فدك وغير فدك، فقد أوقف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الحوائط السبعة علىٰ

فاطمة عليها السلام [١] وذلك بعد أن بسط الاسلام نفوذه علىٰ سائر أنحاء الجزيرة وعمّت المسلمين حالة من الرخاء.

وقد جاء في وصيتها عليها السلام ما يدل علىٰ امتلاكها لتلك الحوائط وأموال أخرىٰ، فقد روي عن الامام الباقر عليه السلام أنّه أخرج حُقاً أوسفطاً، فأخرج منه كتاباً فقرأه، وكان فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله ... أوصت بحوائطها السبعة إلىٰ علي بن أبي طالب، فان مضىٰ فإلىٰ الحسن، فان مضىٰ فإلىٰ الحسين، فان مضىٰ فإلىٰ الأكابر من ولدي، شهد المقداد بن الاسود والزبير بن العوام، وكتب علي بن أبي طالب**». وروي نحو ذلك عن الامام الصادق عليه السلام [٢].

وعليه فالزهراء عليها السلام أجلّ قدراً وأعلىٰ شأناً من أن تحرص علىٰ دنيا فانية أو حطام زائل، فلابدّ إذن من أن تكون هناك أهداف أُخرىٰ تبتغيها من وراء تلك المطالبة، وتتجلىٰ تلك الأهداف لمن تمعّن في قراءة خطبة الزهراء عليها السلام في المسجد النبوي وأمام الملأ من قريش والأنصار، فلقد تهيأت لها عليها السلام الفرصة السانحة والمجال الرحب من خلال تلك المطالبات أن تدلي برأيها وتقوم بالمسؤولية الملقاة علىٰ عاتقها، وتؤدي دورها الرسالي علىٰ أحسن مايرام وأمام الملأ، فبيّنت أحقية أمير المؤمنين علي عليه السلام في قيادة الأُمة بعد الرسول صلى الله عليه وآله، وكشفت عن اجتهاد السلطة في موضع النصّ، فأظهرت حال السلطة أمام الملأ، وألقت الحجة علىٰ الأُمة لتؤدي

---

١) الكافي ٧: ٤٧ / ١.

٢) الكافي / الكليني ٧: ٤٨ ـ ٤٩ / ٥ ـ ٦، التهذيب / الطوسي ٩: ١٤٤ / ٥٠، وراجع وصيتها في أموالها الاخرىٰ في دلائل الامامة للطبري: ١٢٩ ـ ١٣١ / ٣٩ ـ ٤١. وأوصت عليها السلام إلىٰ غير أولادها من بني هاشم وبني المطلب. راجع سنن البيهقي ٦: ١٦١ و ١٨٣.

مسؤوليتها، وكادت تلك المطالبة أن تؤدي أُكلها فتصفّي الحساب مع السلطة، لولا أنهم سدّوا جميع الطرق التي تستحقّ بها تلك الحقوق، لادراكهم بأنهم لو صدّقوا الزهراء عليها السلام في هذه القضية فانها ستبدأ جولة جديدة تطالب فيها بالخلافة.

ثم إن الزهراء عليها السلام لو سكتت عن مظلوميتها ولم تطالب بحقها لصار السكوت علىٰ الظالمين والتغاضي عن الحق سُنة، ذلك لأنها عليها السلام قدوة وأُسوة، وإن فعلها لايتجافىٰ عن الحق لذلك اندفعت الىٰ ميدان الصراع، وسلكت معترك الطريق، ووقفت بكل مالديها من قوة بوجه الظلم لاسترداد حقها السليب، مع ما بها من الضعف والانكسار والحزن والألم، فأثبتت أن المرأة قادرة علىٰ الدفاع عن حقّها بل وحقّ غيرها، وصارت فاطمة الزهراء عليها السلام راية المقاومة للظلم والدفاع عن المظلوم في كلّ زمان ومكان.

٢ ـ سخطها علىٰ ظالميها:

بعد أن دُفعت الزهراء عليها السلام عن جميع حقوقها المالية في نحلتها وإرثها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسهمها من الخمس، اتخذت موقفاً حاسماً من الشيخين، يدلّ علىٰ ظلامتها وكونها مخاصمة غير راضية عنهما حتىٰ لقيت ربّها وهي في ريعان الشباب وزهرة الصبا.

وقد قدّمنا أن الرواة اتفقوا علىٰ أن فاطمة عليها السلام غضبت علىٰ أبي بكر وعمر وهجرتهما ولم تكلمهما حتىٰ توفيت وهي ساخطة عليهما، وأوصت أمير المؤمنين عليه السلام أن لايحضرا جنازتها، ولا يصليا عليها، وأن يُعفىٰ قبرها، فلمّا توفيت دفنها أمير المؤمنين ليلاً، ولم يؤذن بها أحداً ممن ظلمها.

قال ابن قُريعة:

ولأي حـــالٍ لحّـــدت بـــاليل فـــاطمة الشـــريفه

ولمـــا حـــمت شـــيخيكم عـــن وطْ حـــجرتها المـــنيفه

أوّه لبـــنت مـــحمدٍ مـــاتت بـــغصّتها أســـيفه (١)

وهكذا جعلت عليها السلام من موتها وتشييع جنازتها ودفنها وسيلة جهادٍ وكفاحٍ، تثير التساؤل عبر الأجيال في نفس كلّ مسلم غيور علىٰ الدين ومبادئه الحقّة، كي يتوصل الىٰ الحقائق المثيرة من تاريخ تلك الحقبة المهمة، لقد أرادت سلام الله عليها أن تقول إنها غاضبة علىٰ كل من لايعرف الحق، ويتنكر لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وحاول الشيخان إرضاء الزهراء عليها السلام فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا الىٰ فاطمة فانا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا علىٰ فاطمة عليها السلام فلم تأذن لهما، فأتيا علياً عليه السلام فكلماه، فالتمسها فأذنت لهما، فلمّا قعدا عندها، حولت وجهها إلىٰ الحائط، فقالت: **«أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعرفانه وتفعلان به؟»** قالا: نعم.

فقالت: **«نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضىٰ فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟»** قالا: نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قالت: **«فاني أُشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن**

---

١) كشف الغمة / الاربلي ٢: ١٣١.

لقيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأشكونكما اليه».

فقال أبو بكر: أنا عائذ إلىٰ الله من سخطه وسخطك يافاطمة، ثم انتحب أبو بكر يبكي حتىٰ كادت نفسه أن تزهق وهي تقول: **«والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصليها»**، ثم خرج باكياً، فاجتمع إليه الناس فقال لهم: يبيت كل رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي [١].

وروي أنه لما خرجا قالت عليها السلام لأمير المؤمنين عليه السلام: **«هل صنعت ما أردت؟»** قال: **«نعم»**. قالت: **«فهل أنت صانع ما آمرك به؟»** قال: **«نعم»**. قالت: **«فاني أنشدك الله ألاّ يصليا علىٰ جنازتي، ولا يقوما علىٰ قبري»** [٢].

إنّ غضب الزهراء عليها السلام لم يكن ثأراً لنفسها، أو لمسائل شخصية بينها وبين الشيخين، ولو كان كذلك لرضيت عنهما، إنها غضبت للتجاوز علىٰ حرمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والانقلاب علىٰ الأعقاب ونبذ الكتاب، ولهذا فقد أنفت ابنة الرسول أن تذكر ما حدث لها شخصياً من حرق بيتها وضربها وإسقاط محسنها في خطبتها الشهيرة، وركزت علىٰ المسائل الأساسية التي أثارت في نفسها الوجد والسخط والغضب.

ولو لمست عليها السلام تغييراً في موقف الشيخين ممّا ارتكباه، أو تصحيحاً للمسار الذي انتهجاه، لسارعت الىٰ الاذن لهما والرضا عنهما.

وقد تواتر عن أبناء الزهراء عليها السلام ـ معصومين وغيرهم ـ غضبها علىٰ

---

١) الامامة والسياسة: ١٣ ـ ١٤، أعلام النساء / كحالة ٤: ١٢٣ ـ ١٢٤، وراجع دلائل الامامة / الطبري: ١٣٤، بحار الانوار ٤٣: ١٧٠ و ١٨٩ ـ ١٩٩.

٢) شرح ابن ابي الحديد ١٦: ٢٨١، الشافي / المرتضىٰ ٤: ١١٥.

الشيخين وسخطها عليهما لسوء صنيعهما المتعمّد معها حتىٰ قضت نحبها وهي علىٰ هذا الحال.

عن الامام الرضا عليه السلام قال: **«كانت لنا أُمٌّ صالحة، وهي عليهما ساخطة، ولم يأتنا بعد موتها خبر أنها رضيت عنهما»**[1].

وعن داود بن المبارك، قال: أتينا عبدالله بن موسىٰ بن عبدالله بن الحسن ابن الحسن، ونحن راجعون من الحج في جماعة، فسألناه عن مسائل، وكنت أحد من سأله، فسألته عن أبي بكر وعمر، فقال: أجيبك بما أجاب به جدي عبدالله بن الحسن، فانه سُئل عنهما فقال: كانت أُمّنا صدّيقة ابنة نبي مرسل وماتت وهي غضبىٰ علىٰ قومٍ، فنحن غضاب لغضبها.

وقد أخذ هذا المعنىٰ أحد شعراء الطالبيين من أهل الحجاز، فقال:

يا أبا حفص الهوينىٰ وما كنت
مليّاً بذاك لولا الحمام[2]

أتموت البتول غضبىٰ ونرضىٰ
ما كذا يصنع البنون الكرام[3]

وسيبقىٰ موقف الزهراء عليها السلام درساً يعلم الأجيال الاستبسال في الدفاع عن الحق والوقوف بوجه الظلم وعدم الركون إلىٰ القهر والاستبداد.

---

١) الطرائف / ابن طاووس: ٢٥٢ / ٣٥١.

٢) أي ما كنت قادراً علىٰ أن تلج بيت فاطمة عليها السلام علىٰ الوجه الذي ولجت فيه، لولا موت أبيها صلى الله عليه وآله وسلم.

٣) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٤٩. والسقيفة وفدك: ١١٦.

٣ ـ الدفاع عن الولاية والإمامة:

تقدّم أنّ أهمّ الأهداف التي توخّتها الزهراء عليها السلام في مطالباتها المالية، هو الدفاع عن ولاية أهل البيت عليهم السلام وإثبات أحقيتهم في قيادة الأُمّة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ويتضح ذلك من خلال خطبة الزهراء عليها السلام في المسجد النبوي، وخطبتها الأخرىٰ بنساء المدينة، وفي مواقف أُخرىٰ متعددة، أدّت فيها واجبها الرسالي في الدفاع عن إمامة أمير المؤمنين عليه السلام.

ففي خطبتها الأُولىٰ ذكرت ولاية أهل البيت عليهم السلام كفرض إلهي لا يختلف عن سائر الواجبات والفروض التي عدّدتها في الخطبة وبينت العلة من إيجابها، قالت عليها السلام: «**فجعل الله طاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفرقة**».

وأكّدت عليها السلام علىٰ ذكر فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وتقدّمه علىٰ سواه بالعلم والشجاعة، فقالت عليها السلام: «**أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي**» وقالت عليها السلام: «**كلّما فغرت فاغرة المشركين، قذف أخاه عليّاً في لهواتها، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون، فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر، وتتوكفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرّون من القتال**». وقالت عليها السلام في خطبتها الثانية: «**وما الذي نقموا من أبي الحسن، نقموا منه والله نكير سيفه، وقلّة مبالاته بحتفه، وشدّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمّره في ذات الله**».

وأشارت عليها السلام إلىٰ أحقية أمير المؤمنين عليه السلام في خلافة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفضله علىٰ غيره، فقالت عليها السلام في خطبتها الأُولىٰ: «**وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض**». وقالت عليها السلام في خطبتها الثانية: «**ويحهم أنّىٰ زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطّبين بأمور الدنيا والدين**».

وذكرت عليها السلام النصّ على أمير المؤمنين عليه السلام بالتلميح الذي هو أقوىٰ من التصريح حيث قالت عليها السلام في خطبتها الثانية: **«وتالله لو تكافّوا عن زمامٍ نبذه إليه رسول الله لاعتقله، ثمّ لسار بهم سيراً سجحاً»**.

ونبّهت عليها السلام علىٰ أنّ الاختيار غير صحيح بقولها في خطبتها الأُولىٰ: **«فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لمّا يقبر، بداراً زعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين»**.

وقالت عليها السلام في خطبتها الثانية: **«استبدلوا والله الذنابىٰ بالقوادم، والعجز بالكاهل»** وقالت عليها السلام فيها أيضاً: **«ليت شعري إلىٰ أي لجأ لجأوا، وإلىٰ أي سنادٍ استندوا، وعلىٰ أيّ عمادٍ اعتمدوا، وبأيّ عروةٍ تمسّكوا، وعلىٰ أيّ ذريةٍ قدّموا واحتنكوا؟!»**.

وللزهراء عليها السلام مواقف أُخرىٰ في الدفاع عن الإمامة، منها ما رواه الجوهري عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: **«إنّ علياً عليه السلام حمل فاطمة عليها السلام علىٰ حمارٍ، وسار بها ليلاً إلىٰ بيوت الأنصار، يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة عليها السلام الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، لو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به. فقال علي عليه السلام أكنت أترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ميتاً في بيته لا أُجهزه، وأخرج إلىٰ الناس أُنازعهم سلطانه! وقالت فاطمة عليها السلام: ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له، وصنعوا هم ما الله حسيبهم عليه»**[1].

وخروج الزهراء عليها السلام ليلاً مع شدة اللوعة التي تنتابها لفقد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم

---

١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٣. والإمامة والسياسة / ابن قتيبة ١: ١٢.

وضعف حالها، وقوة السلطة في ملاحقة من يعارضها، إنّما هـو أداء لدورٍ رسالي يقتضيه الواجب الاسلامي المقدس في حـفظ العـقيدة الحـقّة مـن الضياع والانـحراف، وفـي ذلك درس بـليغ لنـا حـقيق بـالاقتداء وخـليق بالاحتذاء.

وكان للأنصار موقف من السلطة أقلّه الندم علىٰ البيعة، وأعلاه الهـتاف باسم أمير المؤمنين عليه السلام، وأنّىٰ يكون ذلك لولا خـروج الزهـراء عليها السلام تـطلب نصرتهم، وخطبتها عليها السلام التي ذكّرت فيها وحذّرت.

عن عبدالرحمن بن عوف، قال: لما بويع أبو بكر واستقرّ أمره، ندم قومٌ كثيرٌ من الأنصار علىٰ بيعته ولام بـعضهم بـعضاً، وذكـروا عـلي بـن أبـي طالب عليه السلام، وهتفوا باسمه (١).

٤ ـ خطبتا فاطمة عليها السلام :

الخطبة الأُولىٰ: كانت بعد عشرة أيام من وفاة النـبي صلى الله عليه وآله وسلم وهـي خـطبة طويلة غاية في الفصاحة والبلاغة والمتانة والشهرة، قال الاربلي رحمه الله: إنّـها من محاسن الخطب وبدائعها، عليها مسحة من نور النبوة، وفيها عبقة من أرج الرسالة (٢).

وكلام الزهراء عليها السلام في هذه الخطبة قد تناقله المؤرخون والرواة وأرباب الأدب والبلاغة خلفاً عن سلف، ناهيك عن أن أهل البيت عليهم السلام وعـموم آل أبي طالب كانوا يتناقلونه ويعلمونه أولادهم، عن زيد بن علي بن الحسين

---

١) الموفقيات / الزبير بن بكار: ٥٨٣ / ٣٨٢.

٢) كشف الغمة / الاربلي ١: ٤٧٩.

ابن زيد بن علي بن الحسين بن زيد بن علي عليه السلام ، وهو زيد الأصغر ، من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام ، قال: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم، ويعلمونه أولادهم، وقد حدثني به أبي عن جدّي يبلغ به فاطمة عليها السلام [1].

لقد اندفعت فاطمة عليها السلام في مظاهرة نسائية من بيتها إلىٰ المسجد النبوي، وهو حاشد بالمهاجرين والأنصار، فاختارت الكلمة بما تحمله من حجة بالغة وبرهان ساطع سلاحاً للمواجهة وشحذ الهمم، كي تعرّي أُسس السقيفة وتزعزع كيانها، فكانت أذكىٰ من نار عمر، إذ أقرحت العيون، وأثارت العواطف، وكسبت الرأي العام حتىٰ هتف الأنصار بذكر علي عليه السلام ، مما أثار حفيظة أبي بكر، خوفاً من اضطراب الأمر عليه، فبالغ في نهيهم [2] معرّضاً بأمير المؤمنين عليه السلام مبدياً ما كان يكتم علىٰ ما سيأتي بيانه في محلّه.

والخطبة ذات مضامين عالية وسبك لغوي لا يصدر إلّا عن أهل البيت الذين أوتوا الحكمة وفصل الخطاب، وأهمّ مضامينها هو تنبيه الأُمّة علىٰ غفلاتها عن حالة الانقلاب علىٰ الاعقاب والإحداث بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فتنازعت سلطانه تاركة أولياءه وعترته وكتابه وسنته **« فلمّا اختار الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم دار أنبيائه ومأوىٰ أصفيائه، ظهرت فيكم حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين »**.

« أنّىٰ تؤفكون وهذا كتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة... قد خلّفتموه وراء ظهوركم ».

---

١) الشافي / المرتضىٰ ٤: ٧٦. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٥٢.

٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٥.

« تستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء نور الدين الجلي، وإهماد سنن النبي الصفي » ثم ذكرتعليها السلام الاستيلاء علىٰ إرث النبيصلى الله عليه وآله وسلم كمصداق للاجتهاد في موضع النص، وقالتعليها السلام: **« أفعلىٰ عمدٍ تركتم كتاب الله، ونبذتموه وراء ظهوركم ؟ »**.

وتحدّت رأس السلطة **« فدونكها مخطومة مرحولة، تكون معك في قبرك، وتلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، ونعم الزعيم محمدصلى الله عليه وآله وسلم والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون »**.

وألقت الحجة علىٰ الأُمّة ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيي منهم عن بينة **« ألا وقد قلت ما قلت، علىٰ معرفة منّي بالخذلة التي خامرتكم... ولكنها فيضة النفس... وتقدمة الحجة »**.

« وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فاعملوا إنّا عاملون، وانتظروا إنّا منتظرون ».

والخطبة الثانية: كانت في الأيام التي اشتدّت فيها علّة الزهراءعليها السلام وقبل أن تودّع الحياة، وهي كلمة بليغة تهزّ القلوب والمشاعر، ألقتها علىٰ مسامع نساء المدينة اللواتي هرعن لعيادتها، ألقت فيها الحجة البالغة علىٰ نساء اولئك الرجال الذين استصرختهم بالأمس في مسجد الرسولصلى الله عليه وآله وسلم فلم تجد منهم ناصراً ولا مغيثاً لانتزاع حقوق عترة المصطفىٰ المغتصبة، والتي علىٰ رأسها حق عليعليه السلام في الخلافة، حيث تناولت في هذه الخطبة عتاباً وتقريعاً لهم لعزوفهم عن ولاية عليعليه السلام، وأقامت الأدلة والشواهد علىٰ حق أمير المؤمنينعليه السلام وعظم شأنه وأهليته، وأخيراً أشرفت علىٰ المستقبل الذي ينتظرهم بما يحمل من ذلٍّ وهوانٍ واستبدادٍ من الظالمين لما قدّمت

أيديهم، وفيما يلي نصّ الخطبتين.

أولاً: خطبة الزهراء عليها السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وآله:

رویٰ خطبة الزهراء عليها السلام في المسجد النبوي جمع من أعلام الشيعة والعامّة بطرق متعدّدة تنتهي بالاسناد عن زيد بن علي، عن أبيه، عن جده عليهم السلام، وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن أبيه الباقر عليه السلام، وعن جابر الجعفي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، وعن عبدالله بن الحسن، عن أبيه، وعن زيد بن علي، عن زينب بنت الحسين عليه السلام، وعن رجالٍ من بني هاشم، عن زينب بنت علي عليها السلام، وعن عروة بن الزبير، عن عائشة، قالوا: لمّا بلغ فاطمة عليها السلام اجماع أبي بكر علىٰ منعها فَدَكَ، وانصرف عاملها منها، لاثت خمارها علىٰ رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لُمّةٍ من حفدتها[(١)] ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم[(٢)] مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله فدخلت عليه وهو في حشدٍ من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة[(٣)]، فجلست ثمّ أنّت أنّةً أجهش القوم لها بالبكاء، فارتجّ المجلس، ثمّ أمهلت هنيهة، حتىٰ إذا سكن نشيج القوم، وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة علىٰ رسوله أبيها صلى الله عليه وآله فعاد القوم في بكائهم، فلمّا أمسكوا عادت في كلامها، فقالت كلاماً طويلاً في الحمد والثناء والتمجيد، والصلاة علىٰ الرسول المصطفىٰ صلى الله عليه وآله.

ثم التفتت إلىٰ أهل المجلس وقالت: **« أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه،**

---

١)) أعوانها وخدمها.

٢) ما تترك ولا تنقص.

٣) إزار.

وحماة دينه ووحيه، وأُمناء الله علىٰ أنفسكم، وبلغاؤه إلىٰ الأُمم، وزعيم حقّ له فيكم، وعهد قدّمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بيّنة بصائره، منكشفة سرائره، متجلّية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائد إلىٰ الرضوان أتباعه، مؤدٍّ إلىٰ النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنوّرة، وعزائمه المفسّرة، ومحارمه المحذّرة، وبيّناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة.

فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم من الكبر، والزكاة تزكية للنفس، ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للاخلاص، والحج تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهاد عزّاً للإسلام، وذلاً لأهل الكفر والنفاق، والصبر معونةً علىٰ استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصلحةً للعامّة، وبرّ الوالدين وقايةً من السخط، وصلة الأرحام منسأةً في العمر، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة[1]، وترك السرقة إيجاباً للعفّة، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية ﴿فاتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون﴾[2] وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿فإنما يخشىٰ الله من عباده العلماء﴾[3].

ثم قالت: أيُّها الناس أعلموا أني فاطمة وأبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أقولها عوداً

---

١) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ في حقّ من يرمون المحصنات: ﴿لعنوا في الدنيا والآخرة﴾

٢) سورة آل عمران: ٣ / ١٠٢.

٣) سورة فاطر: ٣٥ / ٢٨.

علىٰ بدءٍ، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ (١) فان تَعزُوه (٢) تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المَعزيّ إليه صلى الله عليه وآله وسلم.

فبلّغ الرسالة، صادعاً بالنذارة، مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارباً ثَبَجَهم (٣)، آخذاً بكظمهم، داعياً إلىٰ سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجذّ (٤) الأصنام، وينكت الهام، حتىٰ انهزم الجمع وولّوا الدبر، وحتّىٰ تفرّىٰ الليل عن صُبحه، وأسفر الحقّ عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلّت عقدة الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الاخلاص، في نفرٍ من البيض الخماص.

وكنتم علىٰ شفا حفرةٍ من النار، مَذقة الشارب، ونُهزة (٥) الطامع، وقبسة العجلان، وموطيء الأقدام، تشربون الطَّرق (٦)، وتقتاتون القِدّ (٧)، أذلّةً خاسئين، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالىٰ بأبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد اللّتيا والتي (٨)، وبعد أن مُني ببُهم (٩) الرجال، وذؤبان (١٠)

---

١) سورة التوبة: ٩ / ١٢٨.

٢) تنسبوه.

٣) الثَبَج: وسط الشيء ومعظمه، وما بين الكاهل إلىٰ الظهر من الإنسان.

٤) يكسر.

٥) فرصة.

٦) الماء تخوض فيه الإبل وتبول وتبعر.

٧) السير من الجلد.

٨) أي الدواهي الصغيرة والكبيرة.

٩) شجعان.

العرب، ومردة أهل الكتاب ﴿كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ﴾ (١١) أو نجم قرن للشيطان، أو فغرت فاغرةٌ من المشركين، قذف أخاه عليّاً في لهواتها، فلا ينكفىء حتىٰ يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله صلى الله عليه وآله سيّداً في أولياء الله، مشمّراً ناصحاً، مجّداً كادحاً، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر، وتتوكفّون (١٢) الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرّون من القتال.

فلمّا اختار الله لنبيه صلى الله عليه وآله دار أنبيائه ومأوىٰ أصفيائه، ظهرت فيكم حسيكة (١٣) النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرّة فيه ملاحظين، ثمّ استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم (١٤) فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، والرسول لمّا يُقبَر، بداراً زعمتم خوف الفتنة ﴿ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ (١٥).

---

١٠) لصوص وصعاليك.

١١) سورة المائدة: ٥ / ٦٤.

١٢) تتوقعون أخبار السوء.

١٣) عداوة وضغينة.

١٤)) أغضبكم.

١٥) سورة التوبة: ٧ / ٤٩. وفي هذا المقطع من الخطبة إشارة إلىٰ قول أبي بكر في خطبته: (والله ما كنت حريصاً علىٰ الإمارة يوماً... ولكني أشفقت من الفتنة. ومالي في الإمارة من راحة، ولكنّي

←

فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنّىٰ تؤفكون، وهذا كتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، قد خلّفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تدبرون، أم بغيره تحكمون؟ ﴿بئس للظالمين بدلاً﴾[1]، ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[2].

ثمّ لم تلبثوا إلّا ريثما تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، ثمّ أخذتم توردون وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء نور الدين الجلي، وإهماد سنن النبي الصفي، تسرّون حَسواً في ارتغاء[3]، ونصبر منكم علىٰ مثل حَزّ المُدىٰ، ووخز السنان في الحشا.

وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لي من أبي ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾[4] أفلا تعلمون؟ بلىٰ قد تجلّىٰ لكم كالشمس الضاحية أني ابنته.

أيهاً[5] أيُّها المسلمون، أأُغلب علىٰ إرثي؟! يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئاً فرياً، أفعلىٰ عمدٍ تركتم كتاب

← قلّدت أمراً عظيماً مالي به طاقة ولا يد) راجع مستدرك الحاكم ٣: ٦٦. وكنز العمال ٥: ١٩٧. وسنن البيهقي ٨: ١٥٢.

١) سورة الكهف: ١٨ / ٥٠.

٢) سورة آل عمران: ٣ / ٨٥.

٣) مثل يضرب لمن يظهر أمراً ويريد غيره.

٤) سورة المائدة: ٥ / ٥٠.

٥) اسم فعل يراد به الحثّ والتحريض، وبكسر أوله الكفّ والاسكات.

الله، ونبذتموه وراء ظهوركم ؟! إذ يقول: ﴿وورث سليمان داود﴾[١] وقال فيما اقتصّ من خبر يحيىٰ بن زكريا عليه السلام إذ يقول: ﴿ربّ هب لي من لدنك وليّاً * يرثني ويرث من آل يعقوب﴾[٢]، وقال: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض في كتاب الله﴾[٣]، وقال: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الانثيين﴾[٤]، وقال: ﴿إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً علىٰ المتقين﴾[٥].

وزعمتم أن لاحظوة لي ولا إرث من أبي، ولا رحم بيننا، أفخصّكم الله بآية أخرج منها أبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟! أم تقولون أهل ملّتين لا يتوارثان؟! أولست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟! أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي ؟!

فدونكها مخطومة مرحولة، تكون معك في قبرك، وتلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، ونعم الزعيم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون ﴿ولكل نبأ مستقر﴾[٦]، ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم﴾[٧]».

---

١) سورة النمل: ٢٧ / ١٦.

٢) سورة مريم: ١٩ / ٤ ـ ٦.

٣) سورة الأنفال: ٨ / ٧٥.

٤) سورة النساء: ٤ / ١١.

٥) سورة البقرة: ٢ / ١٨٠.

٦) سورة الأنعام: ٦ / ٦٧.

٧) سورة هود: ١١ / ٣٩. وسورة الزمر: ٣٩ / ٣٩ ـ ٤٠.

مخاطبة الأنصار:

ثمّ رمت بطرفها نحو الأنصار، فقالت: «**يا معشر الفتية، وأعضاد الملّة، وحَضَنة الإسلام، ما هذه الغَميزة**[١] **في حقّي، والسِّنة عن ظلامتي؟! أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبي يقول: المرء يحفظ في ولده؟ سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة**[٢] **ولكم طاقة بما أُحاول، وقوة على ما أطلب وأُزاول.**

أتقولون مات محمد، لعمري فخطب جليل، استوسع وهيه[٣]**، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، وأظلمت الأرض لغيبته، وكسفت الشمس والقمر، وانتثرت النجوم لمصيبته، وأكدت**[٤] **الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأُذيلت**[٥] **الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى التي لا مثلها نازلة، ولا بائقة**[٦] **عاجلة، أعلن بها كتاب الله جلّ ثناؤه في أفنيتكم في ممساكم ومصبحكم، هتافاً وصراخاً، وتلاوةً وألحاناً**[٧]**، ولقبله ما حلّ بأنبياء الله ورسله، حكم فصل، وقضاء حتم ﴿ وما محمد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأن مات أو قتل أنقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾**[٨].

أيهاً بني قَيْلة[٩]**، أأهضم تراث أبي؟! وأنتم بمرأى مني ومسمع، ومنتدى**

---

١) ضعف العمل.

٢) مثل يراد به ما أسرع ما كان هذا الأمر!

٣) شقّه وخرقه.

٤) أخفقت.

٥) أُهينت، ويروى: أُزيلت، بالزاي.

٦) داهية.

٧) بفتح الهمزة أي غناءً، أو بكسرها بمعنى الإفهام.

٨) سورة آل عمران: ٣ / ١٤٤.

٩) الأنصار من الأوس والخزرج، وقَيْلة بنت كاهل: أمّهم.

ومجمع، تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدّة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجُنّة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنُّخبة التي انتُخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت.

قاتلتم العرب، وتحمّلتم الكدّ والتعب، وناطحتم الأُمم، وكافحتم البُهم، فلا نبرح ولا تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتىٰ إذا دارت بنا رحىٰ الإسلام، ودرّ حَلَب الأيام، وخضعت نُعَرة[1] الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهَرج، واستوسق نظام الدين، فأنّىٰ جرتم بعد البيان، وأسررتم بعد الاعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان ﴿ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهمّوا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾[2].

ألا قد أرىٰ أن قد أخلدتم إلىٰ الخفض، وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض، وركنتم إلىٰ الدَّعَة، ونجوتم من الضيق بالسعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم[3] الذي تسوّغتم ﴿فان تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فانّ الله لغني حميد﴾[4].

ألا وقد قلت ما قلت علىٰ معرفةٍ مني بالخذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنّها فيضة النفس ونفثة الغيظ، وخور القَنَا، وبثّة الصدر،

---

١) الكِبَر.

٢) سورة التوبة: ٩ / ١٢.

٣) تقيأتم.

٤) سورة إبراهيم: ١٤ / ٨.

وتَقدِمة الحُجّة.

فدونكموها فاحتقبوها دَبِرة الظهر، نَـقِبة الخُـفّ، بـاقية العـار، مـوسومة بغضب الله وشنار[١] الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطّلع علىٰ الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾[٢] وأنا ابنة نذيرٍ لكم بين يدي عذاب شديد، فاعملوا إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون».

جواب أبي بكر:

يا ابنة رسول الله، لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً، رؤوفاً رحيماً، وعلىٰ الكافرين عذاباً أليماً، وعقاباً عظيماً، فان عزوناه وجدناه أبـاك دون النساء، وأخاً لبعلك دون الأخلّاء، آثره علىٰ كلّ حميم، وساعده في كلّ أمرٍ جسيم، لا يحبّكم إلّا كل سعيد، ولا يـبغضكم إلّا كـلّ شـقيّ، فأنـتم عـترة رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبون، والخيرة المنتجبون، علىٰ الخير أدلّتنا، وإلىٰ الجنة مسالكنا، وأنتِ يا خيرة النساء، وابنة خير الأنبياء، صادقةٌ في قولك، سابقةٌ في وفور عقلك، غير مردودةٍ عن حقّك، ولا مصدودة عن صدقك.

والله ما عدوت رأي رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا عملت إلّا بإذنه، وإن الرائـد لا يكذب أهله، فإنّي أُشهد الله، وكفىٰ به شهيداً أنّي سمعت رسـول الله صلى الله عليه وآله يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهـباً ولا فـضة، ولا داراً ولا عـقاراً، وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة، وما لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه».

---

١) عيب وعار.

٢) سورة الشعراء: ٢٦ / ٢٢٧.

وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح، يقاتل به المسلمون، ويجاهدون الكفار، ويجالدون المَرَدَة الفُجّار، وذلك باجماع من المسلمين، لم أتفرد به وحدي، ولم استبدّ بما كان الرأي فيه عندي، وهذه حالي ومالي هي لك وبين يديك، لا تزوىٰ عنك، ولا تُدّخر دونك، وأنت سيدة أُمّة أبيك، والشجرة الطيبة لبنيك، لا يدفع ما لكِ من فضلك، ولا يوضع من فرعك وأصلك، وحكمك نافذ فيما ملكت يداي، فهل ترين أني أُخالف في ذلك أباك صلى الله عليه وآله؟

جواب الزهراء عليها السلام:

«سبحان الله! ما كان أبي رسول الله صلى الله عليه وآله عن كتاب الله صادفاً، ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتّبع أثره، ويقفو سوره، أفتجمعون علىٰ الغدر اعتلالاً عليه بالزور؟! وهذا بعد وفاته، شبيه بما بُغي له من الغوائل في حياته.

هذا كتاب الله حَكَماً عدلاً، وناطقاً فصلاً، يقول: ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾[١] ويقول: ﴿وورث سليمان داود﴾[٢] فبيّن عزّ وجل فيما وزّع من الأقساط، وشرّع من الفرائض والميراث، وأباح من حظّ الذُّكران والإناث، ما أزاح علّة المبطلين، وأزال التظنّي[٣] والشُّبهات في الغابرين، كلا ﴿بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً فصبرٌ جميل والله المستعان علىٰ ما تصفون﴾[٤]».

---

١) سورة مريم: ١٩ / ٩.

٢) سورة النمل: ٢٧ / ١٦.

٣)) إعمال الظنّ.

٤) سورة يوسف: ١٢ / ١٨.

جواب أبي بكر:

صدق الله، وصدق رسوله، وصدقت ابنته، أنتِ معدن الحكمة، وموطن الهدىٰ والرحمة، وركن الدين، لا أُبعد صوابك، ولا أُنكر خطابك، هؤلاء المسلمون بيني وبينك، قلّدوني ما تقلّدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت، غير مكابر ولا مستبد ولا مستأثر، وهم بذلك شهود.

خطاب الزهراء عليها السلام لعامّة الناس:

فالتفتت فاطمة عليها السلام إلىٰ الناس وقالت: « **معاشر الناس المسرعة إلىٰ قيل الباطل، المغضية علىٰ الفعل القبيح الخاسر ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم علىٰ قلوبٍ أقفالها﴾**[1] **كلا بل ران علىٰ قلوبهم، ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، لبئس ما تأوّلتم، وساء ما به أشرتم، وشرّ ما منه اعتضتم، لتجدنّ والله محمله ثقيلاً، وغبّه**[2] **وبيلاً، إذا كشف لكم الغطاء، وبان ما وراء الضّراء**[3] **وبدا لكم من ربّكم مالم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون»**[4].

---

١) سورة محمد: ٤٧ / ٢٤.

٢)) عاقبته.

٣) الشجر الملتفّ، وهو كناية عمّا يبدو لهم بعد الموت من سوء ما قدمت أيديهم.

٤) روىٰ خطبة الزهراء عليها السلام ابن طيفور في بلاغات النساء: ٢١. والسيد المرتضىٰ في الشافي ٤: ٦٩ ـ ٧٧. والشيخ الطوسي في تلخيص الشافي ٣: ١٣٩ ـ ١٤٣ عن المرزباني بطريقين، والطبري في الدلائل: ١٠٩ / ٣٦ بتسعة طرق. والخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام ١: ٧٧ عن الحافظ أبي بكر أحمد بن مردويه. وابن الأثير في منال الطالب في شرح طوال الغرائب: ٥٠١ ـ ٥٠٧. والسيد ابن طاووس في الطرائف: ٢٦٣ / ٢٦٨ عن كتاب الفائق عن الأربعين للشيخ أسعد ابن

←

ندبتها للرسول صلى الله عليه وآله وسلم :

ثمّ عطفت علىٰ قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة[1] لو كنت شاهدها لم تكثر الخطبُ
إنا فقدناك فقد الأرضِ وابلها واختلّ قومك فاشهدهم فقد نكبوا[2]
أبدىٰ رجالٌ لنا نجوىٰ صدورهم لمّا مضيتَ وحالت دونك التُّربُ
تجهّمتنا رجالٌ واستخفّ بنا لمّا فقدت وكلّ الإرث مغتصبُ
وكنتَ بدراً ونوراً يُستضاء به عليك تنزل من ذي العزّة الكتبُ
وكان جبريل بالآيات يؤنسنا فقد فقدت وكلّ الخير محتجبُ
فليت قبلك كان الموت صادفنا لمّا مضيت وحالت دونك الكُثُبُ
إنا رُزئنا بما لم يُرزَ ذو شجنٍ من البرية لا عُجم ولا عَربُ[3]

← سقروة، عن الحافظ ابن مردويه في كتاب المناقب، والاربلي في كشف الغمة ١: ٤٨٠ عن كتاب السقيفة للجوهري من نسخة قديمة مقروءة علىٰ مؤلفها في ربيع الآخر من سنة ٣٢٢ هـ. والطبرسي في الاحتجاج: ٩٧. وابن أبي الحديد في شرح النهج ١٦: ٢١١ ـ ٢١٣ و ٢٤٩ و ٢٥٢ بعدة طرق. والمجلسي في بحار الأنوار ٢٩: ٢٢٠ / ٨ بعدة طرق. وكحّالة في أعلام النساء: ٣: ١٢٠٨. وروىٰ بعض مقاطعها الشيخ الصدوق في علل الشرائع: ٢٤٨ / ٢ و ٣ و ٤ بعدة طرق، وأشار لها المسعودي في مروج الذهب ٢: ٣٠٤.

١) الاختلاط في القول، والأمور الشدائد.

٢) عدلوا ومالوا.

٣) رويت في أغلب المصادر المتقدمة مع اختلاف في بعض ألفاظها وعدد أبياتها، وراجعها أيضاً في أمالي المفيد: ٤١ / ٨. والسقيفة وفدك / الجوهري: ٩٩. والطبقات الكبرىٰ / ابن سعد ٢: ٣٣٢. ←

قال الراوي: ثمّ ذهبت فتبعها رافع بن رفاعة الزرقي، فقال لها: يـا سـيدة النساء، لو كان أبو الحسن تكلّم في هذا الأمر، وذكر للناس قبل أن يـجري هذا العقد، ما عدلنا به أحداً. فقالت عليها السلام: **« إليك عنّي، فما جعل الله لأحدٍ بعد غدير خمٍّ من حجّة ولا عذر»**.

قال: فما رأينا يوماً كان أكثر باكياً ولا باكية من ذلك اليوم (١)، وارتـجّت المدينة، وهاج الناس، وارتفعت الأصوات (٢).

علىٰ أثر الخطبة:

كان لخطبة الزهراء عليها السلام أثر بالغ ومحرّك لنفوس الناس، سيّما الأنـصار منهم، لما تحمله تلك الخطبة من الواقـعية والصـدق والاسـتناد إلىٰ أُسس متينة قوامها الكتاب الكريم والسُنّة النبوية المباركة، في بيان مظلوميتها وفي إشادتها بفضل أمير المؤمنين علي عليه السلام وأحقيته في خلافة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ممّا جعل الأنصار يهتفون باسم علي عليه السلام، فاستشعر رجال السقيفة الخـطر مـن هذه البادرة، فنادىٰ أبو بكر الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فأرعد وأبرق.

روىٰ الجوهري عن جعفر بن محمد بن عمارة بعدة طرق، قال: لما سمع أبو بكر خطبتها شقّ عليه مقالتها، فصعد المنبر وقال: أيُّها النـاس، مـا هـذه

← وغريب الحديث / ابن قـتيبة ٢: ٢٦٧ / ٣٥٥ دار الكـتب العـلمية. والكـافي ٨: ٣٧٥ / ٥٦٤. والمناقب / ابن شهر آشوب ٢: ٢٠٨. والبدء والتـاريخ / المـقدسي ٥: ٦٨. والطـرائـف / ابـن طاووس: ٢٦٥. ومنال الطالب / ابن الأثير: ٥٠٧.

١) بلاغات النساء: ٢٣. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٥٣.

٢) دلائل الإمامة: ١٢٢.

الرِّعة [١] إلىٰ كلِّ قالة؟! ومع كلّ قالة أُمنية، أين كانت هذه الأماني في عهد نبيكم؟! ألا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلم، إنّما هو ثُعالة شهيده ذنبه، مربّ لكلّ فتنةٍ، هو الذي يقول: كرّوهاً جذعةً بعدما هرمت، يستعينون بالضعفة، ويستنصرون بالنساء، كأُمّ طِحال [٢] أحبّ أهلها إليها البغيّ!!!

ألا إني لو أشاء أن أقول لقلت، ولو قلت لبحت، وإنّي ساكت ما تُركِت.

ثم التفت إلىٰ الأنصار فقال: قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم، فو الله إنّ أحقّ الناس بلزوم عهد رسول الله أنتم، فقد جاءكم فآويتم ونصرتم، وأنتم اليوم أحقُّ من لزم عهده، ومع ذلك فاغدوا علىٰ أُعطياتكم، فإنّي لست كاشفاً قناعاً، ولا باسطاً ذراعاً ولا لساناً إلّا علىٰ من استحقّ ذلك والسلام؛ ثم نزل فانصرفت فاطمة عليها السلام إلىٰ منزلها [٣].

قال ابن أبي الحديد: قرأت هذا الكلام علىٰ النقيب أبي يحيىٰ جعفر ابن يحيىٰ بن أبي زيد البصري، وقلت له: بمن يعرّض؟ فقال: بل يصرّح. قلت: لو صرّح لم أسألك، فضحك وقال: بعلي بن أبي طالب عليه السلام. قلت: هذا الكلام كلّه لعليّ يقوله! قال: نعم، إنّه الملك يا بني. قلت: فما مقالة الأنصار؟ قال: هتفوا بذكر علي عليه السلام فخاف من اضطراب الأمر عليهم فنهاهم [٤].

ثانياً: خطبة الزهراء عليها السلام بنساء المهاجرين والأنصار:

تظافرت الروايات عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام وعبدالله

---

١) الرعة: الاستماع والإصغاء.

٢) أُمّ طِحال: امرأة بغيّ في الجاهلية، يقال في المثل: أزنىٰ من أُمّ طِحال.

٣) دلائل الإمامة: ١٢٣. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٥.

٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٥.

ابن عباس، وسويد بن غفلة، وعبدالله بن الحسن عن أُمّه فاطمة بنت الحسين عليه السلام قالوا: لمّا مرضت فاطمة الزهراء عليها السلام المرضة التي توفيت فيها، واشتدّت علّتها، اجتمعت إليها نساء المهاجرين والأنصار ليعدنها، فسلّمن عليها، وقلن: كيف أصبحت من علتك يا بنت رسول الله؟ فحمدت الله تعالىٰ وصلّت علىٰ أبيها المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم ثم قالت: **«أصبحت والله عائفة لدنياكنّ، قالية لرجالكنّ، لفظتهم بعد أن عجمتهم**[1]**، وشنأتهم بعد أن سبرتهم**[2]**، فقبحاً لفلول الحدّ، واللعب بعد الجدّ، وقرع الصفاة، وصدع القناة، وخطل الآراء، وزلل الأهواء، و ﴿لبئسما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾**[3] **لا جرم والله، لقد قلّدتهم ربقتها، وحمّلتهم أوقتها**[4]**، وشننت عليهم غارتها، فجدعاً وعقراً وبعداً للقوم الظالمين.**

ويحهم أنّىٰ زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطَّبين[5] **بأمور الدنيا والدين؟! ﴿ألا ذلك هو الخسران المبين﴾**[6].

وما الذي نقموا من أبي الحسن؟! نقموا منه والله نكير سيفه، وقلّة مبالاته بحتفه، وشدّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمّره في ذات الله عزَّ وجل.

---

١) اختبرتهم وابتليتهم.

٢) اختبرتهم وامتحنتهم.

٣) سورة المائدة: ٥ / ٨٠.

٤) ثقلها.

٥) الفطن الحاذق.

٦) سورة الزمر: ٣٩ / ١٥.

وتالله لو تكافّوا عن زمامٍ نبذه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاعتقله [١]، ثمّ لسار بهم سيراً سُجحاً [٢]، لا يُكلم خشاشه، ولا يكلّ سائره، ولا يملّ راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً صافياً رويّاً فضفاضاً، تطفح ضفتاه، ولا يترنّق [٣] جانباه، ولأصدرهم بطاناً، ونصح لهم سراً وإعلاناً، ولم يكن يتحلّىٰ من الغنىٰ بطائل [٤]، ولا يحظىٰ من الدنيا بنائل، غير ريّ الناهل، وشبعة الكافل، ولبان لهم الزاهد من الراغب، والصادق من الكاذب ﴿ولو أنّ أهل القرىٰ آمنوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون والذين ظلموا﴾ من هؤلاء ﴿سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين﴾ [٥].

ألا هلم فاستمع، وما عشت أراك الدهر عجباً، وإن تعجب فعجب قولهم. ليت شعري إلىٰ أيّ لَجأ لجأوا، وإلىٰ أيّ سناد استندوا، وعلىٰ أي عماد اعتمدوا، وبأيّ عروة تمسكوا، وعلىٰ أيّ ذريّة قدّموا واحتنكوا [٦]؟! ﴿لبئس المولىٰ ولبئس العشير﴾ [٧] وبئس للظالمين بدلاً.

استبدلوا والله الذنابىٰ بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قومٍ

---

١) أمسكه.

٢) سهلاً ليناً.

٣) لا يتكدّر.

٤) لم يستفد منه كثير فائدة.

٥) سورة الزمر: ٣٩ / ٥١.

٦) استولوا.

٧) سورة الحج: ٢٢ / ١٣.

﴿يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً﴾[١]، ﴿ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾[٢] ويحهم ﴿أفمن يهدي إلىٰ الحق أحقُّ أن يتّبع أم من لا يَهدِّي إلّا أن يهدىٰ فمالكم كيف تحكمون﴾[٣]؟!

أما لعمري لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج، ثمّ احتلبوا ملء القَعب دماً عبيطاً، وذعافاً مبيداً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبّ ما أسس الأولون، ثم طيبوا عن دنياكم نفساً، واطمئنّوا للفتنة جأشاً[٤]، وأبشروا بسيف صارم، وسطوة معتدٍ غاشم، وبهرج دائم شاملٍ، واستبدادٍ من الظالمين، يدع فيأكم زهيداً، وجمعكم حصيداً. فيا حسرتىٰ لكم، وأنّىٰ بكم وقد عميت عليكم؟! ﴿أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾[٥]».

قال سويد بن غفلة: فأعادت النساء قولها علىٰ رجالهنّ، فجاء إليها قوم من المهاجرين والأنصار معتذرين، وقالوا: يا سيدة النساء، لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن يُبرَم العهد ويُحكَم العقد، لما عدلنا إلىٰ غيره.

فقالت عليها السلام: «إليكم عنّي، فلا عذر بعد تعذيركم، ولا أمر بعد تقصيركم»[٦].

---

١) سورة الكهف: ١٨ / ١٠٤.

٢) سورة البقرة: ٢ / ١٢.

٣) سورة يونس: ١٠ / ٣٥.

٤) مروّعة للقلب والنفس.

٥) سورة هود: ١١ / ٢٨.

٦) روىٰ هذه الخطبة ابن أبي طيفور في بلاغات النساء: ١٩. والشيخ الصدوق في معاني الأخبار: ٣٥٤ / ١. والشيخ الطوسي في أماليه: ٣٧٤ / ٨٠٤. والطبري في الدلائل: ١٢٥ / ٣٧. والاربلي في كشف الغمة ١: ٤٩٢. والطبرسي في الاحتجاج ١: ١٠٨. وابن أبي الحديد في شرح النهج ١٦: ٢٣٣. والعلّامة المجلسي في البحار ٤٣: ١٥٨ ـ ١٥٩.

المبحث الثالث: وفاتهاعليها السلام ومدّة بقائها بعد أبيهاصلى الله عليه وآله وسلم:

لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونال الزهراءعليها السلام ما نالها من القوم، لزمت الفراش، ونحل جسمها ومرضت مرضاً شديداً[١]، ومكثت أربعين ليلة في مرضها إلىٰ أن توفيت (صلوات الله عليها)[٢]، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يمرضها بنفسه، وتعينه علىٰ ذلك أسماء بنت عميس[٣].

فلمّا نعيت إليها نفسها، أوصت أمير المؤمنين عليه السلام أن يتزوج بابنة أُختها أُمامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحبّها لأولادها، وأن يتخذ لها نعشاً وصفته له، وأن لا يدع أحداً يشهد جنازتها ممن ظلمها، ولا يصلي عليها أحد منهم، وأن يتولىٰ أمرها بنفسه، ويدفنها في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار[٤].

وروي أنّ أسماء بنت عميس هي التي وصفت صورة النعش لفاطمةعليها السلام

---

١) راجع الروايات في هذا المعنىٰ في الاحتجاج / الطبرسي: ٨٣. ودلائل الإمامة / الطبري: ١٣٤. وكتاب سُليم: ٤٠. ودعائم الإسلام ١: ٢٣٢. ووصفتعليها السلام بالشهيدة في كثير من الروايات والزيارات. راجع: الكافي ١: ٤٥٨ / ٢. والمزار / المفيد: ١٥٦. والمقنعة / المفيد: ٤٥٩. وتهذيب الأحكام / الطوسي ٦: ١٠ / ١٩. والبلد الأمين / الكفعمي: ١٧٨.

٢) روضة الواعظين / الفتال: ١٥١. والمناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٦٢. وبحار الأنوار ٤٣: ١٩١/ ٢٠.

٣) أمالي المفيد: ٢٨١ / ٧. وأمالي الطوسي: ١٠٩ / ١٦٦. وبحار الأنوار ٤٣: ٢١١ / ٤٠. وقيل: إنّ أسماء التي حضرت زواج الزهراءعليها السلام ووفاتها، هي غير أسماء بنت عميس، فلعلّها مصحفة عن سلمىٰ امرأة أبي رافع، أو سلمىٰ بنت عميس امرأة حمزة (رضي الله عنه)، أو أسماء بنت يزيد بن السكن.

٤) روضة الواعظين / الفتال: ١٥١. والمناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٦٢. وأمالي المفيد: ٢٨١ / ٧. وأمالي الطوسي: ١٠٩ / ١٦٦. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨١ و ١٩٢ و ١٩٩ و ٢١١ / ٤٠.

قبل وفاتها، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**أول نعش أُحدث في الإسلام نعش فاطمة عليها السلام، إنّها اشتكت شكوتها التي قبضت فيها، وقالت لأسماء: إنّي نحلت وذهب لحمي، ألا تجعلي لي شيئاً يسترني؟ قالت أسماء: إنّي كنت بأرض الحبشة، فرأيتهم يصنعون شيئاً، أفلا أصنع لك، فان أعجبك صنعت لك؟ قالت: نعم. فدعت بسرير فأكبّته لوجهه، ثمّ دعت بجرائد فشددتها علىٰ قوائمه، ثم جلّلته ثوباً، فقالت: هكذا رأيتهم يصنعون. فقالت عليها السلام: اصنعي لي مثله، استريني سترك الله من النار**»[1].

قال ابن عباس رضي الله عنه: فقبضت فاطمة عليها السلام فارتجّت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء، ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[2]، واجتمعت نساء بني هاشم في دارها، فصرخن صرخة واحدة، كادت المدينة تتزعزع من صراخهن، وهن يقلن: يا سيدتاه، يا بنت رسول الله، وأقبل الناس إلىٰ علي عليه السلام مثل عرف الفرس وهو جالس، والحسن والحسين عليهما السلام بين يديه يبكيان، فبكىٰ الناس لبكائهما.

وخرجت أُمّ كلثوم عليها السلام وعليها برقعها تجرّ ذيلها، متجلّلة برداء عليها تسحبه، وهي تقول: يا أبتاه، يا رسول الله، الآن حقاً فقدناك فقداً لا لقاء بعده أبداً[3].

---

١) تهذيب الأحكام / الطوسي ١: ٤٦٩ / ١٨٥. وبحار الأنوار ٤٣: ٢١٣ / ٤٣. وراجع أيضاً كشف الغمة / الاربلي ١: ٥٠٣ ـ ٥٠٤. ومستدرك الحاكم ٣: ١٦٢. وحلية الأولياء / أبو نعيم ٢: ٤٣. والاستيعاب / ابن عبدالبرّ ٤: ٣٧٨. ومقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي ١: ٨٢. وفاء الوفا / السمهودي ٣: ٩٠٣ ـ ٩٠٥. وذخائر العقبىٰ / المحب الطبري: ٥٤.

٢) كتاب سُليم: ٢١٣. وبحار الأنوار ٤٣: ١٩٩.

٣) روضة الواعظين / الفتال: ١٥١ ـ ١٥٢. وبحار الأنوار ٤٣: ١٩٢.

وروي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام وقع علىٰ وجهه وهو يقول: «**بمن العزاء يا بنت محمد، كنت بك أتعزّىٰ، ففيم العزاء من بعدك؟**»(١).

واجتمع الناس وهم يرجون أن تخرج جنازة الزهراء عليها السلام فيصلّوا عليها، فخرج أبو ذر رضي الله عنه وقال: انصرفوا، فإنّ ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أُخّر إخراجها في هذه العشية، فقام الناس وانصرفوا(٢).

غُسلها عليها السلام:

لمّا توفيت فاطمة عليها السلام قام أمير المؤمنين عليه السلام بجميع ما أوصته، فتولىٰ غسلها بنفسه(٣)، وكفّنها في سبعة أثواب(٤). وقيل: أعانته علىٰ غسلها أسماء بنت عميس بوصية من الزهراء عليها السلام(٥)، وروي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أمر الحسن والحسين عليهما السلام يدخلان الماء(٦)، وكانت أسماء تصبّ عليه(٧).

---

١) كشف الغمة ١: ٥٠١. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٧.

٢) روضة الواعظين / الفتال: ١٥٢. وبحار الأنوار ٤٣: ١٩٢.

٣) راجع: الكافي / الكليني ١: ٤٥٩ / ٤. وعلل الشرائع / الصدوق: ١٨٤ / ١ ـ باب (١٤٨). وكشف الغمة / الاربلي ١: ٥٠٢. وتهذيب الأحكام / الطوسي ١: ٤٤٠ / ٦٧. ودلائل الإمامة / الطبري: ١٣٦. وتاج المواليد / الطبرسي: ٩٨ ـ ضمن مجموعة نفيسة. والاستيعاب / ابن عبدالبر ٤: ٣٧٩. وتاريخ المدينة / ابن شبة ١: ١٠٩. وفاء الوفا / السمهودي ٣: ٩٠٣. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٤ و ١٨٨ و ٢٠٦ / ٣٢ و٣٣، ٨١: ٢٩٩ / ١٨.

٤) بحار الأنوار ٤٣: ٢٠١ / ٣٠، ٨١: ٣٣٥ / ٣٦.

٥) الذرية الطاهرة / الدولابي: ١٥٢ / ٢٠٢. والسنن الكبرىٰ / البيهقي ٣: ٣٩٦. والمناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٦٤. وكشف الغمة / الاربلي ١: ٥٠٠. والاستيعاب / ابن عبدالبر ٤: ٣٧٩. والإصابة / ابن حجر ٤: ٣٧٨. وذخائر العقبىٰ / المحب الطبري: ٥٣. وفاء الوفا / السمهودي ٣: ٩٠٣. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٤ و ١٩٥ و ١٨٩، ٨١: ٣٠٠ / ١٨.

٦) كشف الغمة / الاربلي ١: ٥٠٠. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٦، ٨١: ٣٠٠ / ١٨.

ولم يحضرها إلّا الحسن، والحسين، وزينب، وأُمّ كلثوم، وفضة جاريتها، وأسماء بنت عميس [٨].

وعن أُمّ سلمة، وسلمىٰ امرأة أبي رافع، وعبدالله بن محمد بن عقيل، قالوا: إنّ الزهراء عليها السلام اغتسلت قبل مماتها كأحسن ما كانت تغتسل، وتحنّطت ولبست ثيابها الجدد، واستقبلت القبلة، وقالت: **«إنّي مقبوضة فلا أكشفن، فاني قد اغتسلت»** فتوفّيت عليها السلام وحملها علي عليه السلام بغُسلها [٩].

وهذا الخبر معارض بما تقدّم من وصيتها بالغُسل، وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام تولّىٰ غسلها، كما أنّ الحكم علىٰ خلافه، إذ لا يجوز الدفن إلّا بعد الغسل سوىٰ في مواضع ليس هذا منها.

وأوّل العلّامة المجلسي رحمه الله هذا الخبر بكونها عليها السلام لم تنه عن الغسل، بل نهت عن كشف بدنها لغرض التنظيف [١٠]، فجمع بين الخبرين، مستدلاً برواية ورقة بن عبدالله الأزدي، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **«والله لقد أخذت في أمرها، وغسلتها في قميصها، ولم أكشفه عنها، فوالله لقد كانت ميمونة**

---

٧) تذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي: ٣١٩.

٨) دلائل الإمامة / الطبري: ١٣٦. وبحار الأنوار ٤٣: ١٧١.

٩) الأمالي / الطوسي: ٤٠٠ / ٨٩٣. وفاء الوفا / السمهودي ٣: ٩٠٢ ـ ٩٠٣. وتاريخ المدينة / ابن شبة ١: ١٠٨. ومسند أحمد ٦: ٤٦١ ـ ٤٦٢. ومقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي ١: ٨١. والطبقات الكبرىٰ / ابن سعد ٨: ٢٧. وأُسد الغابة ٥: ٥٩٠. وذخائر العقبىٰ: ٥٣. ومجمع الزوائد ٩: ٢١٠ ـ ٢١١. والثغور الباسمة / السيوطي: ٤٩. وكشف الغمة ١: ٥٠١ ـ ٥٠٢. وبحار الأنوار ٤٣: ١٧٢ / ١٢ و ١٨٣ و ١٨٧.

١٠) بحار الأنوار ٤٣: ١٧٢ و ١٨٨.

طاهرة مطهّرة» (١).

وقال سبط ابن الجوزي: قد تكون مخصوصة بذلك (٢)، وبنحوه قال علي ابن عيسىٰ الاربلي (٣).

وقال السيوطي: هذا حديث غريب، وإسناده جيد... فان صحّت هذه القصة، عُدّ ذلك في خصائصها (٤).

الصلاة عليها عليها السلام :

تولّىٰ أمير المؤمنين عليه السلام الصلاة علىٰ فاطمة عليها السلام وكبر خمساً (٥)، وكان معه الحسن والحسين عليهما السلام (٦) ونفر من بني هاشم ومن خواصه عليه السلام، منهم العباس عمه، وعقيل، والفضل بن العباس، وأبو ذر، وسلمان، والمقداد، وحذيفة، وعبدالله بن مسعود، وعمّار، والزبير، وبريدة (٧).

وقد وضع البعض رواية شاذة نادرة، مفادها أن أبا بكر صلّىٰ علىٰ فاطمة عليها السلام وكبّر أربعاً (٨). والهدف من وضع هذه الرواية واضح، هو الدلالة

---

١) بحار الأنوار ٤٣: ١٧٩.

٢) تذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي: ٣١٩.

٣) كشف الغمة ١: ٥٠٢. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٨.

٤) الثغور الباسمة / السيوطي: ٥٠.

٥) كشف الغمة ١: ٥٠٢. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٨، ٨١: ٣٩٠ / ٥٥.

٦) دلائل الإمامة / الطبري: ١٣٦. وبحار الأنوار ٤٣: ١٧١ / ١١.

٧) روضة الواعظين / الفتال: ١٥٢. ورجال الكشي: ٧ / ١٣. والخصال / الصدوق: ٣٦٠ / ٥٠. والاختصاص / المفيد: ٥. والمناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٦٣. وتاج المواليد / الطبرسي: ٩٨ ـ ٩٩. وبحار الأنوار ٤٣: ٢١٠ / ٣٩.

٨) الطبقات الكبرىٰ / ابن سعد ٨: ٢٩.

على أن فاطمة عليها السلام ماتت وهي راضية عن الشيخين، لكنها معارضة لما روي في الصحيح من أن الزهراء عليها السلام ماتت وهي ساخطة عليهما وأوصت أن لا يحضرا جنازتها، ولا يصليا عليها، ولمّا ماتت دفنها زوجها علي عليه السلام ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّىٰ عليها علي عليه السلام [١]، وقد ردّ كثير من الأعلام هذه الرواية وكذّبوها [٢].

قال سلامة الموصلي:

لمّــــا قــضت فــاطم الزهــراء غسّــلها
عــن أمــرها بــعلها الهــادي وســبطاها

وقــــام حــتىٰ أتــىٰ بــطن البــقيع بــها
ليــلاً فــصلّىٰ عــليها ثــمّ واراهــا

ولم يــــصلِّ عــليها مــنهمُ أحــدٌ
حــاشا لهــا مــن صــلاة القــوم حــاشاها [٣]

دفنها:

لمّا جنّ الليل ومضىٰ شطره ونامت العيون، أخرجها أمير المؤمنين

---

١) راجع: صحيح البخاري ٥: ٢٨٨ / ٢٥٦ ـ كتاب المغازي. وصحيح مسلم ٣: ١٣٨٠ / ١٧٥٩ ـ كتاب الجهاد والسير. وسنن أبي داود ٣: ١٤٢ / ٢٩٦٨ ـ باب صفايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. والمستدرك / الحاكم ٣: ١٦٢. وتاريخ المدينة / ابن شبة ١: ١١٠. والسيرة الحلبية ٣: ٣٦١ ـ ٣٦٢. والكافي / الكليني ١: ٤٥٨. وعلل الشرائع / الصدوق: ١٨٥ و١٨٨ و١٨٩. ومضت في المبحث الأول المزيد من تخريجاته.

٢) راجع: شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٧٩ ـ ٢٨٠. والشافي / المرتضىٰ ٤: ١١٣.

٣) المناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٦٣.

والحسن والحسين عليهما السلام ومعهم نفر من بني هاشم وبعض من خواصّ أمير المؤمنين عليه السلام، ودفنوها في جوف الليل، وغيّبوا قبرها، وسوّىٰ علي عليه السلام حواليها قبوراً مزورة مقدار سبعة حتىٰ لا يعرف قبرها، وسوّىٰ قبرها مع الأرض ليخفىٰ موضعه[١]، وروي أنّه عليه السلام رشّ أربعين قبراً حتىٰ لا يبين قبرها من غيره من القبور فيصلّوا عليها[٢].

وسُئل ابن عباس: متىٰ دفنتم فاطمة عليها السلام؟ فقال: دفناها بليلٍ بعد هدأة. قيل: فمن صلّىٰ عليها؟ قال: علي عليه السلام[٣].

قال الشيخ كاظم الأُزري رحمه الله:

ولأيّ الأُمور تدفن سرّاً
بضعة المصطفىٰ ويعفىٰ ثراها

فمضت وهي أعظم الناس وجداً
في فم الدهر غصّة من جواها

وثوت لا يرىٰ لها الناس مثوىٰ
أيّ قدس يضمّه مثواها[٤]

وعن الأصبغ بن نباته، أنه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن علّة دفنه لفاطمة

---

١) روضة الواعظين / الفتال: ١٥٢. وبحار الأنوار ٤٣: ١٩٣.

٢) المناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٦٣. والشافي / المرتضىٰ ٤: ١١٥. وتلخيص الشافي ٣: ١٣٠. ودلائل الإمامة / الطبري: ١٣٦. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٣.

٣) الشافي / المرتضىٰ ٤: ١١٣. وتلخيص الشافي / الطوسي ٣: ١٣٠. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٧٩ ـ ٢٨٠. والطبقات الكبرىٰ / ابن سعد ٨: ٣٠.

٤) الأُزرية: ١٤١ ـ دار الأضواء.

بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ليلاً. فقال عليه السلام: **«إنّها كانت ساخطة علىٰ قومٍ كرهت حضورهم جنازتها»** (١).

وعن علي بن أبي حمزة، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام لأيّ علّة دُفِنت فاطمة بالليل، ولم تدفن بالنهار؟ فقال عليه السلام: **«لأنّها أوصت أن لا يصلي عليها رجال»** (٢).

وهكذا يغيّب قبر أحبّ الناس إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وأعزّهم عليه في مجتمع لم يبل فيه قميص رسول الله صلى الله عليه وآله، فحُرِمت الأُمّة من قدس الزهراء عليها السلام وثواب زيارة بقعتها حتىٰ قيام الساعة.

لقد عبّرت الزهراء عليها السلام في وصيتها بتغييب قبرها عن مظلوميتها واغتصاب حقوقها، فجعلت ذلك موضع تساؤل عبر الأجيال يحكي قصة ظلامة الزهراء عليها السلام وهضم حقوقها والاعتداء عليها، وقد بانت آثار ذلك منذ صبيحة الليلة التي دفنت فيها.

روىٰ محمد بن همام باسناده عن رجاله، قال: إنّ المسلمين لما علموا وفاة فاطمة عليها السلام جاءوا إلىٰ البقيع، فوجدوا فيه أربعين قبراً، فأشكل عليهم قبرها من سائر القبور، فضجّ الناس، ولام بعضهم بعضاً، وقالوا: لم يخلف نبيكم إلّا بنتاً واحدة، تموت وتدفن ولم تحضروا وفاتها ولا دفنها ولا الصلاة عليها، ولا تعرفوا قبرها؟! (٣).

---

١) الأمالي / الصدوق: ٧٥٥ / ١٠١٨. والمناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٦٣. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٣. و٢٠٩ / ٣٧.

٢) علل الشرائع / الصدوق ١: ١٨٥ باب (١٤٩).

٣) دلائل الإمامة: ١٣٦. وبحار الأنوار ٤٣: ٢١٢ / ٤١.

ندبة علي عليه السلام عند دفن الزهراء عليها السلام :

وعبّر أمير المؤمنين عليه السلام عن تلك المظلومية حينما فرغ من دفن الزهراء عليها السلام، حيث هاج به الحزن، فأرسل دموعه علىٰ خديه، وحوّل وجهه إلىٰ قبر أخيه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «**السلام عليك يا رسول الله، عنّي وعن ابنتك النازلة في جوارك، والبائتة في الثرىٰ ببقعتك، والمختار الله لها سرعة اللحاق بك.**

إلىٰ أن قال: **وإلىٰ الله أشكو، وستنبئك ابنتك بتضافر أُمتك علىٰ هضمها، فأحفها السؤال، واستخبرها الحال، فكم من غليلٍ معتلجٍ بصدرها لم تجد إلىٰ بثّه سبيلاً، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين.**

إلىٰ أن قال: **واهاً واهاً! والصبر أيمن وأجمل، ولولا غلبة المستولين لجعلت المقام واللبث عندك لزاماً معكوفاً، ولأعولت إعوال الثكلىٰ علىٰ جليل الرزية، فبعين الله تُدفَن ابنتك سرّاً، ويُهضَم حقّها قهراً، ويُمنَع إرثها جهراً، ولم يطل العهد، ولم يخلق منك الذكر، فإلىٰ الله يا رسول الله المشتكىٰ، وفيك يا رسول الله أجمل العزاء، صلّىٰ الله عليك وعليها السلام والرضوان**[1].

وقام عليه السلام علىٰ شفير القبر فقال:

لكــــلِّ اجــــتماعٍ مــن خــليلين فــرقة
وكــــــلّ الذي دون الفــــراق قـــليلُ

---

١) أمالي المفيد: ٢٨١ / ٧. وأمالي الطوسي: ١٠٩ / ١٦٦. والكافي / الكليني ١: ٤٥٨ / ٣. وبحار الأنوار ٤٣: ١٩٣ / ٢١ و ٢١٠ / ٤٠. وراجع: نهج البلاغة / صبحي الصالح: ٣١٩ الخطبة ٢٠٢. وشرح ابن أبي الحديد ١٠: ٢٦٥ / ١٩٥. وتذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي: ٣١٩ ـ ٣٢٠. وكشف الغمة / الاربلي ١: ٥٠٤ ـ ٥٠٥.

وإنّ افــــتقادي فـــــاطماً بــــعد أحــمدٍ
دليــــلٌ عــــلىٰ أن لا يــدوم خــليلُ (١)

ثم قال عليه السلام: **اللهمَّ إني راضٍ عن ابنة نبيك، اللهمَّ إنّها قد أُوحشت فآنسها، اللهمَّ إنّها قد هُجرت فصِلها، اللهمَّ إنّها قد ظُـلمت فـاحكم لهـا، وأنت خـير الحاكمين»** (٢).

موضع قبرها عليها السلام:

قال الشيخ الصدوق رحمه الله: اختلفت الروايات في موضع قبر فاطمة سـيدة نساء العالمين عليها السلام، فمنهم من روىٰ أنّها دفنت في البقيع، ومنهم من روىٰ أنّها دفنت بين القبر والمنبر، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله إنّما قال: **«مـا بـين قـبري ومـنبري روضة من رياض الجنة»** لأنّ قبرها عليها السلام بين القبر والمنبر، ومنهم مـن روىٰ أنّها دفنت في بيتها، فلمّا زادت بنو أُمية في المسجد، صارت في المسـجد، وهذا هو الصحيح عندي (٣).

ومستند الشيخ الصدوق رحمه الله في تصحيحه ما رواه عن أبيه بـالاسناد عـن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي قال: سألت أبا الحسن علي بن موسىٰ

---

١) الكامل / المبرد ٤: ٣٠. وشرح ابن أبي الحديد ١٠: ٢٨٨. والموفقيات / ابن بكـار: ١٩٤ / ١٠٦. ومروج الذهب / المسعودي ٢: ٢٩١. ومستدرك الحاكم ٣: ١٦٣. وتذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي: ٣١٩.

٢) الخصال / الصدوق: ٥٨٨.

٣) الفـقيه / الصـدوق ٢: ٣٤١ / ١٥٧٣ ـ ١٥٧٥. وراجـع الأقـوال فـي هـذه المسألة فـي روضـة الواعظين / الفتال: ١٥٢. وإعلام الورىٰ / الطبرسي ١: ٣٠١. والمناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٥٧. وكشف الغمة ١: ٥٠١. ومعاني الأخبار / الصدوق: ٢٦٧ ـ ٢٦٨. وتاريخ المدينة / ابن شـبّة ١: ١٠٨. ووفاء الوفا / السمهودي ٣: ٩٠٧ و ٩١٨. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٧.

الرضا عليه السلام عن قبر فاطمة صلوات الله عليها، فقال: **«دفنت في بيتها، فلمّا زادت بنو أُمية في المسجد صارت في المسجد»** (١) وروي نحو ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام (٢).

وذكر الشيخ الطوسي رحمه الله والعلّامة الطبرسي الأقوال الثلاثة التي ذكرها الشيخ الصدوق رحمه الله واستبعدا الأول منها، واستصوبا القولين الأخيرين.

قال الشيخ الطوسي رحمه الله: الأصوب أنها مدفونة في دارها، أو في الروضة (٣)، وهاتان الروايتان كالمتقاربتين، والأفضل عندي أن يزور الإنسان من الموضعين جميعاً، فإنّه لا يضرّه ذلك، ويحوز به أجراً عظيماً، وأمّا من قال إنّها دفنت بالبقيع، فبعيد عن الصواب (٤).

وقال العلّامة الطبرسي رحمه الله: القول الأول بعيد ـ أي كونها عليها السلام مدفونة بالبقيع ـ والقولان الآخران أشبه وأقرب إلىٰ الصواب، فمن استعمل الاحتياط في زيارتها، زارها في المواضع الثلاثة (٥).

ورجّح السيد ابن طاووس كونها عليها السلام مدفونة في بيتها (٦)، وكذلك عبدالعزيز بن عمران، وقال: إنها دفنت في بيتها، وصنع بها ما صنع برسول

---

١) معاني الأخبار: ٢٦٨. والفقيه / الصدوق ١: ١٤٨ / ٦٨٤. والكافي / الكليني ١: ٤٦١ / ٩. وقرب الاسناد / الحميري: ٣٦٧ / ١٣١٤. وتهذيب الأحكام / الطوسي ٣: ٢٥٥ / ٢٥. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٥ / ١٧.

٢) تاريخ المدينة / ابن شبة ١: ١٠٧ ـ ١٠٨. وفاء الوفا / السمهودي ٣: ٩٠٢.

٣) المناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٦٥. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٥ / ١٧.

٤) تهذيب الأحكام / الطوسي ٦: ٩ / ١٧.

٥) إعلام الورىٰ / الطبرسي ١: ٣٠١. وتاج المواليد / الطبرسي: ٩٩ ـ ضمن مجموعة نفيسة.

٦) إقبال الأعمال / ابن طاووس: ٦٢٤.

الله صلى الله عليه وآله، إنّها دفنت في موضع فراشها، واحتجّ علىٰ ذلك بكونها دفنت ليلاً، ولم يعلم بها كثير من الناس [١].

وقيل أيضاً: إنّها عليها السلام دفنت بالمسجد المنسوب إليها في البقيع، وهو المعروف ببيت الحزن، أو بيت الأحزان، الذي آوت إليه والتزمت الحزن فيه عند وفاة أبيها المصطفىٰ صلى الله عليه وآله [٢]، والله العالم بحقيقة الحال.

قال الشاعر:

بأبـي التـي مـاتت ومـا مـاتت مكـارمها السـنيهْ
بأبـي التـي دفـنت وعـفّي قـبرها السـامي تـقيهْ [٣]

وقال ديك الجنّ:

يـا قـبر فـاطمة الذي مـا مـثله قـبرٌ بـطيبةَ طـاب فـيه مـبيتا
إذ فـيك حـلّت زهـرة الدنـيا التـي بـحلىٰ مـحاسن وجـهها حـلّيتا
فسـقىٰ ثـراك الغـيث مـا بـقيت بـه
نـور القـبور بـطيبةٍ وبـقيتا [٤]

تاريخ وفاتها عليها السلام:

المشهور أن وفاتها عليها السلام كانت في الثالث من جمادىٰ الآخرة [٥]، يوم

---

١) تاريخ المدينة / ابن شبة ١: ١٠٨.
٢) وفاء الوفا / السمهودي ٣: ٩٠٧ و ٩١٨.
٣) المجالس السنية / السيد الأمين ٥: ٦٨.
٤) المناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٦٦.
٥) إقبال الأعمال / ابن طاووس: ٦٢٣. ومصباح المتهجد / الطوسي: ٧٩٣. ومصباح الكفعمي:

الثلاثاء، سنة إحدىٰ عشرة من الهجرة، وهو المروي عن الإمام الصادقعليه السلام [١].

وفي رواية: لعشر بقين من جمادىٰ الآخرة [٢]. وقيل: لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر ليلة الأحد [٣].

وعن ابن عياش: في الحادي والعشرين من رجب [٤].

وقال المدائني والواقدي وابن عبدالبرّ: إنّها توفّيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان [٥].

مقدار عمرهاعليها السلام:

يختلف مقدار عمر الزهراءعليها السلام بحسب اختلاف الرواية في تاريخ ولادتهاعليها السلام، وقد قدّمنا ذلك في الفصل الأول، فعلىٰ ما روي بأنّهاعليها السلام ولدت بعد المبعث بخمس سنين، يكون عمرهاعليها السلام لمّا توفي النبيصلى الله عليه وآله وسلم ثماني عشرة سنة، وهو المشهور [٦].

← ٥١١. وبحار الأنوار ٤٣: ١٩٩ / ٢٦، ٢١٥ / ٤٦و ١٠٠: ١٩٨ / ١٧.

١) دلائل الإمامة / الطبري: ٧٩ / ١٨. وبحار الأنوار ٤٣: ٩ / ١٦و ١٧٠ / ١١.

٢) دلائل الإمامة / الطبري: ١٣٦. وبحار الأنوار ٤٣: ١٧١.

٣) المناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٥٧. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٠ / ١٦.

٤) مصباح المتهجد: ٨١٢. وبحار الأنوار ٤٣: ٢١٥ / ٤٧و ١٠٠ / ٢٠٢ / ١٢.

٥) تاريخ الطبري ٣: ٢٤٠. ومستدرك الحاكم ٣: ١٦٢. والطبقات الكبرىٰ / ابن سعد ٨: ٢٨. ومقتل الحسينعليه السلام / الخوارزمي ١: ٨٣. وكشف الغمة / الاربلي ١: ٥٠٣. والثغور الباسمة / السيوطي: ٤٨. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٩، ٢١٤.

٦) الكافي / الكليني ١: ٤٥٨. وتذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي: ٣٢١ عن الإمام الصادقعليه السلام.
←

وعلىٰ القول بأنها عليها السلام ولدت قبل المبعث بخمس سنين، يكون عمرها عليها السلام عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثماني وعشرين أو تسعاً وعشرين سنة، وهو قول أكثر العامّة [1]، وهناك أقوال أُخرىٰ كثيرة مختلفة في تقدير عمر الزهراء عليها السلام يوم وفاتها، سببها الاختلاف في تاريخ ولادتها ومدّة بقائها بعد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، فقد قيل: إنّ عمرها الشريف يوم وفاتها عليها السلام كان اثنتين وعشرين سنة، وقيل: ثلاث وعشرون، وأربع وعشرون، وستّ وعشرون، وسبع وعشرون، وتسع وعشرون، وثلاثون، وثلاث وثلاثون، وخمس وثلاثون [2].

مدة بقائها عليها السلام بعد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم :

اختلفت الروايات وتضاربت الأقوال في تحديد المدة التي مكثتها الزهراء عليها السلام فقيل أنّه كان: خمسة عشر يوماً، أربعين يوماً، خمسة وأربعين، شهرين، ستين يوماً، سبعين، اثنتين وسبعين، خمسة وسبعين، خمسة وثمانين، ثلاثة أشهر، تسعين يوماً، خمسة وتسعين، مائة يوم، أربعة أشهر، ستة أشهر، ستة أشهر إلّا ليلتين، ثمانية أشهر، فلم يقل أحد بأقل من خمسة

← وعيون المعجزات: ٥٥. ودلائل الإمامة / الطبري: ١٣٦. وكشف الغمة / الاربلي ١: ٤٤٩. والتتمة / تاج الدين العاملي: ٤١. وبحار الأنوار ٤٣: ١٧١ / ١١.

١) المعجم الكبير / الطبراني ٢٢: ٣٩٩ / ٩٩٨. وتذكرة الخواص: ٣٢٠ ـ ٣٢١. وتاريخ الطبري ٣: ٢٤٠. ومستدرك الحاكم ٣: ١٦٢. وأُسد الغابة ٥: ٥٢٤. والطبقات الكبرىٰ / ابن سعد ٨: ٢٨. والاستيعاب / ابن عبدالبر ٤: ٣٨٠.

٢) راجع: مستدرك الحاكم ٣: ١٦٣. والمعجم الكبير / الطبراني ٢٢: ٣٩٩ / ٩٩٧. وتذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي: ٣٢١. والاستيعاب / ابن عبدالبر ٤: ٣٨٠. وأُسد الغابة ٥: ٥٢٤. والثغور الباسمة / السيوطي: ٤٨. وكشف الغمة / الاربلي ١: ٥٠٣. والتتمة / تاج الدين العاملي: ٤٢. وبحار الأنوار ٤٣: ٢١٣ ـ ٢١٤.

عشر يوماً، ولا بأكثر من ثمانية أشهر [١].

وتدلّ أكثر الروايات المنقولة عن أهل البيت عليهم السلام أنها مكثت بعد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وسبعين يوماً [٢]، وعلىٰ المشهور عند الإمامية من أنّ وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت في الثامن والعشرين من صفر، تكون وفاتها عليها السلام في نحو الثالث عشر من جمادىٰ الأُولىٰ، لا في الثالث من جمادىٰ الآخرة وكما هو المشهور في وفاتها عليها السلام، وعلىٰ المشهور عند العامّة من أن وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الثاني عشر من ربيع الأول، تكون وفاتها في أواخر جمادىٰ الأُولىٰ.

والذي يقتضيه الجمع بين ماهو مشهور من وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الثامن والعشرين من صفر، ووفاتها عليها السلام في الثالث من جمادى الآخرة، هو ما روي عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام من أن فاطمة عليها السلام بقيت بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وتسعين يوماً [٣]، فيرتفع بذلك التنافي.

ورجّح ذلك أبو الفرج الأصفهاني حيث قال: كانت وفاة فاطمة عليها السلام بعد

---

١) راجع: المعارف / ابن قتيبة: ٦٢. والمعجم الكبير / الطبراني ٢٢: ٣٩٨ ـ ٣٩٩. ومستدرك الحاكم ٣: ١٦٢ ـ ١٦٣. ودلائل النبوة / البيهقي ٦: ٣٦٥. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٤. والإصابة / ابن حجر ٤: ٣٧٩. والذرية الطاهرة / الدولابي: ١٥١ / ١٩٥. والثغور الباسمة / السيوطي: ٤٨. ومقاتل الطالبيين / أبو الفرج: ٣١. المناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٥٧. وكشف الغمة ١: ٤٤٩ و٥٠٢ و٥٠٣. وإعلام الورىٰ / الطبرسي ١: ٣٠٠. والتتمة / تاج الدين العاملي: ٤١ ـ ٤٢. وبحار الأنوار ٤٣: ٧ ـ ٩ و١٨٠ / ١٦ و١٨٨ / ١٩ و٢٠٠ / ٣٠ و٢١٢ / ٤١ و٢١٣ / ٤٤ و٢١٥ / ٤٥ و٢١٧ / ٤٩.

٢) الكافي / الكليني ١: ٢٤١ / ٥ و٤٥٨ / ١، ٤: ٥٦١ / ٤. وكشف الغمة / الاربلي ١: ٤٤٩. والتتمة / تاج الدين العاملي: ٤١. وبحار الأنوار ٤٣: ٩ / ١٦ و١٩٥ / ٢٢ و٢١٢ / ٤١.

٣) دلائل الإمامة / الطبري: ٧٩ / ١٨. وكشف الغمة / الاربلي ١: ٥٠٣. والتتمة / تاج الدين العاملي: ٤٢. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٩ / ١٩.

وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدّة يختلف في مبلغها، فالمكثر يقول ثمانية أشهر، والمقلل يقول: أربعون يوماً [١]، إلّا أنّ الثبت في ذلك ما روي عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنّها توفيت بعده بثلاثة أشهر [٢].

ويؤيده أيضاً ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**بدؤ مرض فاطمة عليها السلام بعد خمسين ليلة من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**» [٣]، وما روي من أنّها عليها السلام مرضت مرضاً شديداً، ومكثت أربعين ليلة في مرضها إلىٰ أن توفيت [٤]. فيكون المجموع تسعين يوماً، مع عدم التعرض للأيام الزائدة، تسامحاً في الكسور لقلتها، والله العالم بحقيقة الحال.

ونكتفي بهذا القدر من الكلام في الحديث عن الزهراء عليها السلام النموذج المتكامل والمثل الأعلىٰ في العطاء والتضحية والصبر والعبادة والذوبان في ذات الله عزّ وجلّ، والوقوف بكلٍّ بسالة وشجاعة بوجه الباطل وتعريته تماماً، مؤكدين أخيراً بان موقف الزهراء عليها السلام وقصة رحيلها إلىٰ العالم الآخر يعدّ من أكثر الوثائق الحاسمة في التاريخ قدرة علىٰ كشف الكثير من الحقائق التي طالما خفيت علىٰ الأجيال.

وذلك باعتبار أن الزهراء عليها السلام ميزان عدل لفهم الحق، ومن خلال ما ثبت

---

١) وروي خمسة عشر يوماً. راجع: بحار الأنوار ٤٣: ٢٠٠ / ٣٠.

٢) مقاتل الطالبيين: ٣١. وبحار الأنوار ٤٣: ٢١٥ / ٤٥. ورواية الإمام الباقر عليه السلام في مجمع الزوائد ٩: ٢١٢. ومستدرك الحاكم ٣: ١٦٢. والطبقات الكبرىٰ / ابن سعد ٨: ٢٨. وتاريخ الطبري ٣: ٢٤٠.

٣) بحار الأنوار ٤٣: ٢٠١ / ٣٠.

٤) روضة الواعظين: ١٥١. والمناقب / ابن شهرآشوب ٣: ٣٦٢. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨١و١٩١ / ٢٠.

بنحو القطع من أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **«من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية»** (١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»** (٢) وقد ثبت بما قدّمناه عن كتب الصحاح أن فاطمة عليها السلام ماتت وهي ساخطة علىٰ أبي بكر وعمر، وأوصت أن لا يحضرا جنازتها، ولا يصليا عليها، وأن علياً عليه السلام دفنها ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر وعمر.

فان كانت إمامة أبي بكر حقيقة شرعية ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإننا سنكون أمام احتمالين لا ثالث لهما بشأن الزهراء صلوات الله عليها.

الأول: أن تكون قد ماتت علىٰ ضلالة ولم تدخل الجنة ـ والعياذ بالله ـ لأنها لم تعرف أبا بكر إماماً لزمانها.

الثاني: أن تكون قد ماتت علىٰ الإيمان، وعلىٰ هذا يكون الإمام الحق غير أبي بكر وعمر.

والاحتمال الأول باطل وغير صحيح، لما ثبت في كتب الفريقين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **«فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»** (٣).

ومن هنا نعلم بأنّ سيدة نساء العالمين عليها السلام كانت علىٰ يقين من معرفة الإمام الحق الذي من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية، ألا وهو من قالت

---

١) مسند أحمد ٤: ٩٦. والاحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٧: ٤٩ / ٤٥٥٤. وحلية الأولياء ٣: ٢٢٤. وكنز العمال ١: ١٠٣ / ٤٦٤. ومستدرك الحاكم ١: ١١٧. ومجمع الزوائد ٥: ٢١٨ و ٢٢٤ و ٢٢٥.

٢)) صحيح مسلم ٣: ١٤٧٨ / ٥٨ ـ كتاب الامارة. والسنن الكبرىٰ / البيهقي ٨: ١٥٦. وجامع الأُصول ٤: ٤٦٣ / ٢٠٦٥. ومجمع الزوائد ٥: ٢١٨.

٣) خرّجناه في الفصل الثاني من هذا البحث.

عنه الزهراء نفسها بخطبتها الشهيرة: **«وتالله لو تكافّوا عن زمامٍ نبذه إليه رسول الله لاعتقله، ثمّ لسار بهم سيراً سجحاً... ويحهم ﴿أفمن يهدي إلىٰ الحق أحقُّ أن يتّبع أم من لا يَهدِّي إلّا أن يهدىٰ فمالكم كيف تحكمون﴾»**.

نعم، ذلك هو الإمام الحق الذي عرفته الزهراء عليها السلام وبقيت تدافع عن حقّه السليب حتىٰ النفس الأخير من حياتها المقدسة، فسلام عليهما من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

والحمدُ لله ربِّ العالمين
وسلامٌ علىٰ عباده
الذين اصطفىٰ
محمد وآله
الطاهرين

*



المحتويات

الفصل الثاني

الفصل الثالث